سيجموند فرويد

التحليل النفسي للعصاب الوسواسي
(رجل الذئاب)

ترجمة

عمرو الأزهري

مقدمة المترجم

يوجد كتاب لسيجموند فرويد إسمه 5 حالات من التحليل النفسي وهم:

1- حالة دورا

2- حالة رجل الفئران

3- حالة هانز الصغير

وكان من المفترض أن يتضمن الكتاب الحالة الرابعة والخامسة وهما:

4- حالة رجل الذئاب

5- حالة القاضي شرايير

ولكن هاتان الحالتان لم يتم ترجمتهما إلى اللغة العربية ولا يوجد أي دار نشر عربية على الإطلاق قامت بترجمة هاتين الحالتين. وقد إستعنت بالله عز وجل وقمت أنا بترجمة هاتين الحالتين لوجه الله تعالى من أجل كل إخواني وأخواتي الدارسين في مجال التحليل النفسي والطب النفسي ، سائلاً الله عز وجل أن يوفقني للمساعدة والإفادة العامة لكل إخواني وأخواتي الدارسين، وأسألكم الدعاء لي بالتوفيق.

جميع حقوق الطبع غير محفوظة

تمت الترجمة بناءً على النص الألماني الأصلي للمؤلف

Aus der Geschichte einer infantilen Neurose (1918)

أخوكم

م/ عمرو الأزهري من مصر (2025)

من تاريخ عصابٍ طفوليّ

(حالة رجل الذئاب)

سيجموند فرويد 1914 : 1918

من تاريـخ عصابٍ طفوليّ

(حالة رجل الذئاب)

سيغموند فرويد 1914 : 1918

مقدمة المؤلف

الحالة التي سأقوم بالإبلاغ عنها في الصفحات التالية (مرة أخرى بشكل جزئي فقط) تتميز بعدد من الخصائص التي تتطلب التأكيد عليها قبل أن أشرع في وصف الوقائع نفسها. إنها تتعلق بشاب انهارت صحته في سن الثامنة عشرة بعد إصابته بعدوى السيلان، وكان عاجزًا تمامًا ويعتمد كليًا على الآخرين عندما بدأ علاجه التحليلي بعد عدة سنوات. لقد عاش حياة طبيعية تقريبًا خلال عشر سنوات من طفولته التي سبقت تاريـخ مرضه، وتمكن من اجتياز دراسته في مدرسته الثانوية دون صعوبة تذكر. لكن سنواته المبكرة كانت تحت سيطرة اضطراب عصابي شديد بدأ

قبل عيد ميلاده الرابع مباشرة على شكل رهاب حيوانات، ثم تحول إلى عصاب قهري ذو محتوى ديني، واستمر بتفرعاته حتى سن العاشرة.

[1] تم كتابة هذه الحالة السريرية بعد فترة وجيزة من انتهاء العلاج، في شتاء 1914 - 1915

في ذلك الوقت، كنت لا أزال تحت تأثير الانطباعات الملتوية التي كان يحاول كل من سي. جي. يونغ وألفريد آدلر تقديمها لتفسيرات جديدة لنتائج التحليل النفسي. لذلك فإن هذه الورقة مرتبطة بمقالتي "عن تاريخ الحركة التحليلية النفسية" التي نُشرت في Jahrbuch der Psychoanalyse في عام 1914. وتكمل الهجوم الوارد في تلك المقالة الذي كان في جوهره ذا طابع شخصي، من خلال تقدير موضوعي للمادة التحليلية. كان من المفترض في البداية أن تُدرج في المجلد التالي من Jahrbuch، لكن ظهور هذا المجلد تأجل إلى أجل غير مسمى بسبب العوائق التي فرضتها الحرب العالمية الكبرى. لذلك قررت إضافتها إلى هذه المجموعة من الأوراق التي كانت تُصدر من قبل ناشر جديد.

في هذه الأثناء، كان علي التعامل في محاضراتي التمهيدية عن التحليل النفسي (التي ألقيتها في 1916 و1917) مع العديد من النقاط التي كان ينبغي أن أثيرها لأول مرة في هذه الورقة. لم تُجرَ أي تعديلات ذات أهمية في نص المسودة الأولى؛ فالتعديلات مشيرة من خلال الأقواس المربعة.

سيكون العصاب الطفولي فقط هو الموضوع الذي سأقوم بالتواصل حوله. على الرغم من طلب المريض المباشر، امتنعت عن كتابة تاريخ كامل لمرضه، وعلاجه، وشفائه، لأنني أدركت أن مثل هذه المهمة غير قابلة للتحقيق تقنيًا وغير مسموح بها اجتماعيًا. وهذا في الوقت نفسه يزيل إمكانية إظهار العلاقة بين مرضه في الطفولة ومرضه اللاحق والمستمر. فيما يتعلق بهذا الأخير، يمكنني فقط القول أنه بسبب هذا المرض قضى المريض وقتًا طويلًا في المصحات الألمانية، وكان في تلك الفترة مصنفًا في الأوساط الأكثر سلطة كحالة من "الجنون الهوسي الاكتئابي". كان من الممكن تطبيق هذا التشخيص على والد المريض، الذي كانت حياته، التي تتميز بنشاط واهتمامات واسعة، تعكرها

هجمات متكررة من الاكتئاب الشديد. لكن في الابن لم أتمكن من اكتشاف أي تغييرات في المزاج التي كانت غير متناسبة مع الوضع النفسي الظاهر، سواء من حيث شدتها أو ظروف ظهورها، طوال فترة المراقبة التي استمرت عدة سنوات. وقد توصلت إلى رأي مفاده أن هذه الحالة، مثل العديد من الحالات الأخرى التي صنفتها الطب النفسي السريري تحت مجموعة من التشخيصات المتنوعة والمتغيرة، يجب أن تُعتبر حالة تلت العصاب القهري الذي انتهى بشكل تلقائي، لكن خلف وراءه عيبًا بعد الشفاء.

سيتم وصف حالته هنا كعصاب طفولي تم تحليله ليس أثناء وجوده فعلاً، ولكن فقط بعد خمسة عشر عامًا من انتهائه. إن هذا الوضع له مزايا وعيوب مقارنة بالخيار البديل. فالمعالجة التحليلية التي تُجرى على طفل مصاب بالعصاب يجب أن تظهر في الحال على أنها أكثر مصداقية، لكن من غير الممكن أن تكون غنية بالمواد؛ يجب أن يتم إقراض العديد من الكلمات والأفكار للطفل، وحتى في هذه الحالة قد تبقى أعمق الطبقات غير قابلة للنفاذ إلى الوعي. أما تحليل اضطراب الطفولة من خلال

استحضار الذاكرة في شخص بالغ ذي نضج فكري فإنه يتجاوز هذه القيود؛ لكنه يتطلب منا أن نأخذ في الاعتبار التشويه وإعادة التشكيل التي تخضع لها ذكريات الشخص عند استرجاعها من فترة لاحقة. قد يكون الخيار الأول يعطي نتائج أكثر إقناعًا؛ بينما الثاني هو الأكثر إخبارًا بكثير.

في أي حال، يمكن القول أن تحليل العصابات الطفولية يستطيع أن يدعي اهتمامًا نظريًا عاليًا بشكل خاص. فهي تقدم لنا، بشكل تقريبي، مساعدة كبيرة نحو فهم العصابات في البالغين كما يفعل حلم الطفل بالنسبة لأحلام الكبار. ليس لأن تلك العصابات أو الأحلام أكثر وضوحًا أو أقل في العناصر؛ في الواقع، صعوبة الشعور بالذهاب إلى الحياة العقلية للطفل تجعلها تضع الطبيب أمام مهمة صعبة بشكل خاص. لكن على الرغم من ذلك، فإن العديد من الودائع اللاحقة مفقودة فيها لدرجة أن جوهر العصاب ينبثق إلى العين بوضوح لا لبس فيه. في المرحلة الحالية من المعركة الدائرة حول التحليل النفسي، كما نعلم، فإن المقاومة لنتائجه قد اتخذت شكلًا جديدًا. كان الناس في السابق

يكتفون بالتشكيك في حقيقة الحقائق التي يصرح بها التحليل؛ ولغرض ذلك، كان أفضل أسلوب هو تجنب فحصها. يبدو أن هذه الطريقة قد استنفدت تدريجيًا؛ والناس الآن يتبنون خطة أخرى تتمثل في الاعتراف بالحقائق، ولكن من خلال التفسيرات الملتوية يتخلصون من العواقب المترتبة عليها، بحيث يمكن للمنتقدين أن يصدوا التجديدات المزعجة كما كانوا يفعلون دائمًا.

إن دراسة العصابات الطفولية تكشف تمامًا عدم كفاية هذه المحاولات السطحية أو المستبدة لإعادة التفسير. فهي تظهر الدور البارز الذي تلعبه القوى الدافعة الليبيدية في تكوين العصابات، التي يجري إنكارها بشدة، وتكشف غياب أي تطلعات نحو أهداف ثقافية بعيدة، والتي لا يعرف الطفل عنها شيئًا، وبالتالي لا يمكن أن تكون ذات أهمية بالنسبة له.

ميزة أخرى تجعل التحليل الذي سأصفه في هذه الصفحات جديرًا بالملاحظة تتعلق بشدة المرض ومدة العلاج. إن التحاليل التي تؤدي إلى نتيجة مرضية في فترة زمنية قصيرة تعتبر ذات قيمة في تعزيز تقدير الأطباء لذاتهم وتثبت الأهمية الطبية

للتحليل النفسي؛ لكنها تبقى، في معظمها، غير مهمة من ناحية تقدم المعرفة العلمية. لا يتم تعلم شيء جديد منها. في الواقع، هي تنجح بسرعة فقط لأن كل ما كان ضروريًا لإنجازها كان معروفًا بالفعل. فقط من خلال التحاليل التي تقدم صعوبات خاصة يمكننا الحصول على شيء جديد، وعند التغلب على هذه الصعوبات، يجب تخصيص وقت كبير. فقط في مثل هذه الحالات يمكننا الهبوط إلى أعمق وأقدم طبقات التطور العقلي والحصول منها على حلول للمشاكل التي تطرأ في التكوينات اللاحقة. وعندما ننجح في ذلك، نشعر بعدم وجود تحليل يستحق الاسم إلا إذا اخترق هذه الطبقات.

أما بالنسبة لهذه الصعوبات الخصبة، فقد تركت الحالة التي أنا بصدد مناقشتها كل ما يمكن أن تتمناه من حيث الخصائص. لم تُظهر السنوات الأولى من العلاج أي تغيير يُذكر. وبفضل مصادفة سعيدة، فإن جميع الظروف الخارجية اجتمعت لتمكيننا من متابعة التجربة العلاجية. يمكنني أن أصدق بسهولة أنه في ظروف أقل ملاءمة، لكان قد تم التخلي عن العلاج بعد فترة

قصيرة. من وجهة نظر الطبيب، يمكنني فقط أن أصرح بأنه في مثل هذه الحالة، يجب أن يتصرف كما "لا زمنية" كما هو الحال مع اللاوعي نفسه إذا كان يرغب في تعلم شيء أو تحقيق أي شيء. وفي النهاية سينجح في القيام بذلك، إذا كان لديه القوة للتخلي عن أي طموحات علاجية قصيرة النظر.

ظل المريض الذي أتعامل معه متحصنًا لفترة طويلة وراء موقف "اللامبالاة الملتزمة". استمع، وفهم، وبقي غير قابل للوصول. كانت ذكائه الذي لا يُضاهى، كما لو أنه قد تم قطعه عن القوى الغريزية التي تحكم سلوكه في العلاقات القليلة التي كانت لا تزال متاحة له. تطلب الأمر تعليمًا طويلًا لتحفيزه على المشاركة المستقلة في العمل؛ وعندما بدأ نتيجة لهذه الجهود يشعر بالراحة، توقف فورًا عن العمل تجنبًا لأي تغييرات أخرى، وللبقاء في الوضع الذي تم إرساؤه. كانت انكماشه تجاه الحياة المستقلة عظيمًا لدرجة أنه طغى على جميع المضايقات التي نتجت عن مرضه. لم يكن هناك سوى طريقة واحدة للتغلب على ذلك. اضطررت إلى الانتظار حتى أصبح تعلقه بي قويًا بما فيه الكفاية

ليوازن هذا التقلص، ثم لعبت على هذا العامل ضد الآخر. قررت - ولكن فقط بعد أن أدت علامات موثوقة إلى الحكم بأن اللحظة المناسبة قد حانت - أن العلاج يجب أن ينتهي في تاريخ معين ثابت، بغض النظر عن مدى تقدمه. كنت عازمًا على الالتزام بهذا التاريخ؛ وفي النهاية، بدأ المريض يرى أنني جاد. تحت الضغط القاطع لهذا الحد الزمني، بدأت مقاومته وارتباطه بالمرض يتلاشى، وفي فترة زمنية قصيرة بشكل غير متناسب، أنتج التحليل كل المادة التي جعلت من الممكن توضيح حواجزه والتخلص من أعراضه. وكل المعلومات التي مكنتني من فهم عصابه الطفولي مستمدة من هذه الفترة الأخيرة من العمل، التي اختفت فيها المقاومة مؤقتًا وأعطى المريض انطباعًا من الوضوح الذي لا يُمكن الحصول عليه إلا في حالة التنويم المغناطيسي.

إذن، يوضح مسار هذا العلاج مبدأً لطالما تم تقديره في تقنية التحليل. إن طول الطريق الذي يجب أن يقطعه التحليل مع المريض، وكمية المواد التي يجب إتقانها على الطريق، لا أهمية لها مقارنةً بالمقاومة التي يواجهها المريض خلال العمل، وهي

ذات أهمية فقط بقدر ما هي متناسبة مع المقاومة. الوضع هو نفسه عندما يحتاج جيش العدو اليوم إلى أسابيع وأشهر لقطع مسافة عبر منطقة كانت في زمن السلم تقطعها قطارات سريعة في بضع ساعات، والتي فقط قبل وقت قصير عبرها الجيش المدافع في بضعة أيام.

ثالث الخصائص التي تجعل التحليل الذي سأقوم بوصفه في هذه الصفحات جديرًا بالملاحظة هو ما زاد من صعوبة اتخاذ قراري في الإبلاغ عنه. في المجمل، تتفق نتائجه بشكل مرضٍ مع معرفتنا السابقة، أو يمكن إدراجها فيها بسهولة. ومع ذلك، بدت لي العديد من التفاصيل غريبة جدًا وغير قابلة للتصديق لدرجة أنني شعرت ببعض التردد في طلب من الآخرين أن يصدقوها. طلبت من المريض أن يقوم بأشد انتقاد لذكرياته، لكنه لم يجد شيئًا غير معقول في تصريحاته وواصل تمسكه بها. يمكن للقراء على أي حال أن يطمئنوا إلى أنني أنا فقط من أبلغت عن تجربة مستقلة، غير متأثرة بتوقعاتي. لذلك لم يبق أمامي سوى تذكر القول

الحكيم أن هناك أشياء أكثر في السماء والأرض مما هو أحلام في فلسفتنا.

الفصل الأول

المسح العام لبيئة المريض وتاريـخ الحالة

لا أستطيع أن أقدم حسابًا تاريخيًا بحتًا أو حسابًا موضوعيًا بحتًا لقصة مريضي؛ لا أستطيع كتابة تاريـخ لا العلاج ولا المرض، ولكنني سأجد نفسي مضطرا لدمج الطريقتين في العرض. من المعروف أنه لم يُعثر على أي وسيلة لإدخال الإحساس بالاقتناع الذي ينتج عن التحليل نفسه في إعادة إنتاج تحليل. التقارير النصية التفصيلية للجلسات التحليلية بالتأكيد لن تكون مفيدة على الإطلاق؛ وفي جميع الأحوال فإن تقنية العلاج تجعل من المستحيل إعدادها. لذا فإن التحاليل مثل هذه لا تُنشر من أجل إحداث الاقتناع في عقول أولئك الذين كان موقفهم حتى الآن رافضًا وشكّاكًا. الغرض الوحيد هو تقديم بعض الحقائق الجديدة للباحثين الذين قد اقتنعوا بالفعل بتجاربهم السريرية الخاصة.

سأبدأ إذاً بتقديم صورة عن عالم الطفل، وسأروي أكبر قدر ممكن من قصة طفولته كما يمكن تعلمه دون عناء؛ في الواقع، لم يصبح القصة أقل نقصًا أو غموضًا إلا بعد عدة سنوات.

كان والداه قد تزوجا في سن مبكرة، وكانا لا يزالان يعيشان حياة زوجية سعيدة، ولكن صحتهم الضعيفة سرعان ما ألقت بظلالها على حياتهم. بدأت والدته تعاني من اضطرابات في البطن، ووالده من أولى نوبات الاكتئاب، التي أدت إلى غيابه عن المنزل. من الطبيعي أن المريض لم يفهم مرض والده إلا في وقت لاحق، لكنه كان على دراية بصحة والدته الضعيفة منذ طفولته المبكرة. نتيجة لذلك، كان لديها اهتمام محدود بالأطفال. في يوم من الأيام، بالتأكيد قبل عامه الرابع، بينما كانت والدته تودع الطبيب إلى المحطة وكان هو يمشي بجانبها ممسكًا بيدها، سمعها تشكو من حالتها الصحية. كانت كلماتها تؤثر فيه بشدة، ولاحقًا طبّقها على نفسه. لم يكن الطفل الوحيد؛ كان لديه أخت أكبر منه بعامين، حيوية، موهوبة، وشقية بشكل مبكر، وكان لها دور مهم في حياته.

منذ أن كان بإمكانه تذكر ذلك، كان يُعتنى به من قبل ممرضة، وهي امرأة مسنّة غير متعلمة من أصل فلاحي، مع حُب لا يتعب له. كانت تُعتبر بديلًا لابن لها مات في سن صغيرة. كانت العائلة تعيش في ضيعة ريفية، وكانوا ينتقلون إلى ضيعة أخرى في الصيف. كانت الضيعتان ليست بعيدتين عن مدينة كبيرة. حدثت فترة في طفولته عندما باع والديه الضيعتين وانتقلا إلى المدينة. كان الأقارب المقربون يزورونهم كثيرًا في إحدى الضيعتين أو الأخرى - أشقاء والده، أخوات والدته وأطفالهن، وجديته من جهة والدته. في الصيف، كان الوالدان يذهبان لقضاء بضعة أسابيع. في ذكرى محمية، رأى نفسه مع ممرضته يعتنيان بالعربة التي كانت تحمل والده ووالدته وأخته، ثم يعودان بهدوء إلى المنزل. لابد أنه كان صغيرًا جدًا في ذلك الوقت. في الصيف التالي، تُركت أخته في المنزل، وتم تعيين معلمة إنجليزية لتولي الإشراف على الأطفال.

في سنواته اللاحقة، قيل له العديد من القصص عن طفولته. كان يعرف الكثير بنفسه، ولكن بالطبع كانت متفرقة من حيث

التاريخ والمحتوى. إحدى هذه القصص التي تكررت مرارًا في وجوده عند مرضه اللاحق، تقدم لنا المشكلة التي سنكون مشغولين بحلها. يبدو في البداية أنه كان طفلًا طيبًا، سهل المراس، وهادئًا حتى أن الناس كانوا يقولون عنه إنه كان يجب أن يكون الفتاة وأخته الكبرى هي الولد. ولكن في أحد الأيام، عندما عاد والداه من عطلة الصيف، وجدا أنه قد تحول. أصبح غير راضٍ، سريع الغضب وعنيفًا، يأخذ الأمور بشكل شخصي في كل فرصة، ثم ينفجر غاضبًا ويصرخ مثل وحش؛ لذلك، عندما استمر هذا الوضع، عبر والديه عن قلقهم بشأن إمكانية إرساله إلى المدرسة لاحقًا. حدث هذا في الصيف بينما كانت المعلمة الإنجليزية معهم. تبين أن المعلمة كانت شخصًا غريب الأطوار وصراعيًا، إضافة إلى أنها كانت مدمنة على الكحول. لذا كانت والدة المريض تميل إلى عزو التغيير في شخصيته إلى تأثير هذه السيدة الإنجليزية، وافترضت أنها قد أزعجته من خلال معاملتها له. كانت جدته الفطنة، التي قضت الصيف مع الأطفال، ترى أن سرعة غضب الطفل كانت نتيجة للخلافات بين السيدة

الإنجليزية والممرضة. كانت المعلمة قد وصفت الممرضة مرارًا بأنها ساحرة وأجبرتها على مغادرة الغرفة؛ وكان الطفل قد اختار علنًا أن يساند "نانيا" الممرضة وأظهر كراهيته للمعلمة. مهما كان الأمر، تم إرسال المعلمة بعيدًا بعد وقت قصير من عودة الوالدين، دون أن يكون هناك أي تغيير في سلوك الطفل غير المحتمل.

[1] كان عمره حينها سنتين ونصف. أصبح من الممكن لاحقًا تحديد معظم التواريخ بالتأكيد.

[2] يمكن عادةً اعتبار مثل هذه المعلومات مادة أصلية تمامًا يمكن الاستفادة منها. قد يبدو مغريًا أن نتبع الطريق السهل في ملء الفراغات في ذاكرة المريض من خلال الاستفسار من أفراد أسرته الأكبر سناً؛ ولكن لا أستطيع أن أوصي بشدة ضد استخدام مثل هذه التقنية. أي قصص قد يرويها الأقارب ردًا على الاستفسارات والطلبات تكون عرضة لأي شكوك نقدية قد تنشأ. في النهاية، يندم الشخص دائمًا على الاعتماد على هذه المعلومات، وفي نفس الوقت يتم هز الثقة في التحليل، ويتم إنشاء محكمة

استئناف فوقه. أي شيء يمكن تذكره على أي حال سيظهر في مسار التحليل لاحقًا.

كان المريض قد احتفظ بذاكرته عن هذه الفترة الشقية. ووفقًا لمعتقداته، قام بأول مشهد له في عيد الميلاد، عندما لم يُعطَ ضعف كمية الهدايا - التي كانت من حقه، لأن يوم عيد الميلاد كان في نفس الوقت عيد ميلاده. لم يترك حتى "نانيا" المحبوبة من طلباته وطبعه، بل عذبها أكثر قسوة من أي شخص آخر. لكن المرحلة التي حملت معها التغيير في شخصيته كانت متشابكة في ذاكرته مع العديد من الظواهر الغريبة والمرضية التي لم يتمكن من ترتيبها في تسلسل زمني. جمع جميع الحوادث التي سأرويها الآن (والتي من المستحيل أن تكون متزامنة، والمليئة بالتناقضات الداخلية) في نفس الفترة الزمنية، التي أطلق عليها اسم "ما زال في الضيعة الأولى". كان يعتقد أنهم قد غادروا تلك الضيعة عندما كان في الخامسة من عمره. لذا كان يمكنه أن يتذكر كيف كان يعاني من خوف، كانت أخته تستغله من أجل تعذيبه. كان هناك كتاب صور معين، يظهر فيه ذئب واقفًا ويخطو

بخطوات واسعة. وعندما كان يرى هذه الصورة، كان يبدأ في الصراخ كالمجنون خوفًا من أن يأتي الذئب ويأكله. لكن أخته كانت دائمًا تنجح في ترتيب الأمور بحيث يُجبر على رؤية هذه الصورة، وكانت تفرح برعبه. وفي الوقت نفسه، كان يشعر بالخوف من حيوانات أخرى، كبيرة وصغيرة. ذات مرة كان يركض وراء فراشة جميلة ذات أجنحة صفراء مخططة تنتهي بنقاط، على أمل الإمساك بها. (لا شك أنها كانت "فراشة الطائر") وفجأة، انتابه خوف شديد من المخلوق، وصرخ وتوقف عن ملاحقته. وكان أيضًا يشعر بالخوف والاشمئزاز من الخنافس واليرقات. مع ذلك، كان يستطيع أن يتذكر أنه في نفس الوقت كان يعذب الخنافس ويمزق اليرقات إلى قطع. كما كان الخيول أيضًا تسبب له شعورًا غريبًا. إذا تم ضرب حصان، كان يبدأ في الصراخ، واضطر ذات مرة إلى مغادرة السيرك بسبب ذلك. في مناسبات أخرى كان هو نفسه يستمتع بضرب الخيول. هل كانت هذه الأنواع المتناقضة من المواقف تجاه الحيوانات موجودة حقًا في نفس الوقت، أم هل كانت تحل محل بعضها البعض، ولكن إذا

كان الأمر كذلك، فما هو الترتيب الزمني؟ لا يمكن لذاكرته تقديم إجابة حاسمة على كل هذه الأسئلة. لم يكن أيضًا قادرًا على تحديد ما إذا كانت فترة عصيانه قد تم استبدالها بمرحلة مرضية أم إذا استمرت طوال تلك الفترة. ولكن، على أي حال، كانت تصريحات المريض التالية تبرر الافتراض أنه خلال هذه السنوات من طفولته مر بهجوم واضح من العصاب القهري. روى كيف كان لفترة طويلة شديد التدين. قبل أن ينام كان مضطراً للصلاة لفترة طويلة وأداء سلسلة لا تنتهي من إشارات الصليب. في المساء أيضًا، كان يمر على جميع الصور المقدسة المعلقة في الغرفة، وأخذ كرسيًا معه، تسلق عليه، وكان يقبل كل واحدة منها بتفانٍ. كان هذا الطقوس الدينية في تناقض تام - أو ربما كان متسقًا معها تمامًا - أن يتذكر بعض الأفكار التجديفية التي كانت تأتي إلى ذهنه كإلهام من الشيطان. كان مضطرًا للتفكير بـ "خنزير الله" أو "براز الله". ذات مرة أثناء رحلة إلى منتجع صحي في ألمانيا كان يعذب بفكرة الوسواس، وكان عليه أن يفكر في الثالوث المقدس كلما رأى ثلاث أكوام من روث الحصان أو أي نوع آخر

من البراز ملقى في الطريق. في ذلك الوقت كان يؤدي طقسًا غريبًا آخر عندما كان يرى أشخاصًا يشعر بالشفقة تجاههم، مثل المتسولين أو المعاقين أو كبار السن. كان عليه أن يزفر بصوت عالٍ لكي لا يصبح مثلهم؛ وفي ظل ظروف معينة كان عليه أن يشد نفسه بشكل قوي. كنت بالطبع أعتقد أن هذه الأعراض الواضحة لعصاب قهري تنتمي إلى مرحلة لاحقة من التطور مقارنةً بعلامات القلق وسوء معاملة الحيوانات.

كانت سنوات المريض الأكثر نضجًا تتميز بعلاقة غير مرضية مع والده، الذي، بعد نوبات متكررة من الاكتئاب، لم يعد قادرًا على إخفاء سمات شخصيته المرضية. في سنوات الطفولة المبكرة للمريض، كانت هذه العلاقة علاقة محبة جدًا، وظلت ذكرى هذه العلاقة في ذاكرته. كان والده يحبّه جدًا، وكان يستمتع باللعب معه. من سن مبكرة كان يشعر بالفخر تجاه والده، وكان دائمًا يقول إنه يريد أن يكون رجلًا مثل والده. كانت "نانيا" تخبره أن أخته هي ابنة والدته، ولكنه هو ابن والده - وهو ما أسعده كثيرًا. ولكن في نهاية طفولته كان هناك تباعد بينه وبين والده.

كان والده يفضل أخته بلا شك، وكان يشعر بالإهانة بسبب ذلك. في وقت لاحق أصبح الخوف من والده هو العامل السائد.

اختفت جميع الظواهر التي ربطها المريض بالفترة من حياته التي بدأت بعصيانه تقريبًا في سن الثامنة. لم تختفِ مرة واحدة، ولكنها كانت تظهر بشكل متقطع، ثم اختفت في النهاية، وفقًا للمريض، بسبب تأثير الأساتذة والمدرسين، الذين حلوا محل النساء اللاتي كن يعتنين به سابقًا. هنا، إذن، في أقصر الخطوط العريضة، هي الألغاز التي كان يجب أن تجد التحليل حلولًا لها. ما هو أصل التغيير المفاجئ في شخصية الصبي؟ ما هي أهمية رهابه وميوله المنحرفة؟ كيف وصل إلى تدينه الوسواسي؟ وكيف ترتبط جميع هذه الظواهر ببعضها البعض؟ سأذكّر مرة أخرى بحقيقة أن عملنا العلاجي كان متعلقًا بمرض عصابي لاحق وحديث، وأن الضوء يمكن فقط أن يُسقط على هذه المشكلات السابقة عندما أخذ مسار التحليل فجأة بعيدًا عن الحاضر، واضطررنا للقيام بتعرجات عبر مرحلة ما قبل التاريخ من الطفولة.

الفصل الثاني

الإغواء وعواقبه المباشرة

من السهل أن نفهم أن الشبهة الأولى وقعت على المربية الإنجليزية، لأن التغير في سلوك الصبي ظهر أثناء وجودها. بقيت ذكرى شاشة اثنتان، كانتا غير مفهومة في حد ذاتها، وتعلقتان بها. في إحدى المرات، بينما كانت تمشي أمامهما، قالت: "انظروا إلى ذيلي الصغير!". وفي مرة أخرى، بينما كانوا في نزهة بالسيارة، طار قبعتها، مما أثار سرور الطفلين الكبير. أشار هذا إلى عقدة الإخصاء، وقد يسمح ببناء مفاده أن تهديداً وجهته هي ضد الصبي كان مسؤولاً إلى حد كبير عن نشأة سلوكه الشاذ. لا يوجد أي خطر على الإطلاق في توصيل مثل هذه البناءات إلى الشخص الخاضع للتحليل؛ فهي لا تضر بالتحليل أبداً إذا كانت خاطئة؛ ولكن في الوقت نفسه لا يتم طرحها إلا إذا كان هناك بعض الاحتمال للوصول إلى تقريب أقرب إلى الحقيقة بواسطتها. كان التأثير الأول لهذا الافتراض هو ظهور بعض الأحلام، التي لم يكن

من الممكن تفسيرها بالكامل، ولكن بدا أن جميعها تتمحور حول نفس المادة. بقدر ما أمكن فهمها، كانت تتعلق بأفعال عدوانية من جانب الصبي ضد أخته أو ضد المربية وبتوبيخات وعقوبات قوية بسببها. بدا الأمر كما لو أنه... بعد استحمامها... حاول... أن يعري أخته... أن يمزق أغطيتها... أو حجابها - وهكذا. لكن لم يكن من الممكن الوصول إلى أي محتوى ثابت من التفسير؛ وبما أن هذه الأحلام أعطت انطباعاً بأنها تعمل دائماً على نفس المادة بطرق مختلفة، فقد تأكدت القراءة الصحيحة لهذه الذكريات الظاهرية: لا يمكن أن تكون إلا مسألة تخيلات، صنعها الحالم حول موضوع طفولته في وقت ما، ربما في سن البلوغ، والتي ظهرت الآن مرة أخرى في هذا الشكل غير المعترف به.

جاء التفسير بضربة واحدة، عندما تذكر المريض فجأة حقيقة أنه عندما كان لا يزال صغيراً جداً، "في المزرعة الأولى"، أغوته أخته إلى ممارسات جنسية. أولاً جاء تذكر أنه في المرحاض، الذي كان الأطفال يزورونه معاً بشكل متكرر، قدمت هذا الاقتراح: "دعونا نظهر مؤخراتنا"، وانتقلت من الكلام إلى الأفعال. بعد ذلك، ظهر

الجزء الأكثر جوهرية في الإغواء، مع تفاصيل كاملة عن الزمان والمكان. كان ذلك في الربيع، في وقت كان فيه والده غائباً؛ كان الأطفال في غرفة واحدة يلعبون على الأرض، بينما كانت والدتهم تعمل في الغرفة المجاورة. أخذت أخته قضيبه ولعبت به، وفي الوقت نفسه روت له قصصاً غير مفهومة عن مربيته، كما لو كان ذلك على سبيل التفسير. قالت إن مربيته كانت تفعل الشيء نفسه مع جميع أنواع الناس - على سبيل المثال، مع البستاني: كانت توقفه على رأسه، ثم تمسك بأعضائه التناسلية.

هنا، إذن، كان تفسير التخيلات التي سبق أن استنتجنا وجودها. كان المقصود بها محو ذكرى حدث بدا لاحقاً مسيئاً لتقدير المريض لذاته كرجل، وقد حققت هذا الهدف بوضع عكس تخيلي ومرغوب فيه مكان الحقيقة التاريخية. وفقاً لهذه التخيلات، لم يكن هو من لعب الدور السلبي تجاه أخته؛ بل على العكس، كان عدوانياً، وحاول أن يرى أخته عارية، وقد رُفض وعوقب، ولهذا السبب ثار الغضب الذي تحدثت عنه تقاليد العائلة كثيراً. كان من المناسب أيضاً إدخال المربية في هذا

التركيب التخيلي، لأن والدته وجدته قد نسبتا إليها المسؤولية الرئيسية عن نوبات غضبه. لذلك، تطابقت هذه التخيلات تماماً مع الأساطير التي تحاول بها أمة عظيمة وفخورة إخفاء ضآلة وفشل بداياتها.

ربما لم يكن للمربية في الواقع سوى دور بعيد جداً في الإغواء وعواقبه. وقعت المشاهد مع أخته في الجزء الأول من نفس العام الذي وصلت فيه، في ذروة الصيف، الإنجليزية لتحل محل والديه الغائبين. نشأت عداوة الصبي للمربية، بالأحرى، بطريقة أخرى. بإساءة معاملة الممرضة وتشويه سمعتها كساحرة، كانت في نظره تسير على خطى أخته، التي كانت أول من روى له مثل هذه القصص الوحشية عن الممرضة؛ وبهذه الطريقة مكنته من التعبير علناً ضدها عن النفور الذي، كما سنسمع، كان قد طوره ضد أخته نتيجة لإغوائه.

لكن إغواء أخته له لم يكن بالتأكيد مجرد خيال. زادت مصداقيته ببعض المعلومات التي لم تُنسَ أبداً والتي تعود إلى جزء لاحق من حياته، عندما كبر. أخبره ابن عمه، الذي كان يكبره

بأكثر من عشر سنوات، في محادثة عن أخته أنه يتذكر جيداً كم كانت فتاة وقحة وحسية: ذات مرة، عندما كانت طفلة في الرابعة أو الخامسة من عمرها، جلست على حجره وفتحت بنطاله لتمسك بقضيبه.

أود هنا أن أتوقف عن سرد قصة طفولة مريضي وأقول شيئاً عن هذه الأخت، وعن تطورها ومصائرها اللاحقة، وعن التأثير الذي أحدثته عليه. كانت تكبره بسنتين، وكانت دائماً متقدمة عليه. في طفولتها كانت صبيانية وغير قابلة للانقياد، لكنها بعد ذلك دخلت في تطور فكري باهر وتميزت بقدراتها العقلية الحادة والواقعية؛ مالت في دراستها إلى العلوم الطبيعية، لكنها أنتجت أيضاً كتابات خيالية كان والدها يكن لها تقديراً عالياً. كانت متفوقة عقلياً على معجبيها الكثيرين في سن مبكرة، وكانت تسخر منهم. في أوائل العشرينات من عمرها، بدأت تعاني من الاكتئاب، واشتكت من أنها ليست جميلة بما فيه الكفاية، وانسحبت من كل المجتمع. أُرسلت للسفر بصحبة سيدة مسنة من معارفها، وبعد عودتها روت عدداً من القصص غير المحتملة عن سوء

معاملة رفيقتها لها، لكنها ظلت متعلقة بشكل واضح بمعذبها المزعوم. بينما كانت في رحلة ثانية، بعد ذلك بوقت قصير، سممت نفسها وتوفيت بعيداً عن منزلها. من المحتمل أن يُنظر إلى اضطرابها على أنه بداية لمرض انفصام الشخصية المبكر. كانت إحدى الدلائل على الوراثة العصبية الواضحة في عائلتها، ولكنها لم تكن الوحيدة بأي حال من الأحوال. توفي عم، وهو شقيق والدها، بعد سنوات طويلة من حياة غريبة الأطوار، مع مؤشرات تدل على وجود عصاب قهري شديد؛ بينما عانى ويعاني عدد كبير من الأقارب من الدرجة الثانية من شكاوى عصبية أقل خطورة.

بشكل مستقل عن مسألة الإغواء، وجد مريضنا، وهو طفل، في أخته منافساً غير مريح للحصول على استحسان والديه، وشعر بقمع شديد بسبب عرضها القاسي لتفوقها. لاحقاً حسدها بشكل خاص على الاحترام الذي أبداه والده لقدراتها العقلية وإنجازاتها الفكرية، بينما كان هو، المثبط فكرياً بسبب عصابه القهري، عليه أن يكتفي بتقدير أقل. من سن الرابعة عشرة فصاعداً، بدأت

العلاقات بين الأخ والأخت تتحسن؛ تقارب مماثل في التفكير ومعارضة مشتركة لوالديهما جعلهما قريبين جداً من بعضهما البعض لدرجة أنهما تعايشا مثل أفضل الأصدقاء. خلال الإثارة الجنسية العاصفة في فترة بلوغه، تجرأ على محاولة تقارب جسدي حميم. رفضته بحزم ومهارة مماثلتين، وسرعان ما ابتعد عنها إلى فتاة فلاحية صغيرة كانت خادمة في المنزل وتحمل نفس اسم أخته. بفعل ذلك، اتخذ خطوة كان لها تأثير حاسم على اختياره الجنسي للموضوع، فجميع الفتيات اللاتي وقع في حبهن لاحقاً - غالباً مع مؤشرات واضحة للإكراه - كن أيضاً خادمات، وكانت تعليمهن وذكائهن بالضرورة أدنى بكثير من مستواه. إذا كانت جميع موضوعات حبه هذه بدائل لشخصية الأخت التي كان عليه أن يتخلى عنها، فلا يمكن إنكار أن نية تحقير أخته وإنهاء تفوقها الفكري، الذي كان يجده سابقاً خانقاً للغاية، قد حصلت على السيطرة الحاسمة على اختياره للموضوع.

أخضع ألفريد أدلر السلوك الجنسي البشري، وكذلك كل شيء آخر، لدوافع من هذا النوع، تنبع من إرادة القوة، ومن غريزة

تأكيد الذات لدى الفرد. دون أن أنكر أبداً أهمية هذه الدوافع للسلطة والامتياز، لم أقتنع أبداً بأنها تلعب الدور المهيمن والحصري الذي نُسب إليها. لو لم أتابع تحليل مريضي حتى النهاية، لكنت مضطراً، بسبب ملاحظتي لهذه الحالة، إلى تصحيح رأيي المسبق في اتجاه مؤيد لأدلر. جلبت خاتمة التحليل بشكل غير متوقع مادة جديدة أظهرت، على العكس من ذلك، أن هذه الدوافع للسلطة (في هذه الحالة نية التحقير) لم تحدد اختيار الموضوع إلا بمعنى أنها كانت سبباً مساهماً وتبريراً، بينما مكنني التحديد الأساسي الحقيقي من الحفاظ على قناعاتي السابقة.

* الهوامش [1] انظر أدناه:

عندما وصل نبأ وفاة أخته، كما أخبرني المريض، لم يشعر إلا بأثر ضئيل من الحزن. اضطر إلى إجبار نفسه على إظهار علامات الأسى، وكان قادراً بهدوء تام على الابتهاج لأنه أصبح الآن الوريث الوحيد للممتلكات. كان يعاني بالفعل من مرضه الأخير لعدة

سنوات عندما حدث ذلك. ولكن يجب أن أعترف بأن هذه المعلومة الوحيدة جعلتني لفترة طويلة غير متأكد في حكمي التشخيصي للحالة. كان من المفترض، بلا شك، أن حزنه على فقدان أغلى فرد في عائلته سيواجه كبحاً في التعبير عنه، نتيجة لاستمرار عمل غيرته منها والوجود الإضافي لحبه المحرم لها والذي أصبح الآن لاواعياً. لكنني لم أستطع الاستغناء عن بعض البديل لنوبات الحزن المفقودة. وقد وُجد هذا أخيراً في تعبير آخر عن شعور ظل غير قابل للتفسير بالنسبة للمريض. بعد بضعة أشهر من وفاة أخته، قام هو نفسه برحلة في الحي الذي توفيت فيه. وهناك بحث عن مكان دفن شاعر عظيم، كان في ذلك الوقت مثاله الأعلى، وذرف دموعاً مريرة على قبره. بدا هذا الرد غريباً بالنسبة له نفسه، لأنه كان يعلم أن أكثر من جيلين قد مرا منذ وفاة الشاعر الذي أعجب به. لم يفهمه إلا عندما تذكر أن والده كان معتاداً على مقارنة أعمال أخته المتوفاة بأعمال الشاعر العظيم. وقد أعطاني دلالة أخرى على الطريقة الصحيحة لتفسير التكريم الذي قدمه ظاهرياً للشاعر، وذلك من خلال خطأ في

قصته تمكنت من اكتشافه في هذه المرحلة. لقد ذكر مراراً من قبل أن أخته أطلقت النار على نفسها؛ لكنه اضطر الآن إلى إجراء تصحيح والقول إنها تناولت السم. أما الشاعر، فقد قُتل في مبارزة.

أعود الآن إلى قصة الأخ، لكن من هذه النقطة يجب أن أتقدم قليلاً على أسس موضوعية. تبين أن عمر الصبي في الوقت الذي بدأت فيه أخته إغواءها كان ثلاث سنوات وربع السنة. حدث ذلك، كما ذُكر، في ربيع نفس العام الذي وصلت فيه المربية الإنجليزية في صيفه، والذي وجده والداه، عند عودتهما في خريفه، قد تغير فيه بشكل جذري. من الطبيعي جداً، إذن، ربط هذا التحول باستيقاظ نشاطه الجنسي الذي حدث في هذه الأثناء. كيف تفاعل الصبي مع إغراءات أخته الكبرى؟ بالرفض، هو الجواب، لكن برفض انصب على الشخص وليس على الشيء. لم تكن أخته مقبولة لديه كموضوع جنسي، ربما لأن علاقته بها كانت قد تحددت بالفعل في اتجاه عدائي بسبب تنافسهما على حب والديهما. نأى بنفسه عنها، وعلاوة على ذلك، سرعان ما

توقفت طلباتها. لكنه حاول أن يكسب، بدلاً منها، شخصاً آخر كان يكن له مودة أكبر؛ والمعلومات التي قدمتها له أخته نفسها، والتي ادعت فيها أن مربيته كانت نموذجاً، وجهت اختياره في ذلك الاتجاه. لذلك بدأ يلعب بقضيبه بحضور مربيته، وهذا، مثل العديد من الحالات الأخرى التي لا يخفي فيها الأطفال استمناءهم، يجب اعتباره محاولة إغواء. خيبت مربيته أمله؛ عبست، وأوضحت أن ذلك ليس جيداً؛ وأضافت أن الأطفال الذين يفعلون ذلك يصابون بـ "جرح" في ذلك المكان.

يمكن تتبع تأثير هذه المعلومة، التي بلغت حد التهديد، في اتجاهات مختلفة. تبعاً لذلك، تقلص اعتماده على مربيته. ربما كان غاضباً منها؛ ولاحقاً، عندما بدأت نوبات غضبه، اتضح أنه كان مستاءً منها حقاً. لكن كان من سماته أن كل موقف للرغبة الجنسية وجد نفسه مضطراً إلى التخلي عنه كان يدافع عنه في البداية بعناد ضد التطور الجديد. عندما ظهرت المربية على الساحة وأساءت إلى مربيته، وطردتها من الغرفة، وحاولت تدمير سلطتها، قام هو، على العكس من ذلك، بتضخيم حبه لضحية

هذه الهجمات واتخذ موقفاً فظاً ومتحدياً تجاه المربية العدوانية. ومع ذلك، بدأ سراً في البحث عن موضوع جنسي آخر. لقد منحه إغواؤه هدفاً جنسياً سلبياً يتمثل في أن يُلمس في أعضائه التناسلية؛ وسنسمع قريباً فيما يتعلق بمن حاول تحقيق هذا الهدف، وما هي المسارات التي قادته إلى هذا الاختيار.

يتفق تماماً مع توقعاتنا عندما نعلم أنه، بعد إثاراته التناسلية الأولى، بدأت أبحاثه الجنسية، وسرعان ما واجه مشكلة الإخصاء. في هذا الوقت، نجح في مراقبة فتاتين - أخته وصديقة لها - وهما تتبولان. ربما مكنه ذكاؤه من جمع الحقائق الحقيقية من هذا المشهد، لكنه تصرف كما نعرف أن الأطفال الذكور الآخرين يتصرفون في هذه الظروف. رفض فكرة أنه رأى أمامه تأكيداً للجرح الذي هددته به مربيته، وشرح لنفسه أن هذا هو "الفرج الأمامي" للفتيات. لم يتم حسم موضوع الإخصاء بهذا القرار؛ فقد وجد إشارات جديدة إليه في كل ما سمعه. ذات مرة عندما أُعطي الأطفال بعض أعواد السكر الملونة، أعلنت المربية، التي كانت تميل إلى الأوهام المضطربة، أنها قطع من الثعابين

المقطعة. تذكر لاحقاً أن والده التقى ذات مرة بثعبان أثناء سيره على ممر للمشاة، وضربه حتى الموت بعصاه. سمع قصة (من حكايات رينارد الثعلب) تُقرأ بصوت عالٍ، عن كيف أراد الذئب أن يصطاد السمك في الشتاء، واستخدم ذيله كطعم، وكيف انقطع ذيله في الجليد بهذه الطريقة. تعلم الأسماء المختلفة التي تميز بها الخيول، وفقاً لما إذا كانت أعضائها التناسلية سليمة أم لا. وهكذا انشغل بأفكار حول الإخصاء، لكنه لم يكن لديه حتى الآن أي اعتقاد به ولا أي خوف منه. نشأت لديه مشاكل جنسية أخرى من الحكايات الخرافية التي تعرف عليها في هذا الوقت. في "ذات الرداء الأحمر الصغير" و "الماعز الصغيرات السبعة" أُخرج الأطفال من جسد الذئب. هل كان الذئب مخلوقاً أنثوياً، إذن، أم هل يمكن للرجال أيضاً أن ينجبوا أطفالاً في أجسادهم؟ في هذا الوقت لم تكن المسألة قد حُسمت بعد. علاوة على ذلك، في وقت هذه الاستفسارات لم يكن لديه حتى الآن أي خوف من الذئاب.

ستجعل إحدى معلومات المريض من السهل علينا فهم التغيير في شخصيته الذي ظهر خلال غياب والديه كنتيجة غير مباشرة إلى حد ما لإغوائه. قال إنه توقف عن الاستمناء بعد وقت قصير جداً من رفض مربيته وتهديدها. لذلك، فإن حياته الجنسية، التي بدأت تخضع لتأثير المنطقة التناسلية، استسلمت لعائق خارجي، وارتدت بتأثيره إلى مرحلة سابقة من التنظيم ما قبل التناسلي. نتيجة لقمع استمنائه، اتخذت حياة الصبي الجنسية طابعاً سادياً شرجياً. أصبح سريع الانفعال ومعذباً، وأرضى نفسه بهذه الطريقة على حساب الحيوانات والبشر. كان موضوعه الرئيسي مربيته الحبيبة، وعرف كيف يعذبها حتى تنفجر بالبكاء. بهذه الطريقة انتقم منها لرفضها له، وفي الوقت نفسه أرضى شهوته الجنسية بالشكل الذي يتوافق مع مرحلته النكوصية الحالية. بدأ يكون قاسياً على الحيوانات الصغيرة، ويمسك بالذباب وينزع أجنحته، ويسحق الخنافس تحت قدميه؛ وفي خياله كان يحب ضرب الحيوانات الكبيرة (الخيول) أيضاً. كل هذه، إذن، كانت

إجراءات نشطة وسادية؛ وسنناقش دوافعه الشرجية في هذه الفترة في سياق لاحق.

من الحقائق الهامة للغاية أن بعض التخيلات المعاصرة من نوع مختلف تماماً ظهرت أيضاً في ذاكرة المريض. كان مضمون هذه التخيلات هو معاقبة وضرب الأولاد، وخاصة ضربهم على القضيب. ومن تخيلات أخرى، مثلت وريث العرش محبوساً في غرفة ضيقة ويُضرب، كان من السهل تخمين من كانت الشخصيات المجهولة بمثابة كبش فداء لهم. كان وريث العرش هو نفسه بوضوح؛ لذلك تحولت ساديته في الخيال ضده، وتحولت إلى ماسوشية. فكرة تلقي العضو الجنسي نفسه للضرب بررت الاستنتاج بأن إحساساً بالذنب، يتعلق باستمنائه، كان بالفعل متورطاً في هذا التحول.

لم يتبق أي شك في التحليل في أن هذه الميول السلبية ظهرت في نفس وقت الميول النشطة السادية، أو بعد وقت قصير جداً منها.[1] يتفق هذا مع التناقض الوجداني الواضح والمكثف والثابت بشكل غير عادي لدى المريض، والذي ظهر هنا لأول مرة في

التطور المتوازن لكلا عنصري أزواج الغرائز المتناقضة. كان هذا السلوك أيضاً سمة مميزة لحياته اللاحقة، وكذلك هذه السمة الأخرى: لم يتم استبدال أي موقف للرغبة الجنسية تم إنشاؤه مرة واحدة بشكل كامل بموقف لاحق. بل بقي موجوداً جنباً إلى جنب مع جميع المواقف الأخرى، وهذا سمح له بالحفاظ على تذبذب مستمر تبين أنه غير متوافق مع اكتساب شخصية مستقرة.

[1] أقصد بالميول السلبية الميول التي لها هدف جنسي سلبي؛ لكن بقولي هذا، فإنني أضع في اعتباري تحولاً ليس للغريزة بل لهدفها فقط.

تقود ميول الصبي الماسوشية إلى نقطة أخرى، تجنبت ذكرها حتى الآن، لأنها لا يمكن تأكيدها إلا من خلال تحليل المرحلة اللاحقة من تطوره. لقد ذكرت بالفعل أنه بعد رفض مربيته له، انفصل توقع رغبته الجنسية عنها وبدأ في التفكير في شخص آخر كموضوع جنسي. كان هذا الشخص هو والده، الذي كان في ذلك الوقت بعيداً عن المنزل. لا شك أنه قاده إلى هذا الاختيار عدد

من العوامل المتقاربة، بما في ذلك عوامل عشوائية مثل تذكر الثعبان وهو يُقطع إلى أشلاء؛ لكن قبل كل شيء، تمكن بهذه الطريقة من تجديد اختياره الأول والأكثر بدائية للموضوع، والذي، بما يتفق مع نرجسية الطفل الصغير، حدث على طريق التماهي. لقد سمعنا بالفعل أن والده كان نموذجه الذي أعجب به، وأنه عندما سُئل عما يريد أن يكون، كان يجيب: رجل نبيل مثل والده. أصبح موضوع التماهي لتياره النشط هو الموضوع الجنسي لتيار سلبي في مرحلته الشرجية السادية الحالية. يبدو كما لو أن إغواء أخته له قد أجبره على لعب دور سلبي، ومنحه هدفاً جنسياً سلبياً. تحت التأثير المستمر لهذه التجربة، سلك طريقاً من أخته عبر مربيته إلى والده - من موقف سلبي تجاه النساء إلى نفس الموقف تجاه الرجال - ومع ذلك، فقد وجد بهذه الطريقة صلة بمرحلته التطورية السابقة والعفوية. أصبح والده الآن موضوعه مرة أخرى؛ بما يتفق مع مرحلته التطورية الأعلى، تم استبدال التماهي باختيار الموضوع؛ بينما كان تحول موقفه النشط إلى موقف سلبي هو نتيجة وسجل الإغواء الذي حدث في

هذه الأثناء. لم يكن من السهل بطبيعة الحال تحقيق موقف نشط في المرحلة السادية تجاه والده القوي للغاية. عندما عاد والده إلى المنزل في أواخر الصيف أو الخريف، وُضعت نوبات غضب المريض ومشاهد غضبه في استخدام جديد. لقد خدمت أغراضاً سادية نشطة فيما يتعلق بمربيته؛ وفيما يتعلق بوالده، كان غرضها ماسوشياً. بإظهار شقاوته، كان يحاول إجبار والده على معاقبته وضربه، وبالتالي الحصول منه على الإشباع الجنسي الماسوشي الذي يرغب فيه. لذلك كانت نوبات صراخه ببساطة محاولات إغواء. علاوة على ذلك، ووفقاً للدوافع الكامنة وراء الماسوشية، كان هذا الضرب سيرضي أيضاً إحساسه بالذنب. لقد احتفظ بذكرى كيف، خلال إحدى مشاهد الشقاوة هذه، ضاعف صراخه بمجرد أن اقترب منه والده. لكن والده لم يضربه، بل حاول تهدئته باللعب بالكرة أمامه بوسائد سريره.

لا أعرف كم مرة قد لا يجد الآباء والمربون، الذين يواجهون شقاوة غير قابلة للتفسير من جانب الطفل، مناسبة لوضع هذه الحالة النموذجية في الاعتبار. إن الطفل الذي يتصرف بهذه

الطريقة الجامحة يعترف ويحاول إثارة العقاب. إنه يأمل في الضرب كوسيلة متزامنة لتهدئة إحساسه بالذنب وإرضاء ميله الجنسي الماسوشي.

نحن مدينون بالتفسير الإضافي للحالة بذكرى ظهرت بوضوح كبير. كان مضمونها أن علامات التغيير في شخصية المريض لم تصحبها أي أعراض قلق إلا بعد وقوع حدث معين. يبدو أنه في السابق لم يكن هناك قلق، بينما مباشرة بعد الحدث ظهر القلق في أشد أشكاله تعذيباً. يمكن تحديد تاريخ هذا التحول على وجه اليقين؛ كان ذلك مباشرة قبل عيد ميلاده الرابع. بأخذ هذا كنقطة ثابتة، نستطيع تقسيم فترة طفولته التي نهتم بها إلى مرحلتين: مرحلة أولى من الشقاوة والانحراف من إغوائه في سن الثالثة والربع حتى عيد ميلاده الرابع، ومرحلة لاحقة أطول غلبت فيها علامات العصاب. لكن الحدث الذي يجعل هذا التقسيم ممكناً لم يكن صدمة خارجية، بل حلماً، استيقظ منه في حالة من القلق.

الفصل الثالث

الحلم والمشهد البدائي

لقد نشرت هذا الحلم في مكان آخر،[1] بسبب الكمية الكبيرة من المواد المستمدة من الحكايات الخرافية الموجودة فيه؛ وسأبدأ بتكرار ما كتبته في تلك المناسبة:

"حلمت أنه كان ليلاً وأنني كنت مستلقياً في سريري. (كان سريري موجهاً بقدمه نحو النافذة؛ أمام النافذة كان هناك صف من أشجار الجوز القديمة. أعرف أنه كان شتاءً عندما حلمت، وكان الوقت ليلاً.) فجأة انفتحت النافذة من تلقاء نفسها، وشعرت بالرعب لرؤية بعض الذئاب البيضاء جالسة على شجرة الجوز الكبيرة أمام النافذة. كان هناك ستة أو سبعة منها. كانت الذئاب بيضاء تماماً، وبدت أشبه بالثعالب أو كلاب الرعي، لأن لديها ذيولاً كبيرة مثل الثعالب وكانت آذانها منتصبة مثل الكلاب عندما تنتبه لشيء ما. في رعب شديد، من الواضح خوفاً من أن تلتهمها الذئاب، صرخت واستيقظت. هرعت ممرضتي إلى فراشي لترى ما

حدث لي. استغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن أقتنع بأنه كان مجرد حلم؛ لقد كان لدي صورة واضحة وحية للنافذة وهي تنفتح والذئاب جالسة على الشجرة. أخيراً هدأت، وشعرت كما لو أنني نجوت من خطر ما، ونمت مرة أخرى.

"كان الفعل الوحيد في الحلم هو فتح النافذة؛ لأن الذئاب جلست صامتة تماماً وبدون أي حركة على أغصان الشجرة، على يمين ويسار الجذع، ونظرت إلي. بدا الأمر كما لو أنها وجهت كل انتباهها إلي. - أعتقد أن هذا كان أول حلم قلق لي. كنت في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة من عمري على الأكثر في ذلك الوقت. ومنذ ذلك الحين وحتى الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمري، كنت دائماً أخشى رؤية شيء فظيع في أحلامي."

أضاف رسماً للشجرة مع الذئاب، أكد وصفه (الشكل 1). كشف تحليل الحلم عن المادة التالية.

لقد ربط هذا الحلم دائماً بذكرى أنه خلال سنوات طفولته هذه كان يخاف بشدة من صورة ذئب في كتاب حكايات خرافية. كانت أخته الكبرى، التي كانت متفوقة عليه كثيراً، تعتاد على مضايقته

برفع هذه الصورة بالذات أمامه بحجة أو بأخرى، بحيث كان يشعر بالرعب ويبدأ في الصراخ. في هذه الصورة كان الذئب واقفاً منتصباً، يخطو بقدم واحدة، مع مخالبه ممدودة وأذنيه منتصبتين. اعتقد أن هذه الصورة يجب أن تكون رسماً توضيحياً لقصة "ذات الرداء الأحمر الصغير".

[1] "وقوع مواد من الحكايات الخرافية في الأحلام" (1913د).

لماذا كانت الذئاب بيضاء؟ هذا جعله يفكر في الأغنام، التي كانت قطعان كبيرة منها تُربى في محيط المزرعة. كان والده يصطحبه أحياناً لزيارة هذه القطعان، وفي كل مرة يحدث ذلك كان يشعر بالفخر والسعادة الغامرة. لاحقاً - وفقاً للاستفسارات التي أجريت، ربما كان ذلك قبل وقت الحلم بوقت قصير - انتشر وباء بين الأغنام. استدعى والده أحد أتباع باستور، الذي قام بتطعيم الحيوانات، لكن بعد التطعيم مات منها عدد أكبر مما كان عليه من قبل.

كيف وصلت الذئاب إلى الشجرة؟ هذا ذكره بقصة سمعها من جده. لم يستطع تذكر ما إذا كانت قبل الحلم أم بعده، لكن

موضوعها حجة قاطعة لصالح الرأي الأول. كانت القصة على النحو التالي: كان خياط جالساً يعمل في غرفته، عندما انفتحت النافذة وقفز ذئب إلى الداخل. ضربه الخياط بعصاه - لا (صحح نفسه)، أمسكه بذنبه وقطعه، فهرب الذئب في رعب. بعد فترة من الوقت ذهب الخياط إلى الغابة، وفجأة رأى قطيعاً من الذئاب يقترب منه؛ فتسلق شجرة للنجاة منهم. في البداية كانت الذئاب في حيرة؛ لكن الذئب المشوه، الذي كان بينهم وأراد الانتقام من الخياط، اقترح أن يتسلقوا الواحد فوق الآخر حتى يتمكن الأخير من الوصول إليه. هو نفسه - كان رجلاً عجوزاً قوياً - سيكون قاعدة الهرم. فعلت الذئاب كما اقترح، لكن الخياط تعرف على الزائر الذي عاقبه، وصرخ فجأة كما فعل من قبل: "أمسكوا الرمادي بذنبه!". هرب الذئب بلا ذيل، مذعوراً من الذكرى، وسقط الآخرون جميعاً.

في هذه القصة تظهر الشجرة، التي كانت الذئاب جالسة عليها في الحلم. لكنها تحتوي أيضاً على تلميح لا لبس فيه إلى عقدة

الإخصاء. قطع الخياط ذيل الذئب العجوز. ربما كانت ذيول الثعالب للذئاب في الحلم تعويضات عن هذا فقدان الذيل.

لماذا كان هناك ستة أو سبعة ذئاب؟ بدا أنه لا يوجد إجابة لهذا السؤال، حتى أثرت شكاً فيما إذا كانت الصورة التي أخافته يمكن أن تكون مرتبطة بقصة "ذات الرداء الأحمر الصغير". لا تقدم هذه الحكاية الخرافية سوى فرصة لرسومين توضيحيتين - لقاء ذات الرداء الأحمر الصغير بالذئب في الغابة، والمشهد الذي يستلقي فيه الذئب في السرير مرتدياً قبعة جدتها الليلية. يجب أن تكون هناك إذن حكاية خرافية أخرى وراء تذكره للصورة. سرعان ما اكتشف أنها لا يمكن أن تكون سوى قصة "الذئب والماعز الصغيرات السبع". هنا يظهر الرقم سبعة، وكذلك الرقم ستة، لأن الذئب لم يأكل سوى ست من الماعز الصغيرات، بينما اختبأت السابعة في علبة الساعة. اللون الأبيض أيضاً يظهر في هذه القصة، لأن الذئب جعل كفه أبيض عند الخباز بعد أن تعرفت عليه الماعز الصغيرات في زيارته الأولى من خلال كفه الرمادي. علاوة على ذلك، تشترك الحكايتان الخرافيتان في الكثير

من القواسم المشتركة. في كلتاهما يوجد الأكل، وشق البطن، وإخراج الأشخاص الذين تم أكلهم واستبدالهم بحجارة ثقيلة، وأخيراً في كلتيهما يهلك الذئب الشرير. بالإضافة إلى كل هذا، في قصة الماعز الصغيرات تظهر الشجرة. استلقى الذئب تحت شجرة بعد وجبته وشخر.

سأضطر، لسبب خاص، إلى تناول هذا الحلم مرة أخرى في مكان آخر، وتفسيره والنظر في أهميته بتفصيل أكبر. لأنه أول حلم قلق تذكره الحالم من طفولته، ومحتواه، بالنظر إليه بالارتباط بأحلام أخرى تبعته بعد ذلك بوقت قصير وبأحداث معينة في سنواته الأولى، له أهمية خاصة للغاية. يجب أن نقتصر هنا على علاقة الحلم بالحكايتين الخرافيتين اللتين تشتركان في الكثير من القواسم المشتركة، "ذات الرداء الأحمر الصغير" و "الذئب والماعز الصغيرات السبع". ظهر التأثير الذي أحدثته هذه القصص على الحالم الصغير في شكل رهاب منتظم للحيوانات. لم يتميز هذا الرهاب عن الحالات المماثلة الأخرى إلا بحقيقة أن

حيوان القلق لم يكن شيئاً يسهل ملاحظته (مثل حصان أو كلب)، بل كان معروفاً له فقط من القصص والكتب المصورة.

سأناقش في مناسبة أخرى تفسير هذه الرهابات الحيوانية والأهمية المرتبطة بها. سألاحظ فقط بشكل استباقي أن هذا التفسير يتناغم تماماً مع السمة الرئيسية التي أظهرها العصاب الذي عانى منه الحالم الحالي لاحقاً في حياته. كان خوفه من والده أقوى دافع لمرضه، وكان موقفه المتناقض تجاه كل بديل للأب السمة المهيمنة في حياته وكذلك في سلوكه أثناء العلاج.

إذا كان الذئب في حالة مريضي مجرد بديل أول للأب، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما إذا كان المحتوى الخفي في حكايات الذئب الذي أكل الماعز الصغيرات وفي "ذات الرداء الأحمر الصغير" قد لا يكون ببساطة خوفاً طفولياً من الأب.[1] علاوة على ذلك، كان والد مريضي يتمتع بالصفة المميزة، التي يظهرها الكثير من الناس تجاه أطفالهم، وهي الانغماس في "الإساءة العاطفية"؛ ومن الممكن أنه خلال سنوات المريض الأولى (على الرغم من أنه أصبح قاسياً لاحقاً) ربما أكثر من مرة، بينما كان والده يداعب

الصبي الصغير أو يلعب معه، قد هدد على سبيل المزاح بـ "ابتلاعه". أخبرتني إحدى مريضاتي أن طفليها لم يتمكنا أبداً من التعلق بجدهما، لأنه خلال مداعباتهما العاطفية كان يخيفهما بقوله إنه سيشق بطونهما.

[1] قارن التشابه بين هاتين الحكايتين الخرافيتين وأسطورة كرونوس، التي أشار إليها رانك (1912).

بترك كل ما في هذا الاقتباس جانباً مما يستبق المضامين الأبعد للحلم، دعنا نعود إلى تفسيره المباشر. أود أن أشير إلى أن هذا التفسير كان مهمة استغرقت عدة سنوات. روى المريض الحلم في مرحلة مبكرة جداً من التحليل وسرعان ما شاركني قناعتي بأن أسباب عصابه الطفولي كانت مخفية وراءه. خلال العلاج عدنا مراراً إلى الحلم، لكن لم يكن من الممكن فهمه تماماً إلا خلال الأشهر الأخيرة من التحليل، وفقط حينها بفضل العمل التلقائي من جانب المريض. لقد أكد دائماً على حقيقة أن عاملين في الحلم أثرا فيه أشد التأثير: أولاً، السكون والجمود التام للذئاب،

وثانياً، الانتباه المشدود الذي نظروا به جميعاً إليه. بدا له أيضاً أن الإحساس الدائم بالواقعية الذي خلفه الحلم يستحق الملاحظة. دعنا نتخذ هذه الملاحظة الأخيرة كنقطة انطلاق. نعلم من تجربتنا في تفسير الأحلام أن هذا الإحساس بالواقعية يحمل معه دلالة خاصة. إنه يؤكد لنا أن جزءاً من المادة الكامنة للحلم يدعي في ذاكرة الحالم امتلاك صفة الواقعية، أي أن الحلم يتعلق بحدث وقع بالفعل ولم يكن مجرد تخيل. بطبيعة الحال، لا يمكن أن تكون المسألة إلا واقعية شيء غير معروف؛ على سبيل المثال، الاقتناع بأن جده روى له بالفعل قصة الخياط والذئب، أو أن قصص "ذات الرداء الأحمر الصغير" و "الماعز الصغيرات السبع" قرئت عليه بالفعل بصوت عالٍ، لن يكون من طبيعة يتم استبدالها بهذا الإحساس بالواقعية الذي استمر بعد الحلم. بدا الحلم يشير إلى حدث تم التأكيد على واقعيته بشدة باعتبارها تناقضاً واضحاً مع عدم واقعية الحكايات الخرافية.

إذا كان من المفترض أن وراء محتوى الحلم يكمن مشهد غير معروف من هذا القبيل - أي مشهد كان قد نُسي بالفعل وقت

الحلم - فيجب أن يكون قد وقع مبكراً جداً. يتذكر القارئ أن الحالم قال: "كنت في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة من عمري على الأكثر عندما حلمت". ويمكننا أن نضيف: "وقد ذكرني الحلم بشيء يجب أن يكون قد انتمى إلى فترة أبكر من ذلك."

يجب أن تقود أجزاء المحتوى الظاهر للحلم التي أكد عليها الحالم، وهما عاملا النظرة المنتبهة والجمود، إلى محتوى هذا المشهد. يجب أن نتوقع بطبيعة الحال أن هذه المادة تعيد إنتاج المادة غير المعروفة للمشهد بشكل مشوه، ربما حتى مشوهة إلى عكسها.

كانت هناك أيضاً عدة استنتاجات يمكن استخلاصها من المادة الخام التي أنتجها تحليل المريض الأول للحلم، وكان يجب دمجها في التجميع الذي كنا نبحث عنه. وراء ذكر تربية الأغنام، كان من المتوقع وجود دليل على أبحاثه الجنسية، واهتمامه بها الذي تمكن من إشباعه خلال زياراته مع والده؛ ولكن يجب أن تكون هناك أيضاً إشارات إلى الخوف من الموت، لأن الجزء الأكبر من الأغنام مات بسبب الوباء. الشيء الأكثر بروزاً في الحلم، الذئاب

على الشجرة، قاد مباشرة إلى قصة جده؛ وما كان فاتناً في هذه القصة وقادراً على إثارة الحلم لا يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى علاقته بموضوع الإخصاء.

استنتجنا أيضاً من التحليل الأول غير الكامل للحلم أن الذئب ربما كان بديلاً للأب؛ بحيث أن هذا أول حلم قلق، في هذه الحالة، كان سيكشف عن خوفه من والده الذي سيهيمن على حياته من ذلك الوقت فصاعداً. هذا الاستنتاج، في الواقع، لم يكن ملزماً في حد ذاته بعد. ولكن إذا جمعنا نتيجة للتحليل المؤقت ما يمكن استخلاصه من المادة التي أنتجها الحالم، فإننا نجد أمامنا لإعادة البناء شظايا من هذا القبيل:

حدث حقيقي - يعود إلى فترة مبكرة جداً - نظر - جمود - مشاكل جنسية - إخصاء - والده - شيء فظيع.

في أحد الأيام بدأ المريض في مواصلة تفسير الحلم. اعتقد أن جزء الحلم الذي يقول "فجأة انفتحت النافذة من تلقاء نفسها" لم يتم تفسيره بالكامل من خلال ارتباطه بالنافذة التي كان يجلس عليها الخياط والتي دخل الذئب من خلالها إلى الغرفة. "يجب أن

يعني: 'انفتحت عيناي فجأة.' كنت نائماً إذن، واستيقظت فجأة، وبينما كنت أستيقظ رأيت شيئاً: الشجرة مع الذئاب." لم يكن من الممكن الاعتراض على هذا؛ لكن النقطة يمكن تطويرها أكثر. لقد استيقظ ورأى شيئاً. يجب تحويل النظرة المنتبهة، التي نُسبت في الحلم إلى الذئاب، إليه هو بدلاً من ذلك.

في نقطة حاسمة، إذن، حدث تبديل؛ وعلاوة على ذلك، يشير إلى ذلك تبديل آخر في المحتوى الظاهر للحلم. فحقيقة أن الذئاب كانت جالسة على الشجرة كانت أيضاً تبديلاً، لأنه في قصة جده كانت تحت الشجرة، ولم تتمكن من التسلق عليها.

إذن، ماذا لو تم تشويه العامل الآخر الذي أكد عليه الحالم أيضاً عن طريق تبديل أو عكس؟ في هذه الحالة، بدلاً من الجمود (جلست الذئاب هناك بلا حراك؛ نظرت إليه، لكنها لم تتحرك)، كان يجب أن يكون المعنى: الحركة الأكثر عنفاً. أي أنه استيقظ فجأة، ورأى أمامه مشهداً لحركة عنيفة نظر إليه بانتباه مشدود. في الحالة الأولى، سيتكون التشويه من تبادل بين الموضوع والمفعول به، بين النشاط واللامبالاة: أن يُنظر إليه بدلاً من أن

ينظر. وفي الحالة الأخرى، سيتكون من تحويل إلى العكس؛ سكون بدلاً من حركة.

في مناسبة أخرى، قادنا ارتباط طرأ عليه فجأة خطوة أخرى إلى الأمام في فهمنا للحلم: "الشجرة كانت شجرة عيد الميلاد." عرف الآن أنه حلم الحلم قبل عيد الميلاد بوقت قصير وفي انتظاره. بما أن يوم عيد الميلاد كان أيضاً عيد ميلاده، فقد أصبح من الممكن الآن تحديد تاريخ الحلم والتغيير الذي طرأ عليه منه على وجه اليقين. كان ذلك مباشرة قبل عيد ميلاده الرابع. لقد نام إذن، في توقع متوتر لليوم الذي كان من المفترض أن يجلب له ضعف كمية الهدايا. نعلم أنه في مثل هذه الظروف قد يتوقع الطفل بسهولة تحقيق رغباته. لذلك كان عيد الميلاد بالفعل في حلمه؛ أظهر له محتوى الحلم صندوق عيد الميلاد الخاص به، الهدايا التي ستكون له معلقة على الشجرة. لكن بدلاً من الهدايا تحولت إلى - ذئاب، وانتهى الحلم باستسلامه لخوف من أن يأكله الذئب (ربما والده)، وبهروبه طلباً للجوء إلى ممرضته. معرفتنا بتطوره الجنسي قبل الحلم تمكننا من ملء الفراغات في الحلم وتفسير

تحول رضاه إلى قلق. من بين الرغبات التي ساهمت في تكوين الحلم، يجب أن تكون أقواها الرغبة في الإشباع الجنسي الذي كان يتوق إلى الحصول عليه من والده في ذلك الوقت. قوة هذه الرغبة جعلت من الممكن إحياء أثر منسي منذ فترة طويلة في ذاكرته لمشهد كان قادراً على أن يظهر له كيف يكون الإشباع الجنسي من والده؛ وكانت النتيجة رعباً، وخوفاً من تحقيق الرغبة، وكبتاً للدافع الذي تجلى من خلال الرغبة، وبالتالي هروباً من والده إلى ممرضته الأقل خطورة.

لقد تم الحفاظ على أهمية تاريخ يوم عيد الميلاد هذا في تذكره المفترض لتعرضه لنوبة غضب أولى لأنه كان غير راضٍ عن هدايا عيد الميلاد الخاصة به. جمع التذكر بين عناصر الحقيقة والزيف. لا يمكن أن يكون صحيحاً تماماً، لأنه وفقاً لتصريحات والديه المتكررة.

[1] كان عمر الستة أشهر محل اعتبار كبديل أقل احتمالاً بكثير، وبالكاد يمكن الدفاع عنه في الواقع.

[2] قارن التحولات اللاحقة لهذا العامل خلال العصاب الوسواسي. في أحلام المريض أثناء العلاج، حل محله رياح عنيفة. [أضيفت عام 1924:] "أيا" تعني "هواء".

[3] قد نلاحظ في هذا الصدد أن المريض رسم خمسة ذئاب فقط في رسمه التوضيحي للحلم، على الرغم من أن النص ذكر ستة أو سبعة.

[4] بملابس داخلية بيضاء: الذئاب البيضاء.

[5] لماذا ثلاث مرات؟ لقد ذكر فجأة ذات يوم أنني اكتشفت هذه التفاصيل بالتفسير. لم يكن هذا هو الحال. لقد كان ربطاً عفوياً، معفى من المزيد من النقد؛ بطريقته المعتادة، ألقى باللوم عليّ، وحاول بهذا الإسقاط أن يجعله يبدو أكثر جدارة بالثقة.

[6] أقصد أنه فهمه وقت الحلم عندما كان في الرابعة من عمره، وليس وقت الملاحظة. لقد تلقى الانطباعات عندما كان في الواحدة والنصف؛ تأخر فهمه لها، لكنه أصبح ممكناً وقت الحلم بسبب تطوره، وإثاراته الجنسية، وأبحاثه الجنسية.

ليس هناك في الأساس شيء غير عادي، ولا شيء يعطي انطباعاً بأنه نتاج خيال مبالغ فيه، في حقيقة أن زوجين شابين لم يتزوجا إلا لبضع سنوات قد أنهيا قيلولة في فترة ما بعد الظهيرة الصيفية الحارة بمشهد حب، وأنهما قد أغفلا وجود ابنهما الصغير البالغ من العمر سنة ونصف، نائماً في سريره. على العكس من ذلك، أعتقد أن مثل هذا الحدث سيكون شيئاً عادياً ومبتذلاً تماماً؛ وحتى الوضع الذي استنتجنا أن الجماع حدث فيه لا يمكن أن يغير هذا الحكم على الإطلاق - خاصة وأن الأدلة لا تتطلب أن يكون الجماع قد تم من الخلف في كل مرة. مرة واحدة كانت كافية لمنح المشاهد فرصة لإجراء ملاحظات كان سيصعب أو يستحيل إجراؤها بأي وضع آخر للعشاق. لذلك، فإن محتوى المشهد لا يمكن في حد ذاته أن يكون حجة ضد مصداقيته. ستدور الشكوك حول احتماليته حول ثلاث نقاط أخرى: ما إذا كان الطفل في سن مبكرة جداً لا تتجاوز سنة ونصف يمكن أن يكون في وضع يسمح له باستيعاب مدركات عملية معقدة كهذه والحفاظ عليها بدقة تامة في لاوعيه؛ ثانياً، ما إذا كان من الممكن

في سن الرابعة أن تخترق مراجعة مؤجلة للانطباعات المتلقاة بهذه الطريقة الفهم؛ وأخيراً، ما إذا كانت أي إجراءات يمكن أن تنجح في إحضار تفاصيل مشهد من هذا النوع، الذي تم تجربته وفهمه في مثل هذه الظروف، إلى الوعي بشكل متماسك ومقنع.[1]

[1] لا يمكن تقليل هذه الصعوبة الأولى بافتراض أن الطفل وقت ملاحظته كان على الأرجح أكبر بسنة، أي سنتين ونصف، وهو عمر ربما كان فيه قادراً تماماً على التحدث. جميع التفاصيل الثانوية لحالة مريضي استبعدت تقريباً إمكانية تغيير التاريخ بهذه الطريقة. علاوة على ذلك، يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن هذه المشاهد المتعلقة بمراقبة الجماع الأبوي ليست نادرة الظهور في التحليل بأي حال من الأحوال. ومع ذلك، فإن شرط حدوثها هو تحديداً أن تكون في أقدم فترة الطفولة. كلما كبر الطفل، وكلما كان الوالدان من مستوى اجتماعي معين، زادت الحيطة في حرمان الطفل من فرصة هذا النوع من الملاحظة.

سأفحص بعناية لاحقاً هذه الشكوك وغيرها؛ لكني أستطيع أن أؤكد للقارئ أنني لست أقل ميلاً للنقد منه تجاه قبول ملاحظة

الطفل هذه، وسأطلب منه فقط أن ينضم إلي في تبني اعتقاد مؤقت بواقعية المشهد. سننتقل أولاً إلى دراسة العلاقات بين هذا "المشهد البدائي" وحلم المريض وأعراضه وتاريخ حياته؛ وسنتتبع بشكل منفصل الآثار التي نتجت عن المحتوى الأساسي للمشهد وعن أحد انطباعاته البصرية.

بهذا الأخير أقصد الأوضاع التي رآها والديه يتخذانها - الرجل واقفاً، والمرأة منحنية كالبهيمة. لقد سمعنا بالفعل أنه خلال فترة قلقه كانت أخته تخيفه بصورة من كتاب الحكايات الخرافية، حيث كان الذئب يظهر واقفاً، بقدم واحدة إلى الأمام، بمخالبه ممدودة وأذنيه منتصبتين. كرس نفسه بمثابرة لا تكل خلال العلاج لمهمة البحث في متاجر الكتب المستعملة حتى عثر على كتاب الحكايات الخرافية المصور من طفولته، وتعرف على شبحه في رسم توضيحي لقصة "الذئب والماعز السبع الصغيرات". اعتقد أن وضع الذئب في هذه الصورة ربما ذكره بوضع والده خلال المشهد البدائي المركب. على أي حال، أصبحت الصورة نقطة انطلاق لمظاهر قلق أخرى. ذات مرة

عندما كان في السابعة أو الثامنة من عمره، أُبلغ أنه سيأتي إليه معلم جديد في اليوم التالي. في تلك الليلة حلم بهذا المعلم في شكل أسد يقترب من سريره يزأر بصوت عالٍ وفي وضع الذئب في الصورة؛ ومرة أخرى استيقظ في حالة من القلق. كان رهاب الذئاب قد تم التغلب عليه بحلول ذلك الوقت، لذا كان حراً في اختيار حيوان قلق جديد لنفسه، وفي هذا الحلم المتأخر كان يتعرف على المعلم كبديل للأب. في السنوات اللاحقة من طفولته، لعب كل من معلميه وأساتذته دور والده، وكانوا يتمتعون بتأثير والده سواء للخير أو للشر.

عندما كان في المدرسة الثانوية، وفرت له الأقدار فرصة رائعة لإعادة إحياء رهاب الذئاب لديه، واستخدام العلاقة التي تكمن وراءه كمناسبة لبعض التثبيطات الشديدة. كان المعلم الذي يدرس فصله اللاتينية يدعى "وولف" (Wolf). من البداية شعر بالرهبة منه، وقد لومه بشدة ذات مرة لأنه ارتكب خطأً غبياً في ترجمة قطعة لاتينية. من ذلك الوقت فصاعداً، لم يستطع التخلص من خوف مشلّ من هذا المعلم، وسرعان ما امتد هذا

الخوف إلى معلمين آخرين أيضاً. لكن المناسبة التي أخطأ فيها في الترجمة كانت ذات مغزى أيضاً. كان عليه أن يترجم الكلمة اللاتينية "filius"، وقام بترجمتها إلى الكلمة الفرنسية "fils" بدلاً من الكلمة المقابلة في لغته الأم. الذئب، في الواقع، كان لا يزال والده.[1]

الـ "عرض العابر"[2] الأول الذي أظهره المريض خلال العلاج عاد مرة أخرى إلى رهاب الذئاب وإلى حكاية "الماعز السبع الصغيرات". في الغرفة التي عقدت فيها الجلسات الأولى كان هناك ساعة جد كبيرة مقابل المريض، الذي كان مستلقياً على أريكة وظهره إليّ. لفت انتباهي أنه من وقت لآخر كان يوجه وجهه نحوي، وينظر إلي بطريقة ودودة للغاية وكأنه يسترضيني، ثم يحول نظره عني إلى الساعة. اعتقدت في ذلك الوقت أنه بهذه الطريقة كان يظهر لهفته لانتهاء الساعة. بعد فترة طويلة، ذكرني المريض بهذا المشهد الصامت، وأعطاني تفسيراً له؛ فقد تذكر أن أصغر الماعز السبع الصغيرات اختبأ في علبة ساعة الجد بينما أكل الذئب إخوته الستة. فما كان يقصده هو: "كن لطيفاً معي!

هل يجب أن أخاف منك؟ هل ستأكلني؟ هل سأختبئ منك في علبة الساعة مثل أصغر عنزة؟"

[1] بعد هذا التوبيخ من معلم المدرسة-الذئب، علم أن الرأي العام بين رفاقه هو أن المعلم يتوقع منه المال لتهدئته. سنعود إلى هذه النقطة لاحقاً. - أرى أن ذلك سيسهل إلى حد كبير رؤية عقلانية لمثل هذا التاريخ من تطور الطفل إذا افترضنا أن خوفه من الذئب قد نشأ بالفعل من معلم اللاتينية الذي يحمل نفس الاسم، وأنه تم إسقاطه إلى طفولته، وبدعم من الرسم التوضيحي للحكاية الخرافية، تسبب في تخيل المشهد البدائي. لكن هذا غير مقبول؛ فالأولوية الزمنية لرهاب الذئاب وإشارته إلى فترة طفولته التي قضاها في المزرعة الأولى موثقة بشكل آمن للغاية. وماذا عن حلمه في سن الرابعة؟

[2] فيرينزي (1912).

الذئب الذي كان يخاف منه كان بلا شك والده؛ لكن خوفه من الذئب كان مشروطاً بأن يكون المخلوق في وضع مستقيم. أكدت ذاكرته بشكل قاطع أنه لم يخف من صور الذئاب التي تسير على

أربع أو، كما في قصة "ذات الرداء الأحمر الصغير"، تستلقي في السرير. أما الوضع الذي، وفقاً لبنائنا للمشهد البدائي، رآه المرأة تتخذه، فلم يكن أقل أهمية؛ على الرغم من أن الأهمية في هذه الحالة كانت مقتصرة على المجال الجنسي. الظاهرة الأكثر لفتاً للانتباه في حياته الجنسية بعد البلوغ كانت قابليته لنوبات قهرية من الوقوع في الحب الجسدي، التي كانت تأتي وتختفي بتعاقب محير للغاية. أطلقت هذه النوبات طاقة هائلة فيه حتى في الأوقات التي كان فيها مثبطاً بخلاف ذلك، وكانت خارجة عن سيطرته تماماً. يجب، لسبب مهم بشكل خاص، تأجيل النظر الكامل في هذا الحب القهري؛ لكني قد أذكر هنا أنه كان يخضع لشرط محدد، كان مخفياً عن وعيه واكتُشف فقط أثناء العلاج. كان من الضروري أن تكون المرأة قد اتخذت الوضع الذي نسبناه لوالدته في المشهد البدائي. منذ بلوغه، شعر أن الأرداف الكبيرة والبارزة هي أقوى جاذبية في المرأة؛ ولم يكن الجماع إلا من الخلف يمنحه أي متعة تقريباً. في هذه النقطة قد يثار نقد بحق: قد يعترض البعض بأن التفضيل الجنسي من هذا النوع للأجزاء

الخلفية من الجسم هو سمة عامة للأشخاص الذين يميلون إلى العصاب الوسواسي، وأن وجوده لا يبرر لنا إرجاعه إلى انطباع خاص في الطفولة. إنه جزء من نسيج الميل الجنسي الشرجي وهو إحدى السمات البدائية التي تميز هذا التكوين. في الواقع، الجماع من الخلف - more ferarum [على طريقة الحيوانات] - يمكن، بعد كل شيء، أن يُعتبر الشكل الأقدم تطورياً. سنعود إلى هذه النقطة أيضاً في مناقشة لاحقة، عندما نكون قد قدمنا المادة التكميلية التي أظهرت أساس الشرط اللاواعي الذي اعتمد عليه وقوعه في الحب.

دعنا ننتقل الآن إلى مناقشتنا للعلاقات بين حلمه والمشهد البدائي. كان من المفترض حتى الآن أن يقدم الحلم للطفل (الذي كان يبتهج في عيد الميلاد بتوقع تحقيق رغباته) هذه الصورة للإشباع الجنسي المقدم عن طريق والده، تماماً كما رآه في المشهد البدائي، كنموذج للإشباع الذي كان هو نفسه يتوق إلى الحصول عليه من والده. بدلاً من هذه الصورة، ظهرت مادة القصة التي رواها له جده قبل وقت قصير: الشجرة، الذئاب،

وفقدان الذيل (في شكل مبالغ فيه للذيول الكثيفة للذئاب المفترضة). في هذه النقطة، يوجد ارتباط مفقود، جسر ربط يؤدي من محتوى المشهد البدائي إلى محتوى قصة الذئب. يوفر هذا الارتباط مرة أخرى الأوضاع وفقط الأوضاع. في قصة جده، طلب الذئب بلا ذيل من الآخرين أن يتسلقوا فوقه. كانت هذه التفصيلة هي التي استدعت ذكرى صورة المشهد البدائي؛ وبهذه الطريقة أصبح من الممكن تمثيل مادة المشهد البدائي بمادة قصة الذئب، وفي الوقت نفسه استبدال الوالدين، كما هو مرغوب، بعدة ذئاب. خضع محتوى الحلم لتحول آخر، وتم تكييف مادة قصة الذئب لتتناسب مع محتوى حكاية "الماعز السبع الصغيرات"، عن طريق اقتباس الرقم سبعة منها.[1]

خطوات تحول المادة، "المشهد البدائي - قصة الذئب - حكاية "الماعز السبع الصغيرات"، هي انعكاس لتقدم أفكار الحالم أثناء بناء الحلم: "الرغبة في الإشباع الجنسي من والده - إدراك أن الإخصاء شرط ضروري لذلك - الخوف من والده". أعتقد أننا

عند هذه النقطة فقط يمكننا اعتبار حلم القلق لهذا الصبي البالغ من العمر أربع سنوات قد تم تفسيره بشكل شامل.[2]

[1] يقول الحلم "ستة أو سبعة". ستة هو عدد الأطفال الذين أُكلوا؛ السابع هرب إلى علبة الساعة. من القوانين الصارمة لتفسير الأحلام دائماً أنه يجب إيجاد تفسير لكل تفصيلة.

[2] الآن وقد نجحنا في عمل توليفة للحلم، سأحاول تقديم وصف شامل للعلاقات بين المحتوى الظاهر للحلم وأفكار الحلم الكامنة.

كانت ليلة، وكنت مستلقياً في سريري. الجزء الأخير من هذا هو بداية استنساخ المشهد البدائي. "كانت ليلة" هي تشويه لـ "كنت نائماً". الملاحظة، "أعرف أنه كان شتاءً عندما حلمت، وكان الوقت ليلاً"، تشير إلى تذكر المريض للحلم وليست جزءاً من محتواه. وهي صحيحة، لأنها كانت إحدى الليالي التي سبقت عيد ميلاده، أي يوم عيد الميلاد.

فجأة انفتحت النافذة من تلقاء نفسها. هذا يترجم إلى: "فجأة استيقظت من تلقاء نفسي"، وهي ذكرى للمشهد البدائي. تأثير

قصة الذئب، التي قفز فيها الذئب عبر النافذة، يظهر كعامل معدّل، ويحول التعبير المباشر إلى تعبير بلاستيكي. في الوقت نفسه، يخدم إدخال النافذة غرض توفير إشارة معاصرة لمحتوى الحلم اللاحق. في ليلة عيد الميلاد، يفتح الباب فجأة ويرى المرء أمامه الشجرة مع الهدايا. هنا إذن يظهر تأثير التوقع الفعلي لعيد الميلاد (الذي يشمل الرغبة في الإشباع الجنسي).

شجرة الجوز الكبيرة. ممثل شجرة عيد الميلاد، وبالتالي ينتمي إلى الوضع الحالي. ولكن أيضاً الشجرة من قصة الذئب، التي لجأ إليها الخياط هرباً من المطاردة، والتي كانت الذئاب تحتها في حالة تأهب. علاوة على ذلك، كما تمكنت مراراً من التأكد، الشجرة العالية هي رمز للملاحظة، لشهوة النظر. الشخص الجالس على شجرة يمكنه رؤية كل ما يحدث تحته ولا يمكن رؤيته هو نفسه. قارن قصة بوكاتشيو المعروفة، والنكات المماثلة.

الذئاب عددهم ستة أو سبعة، في قصة الذئب كان هناك قطيع، ولم يُعط عدد، تحديد العدد يظهر تأثير حكاية "الماعز السبع الصغيرات"، التي أكل منها ستة. حقيقة استبدال الرقم اثنين في

المشهد البدائي بعدد أكبر، وهو ما سيكون سخيفاً في المشهد البدائي، يرحب بها المقاومة كوسيلة للتشويه. في الرسم التوضيحي للحلم، يقدم الحالم الرقم خمسة، والذي يقصد به على الأرجح تصحيح العبارة "كانت ليلة".

كانوا جالسين على الشجرة. في المقام الأول يحلون محل هدايا عيد الميلاد المعلقة على الشجرة. لكنهم أيضاً نُقلوا إلى الشجرة لأن ذلك يمكن أن يعني أنهم ينظرون. في قصة جده كانوا متمركزين تحت الشجرة. لذلك تم عكس علاقتهم بالشجرة في الحلم؛ ومن هذا يمكن الاستنتاج أن هناك المزيد من العكس للمادة الكامنة يمكن العثور عليها في محتوى الحلم.

كانوا ينظرون إليه بانتباه مشدود. هذه السمة تأتي بالكامل من المشهد البدائي، وقد دخلت الحلم بسعر قلبها تماماً.

كانوا بيضاً تماماً. هذه السمة غير جوهرية في حد ذاتها، ولكنها تؤكد بشدة في سرد الحالم. تدين كثافتها بدمج وفير للعناصر من جميع طبقات المادة، وهي تجمع تفاصيل غير مهمة من المصادر الأخرى للحلم مع جزء من المشهد البدائي أكثر أهمية. يعود هذا

الجزء الأخير من تحديدها إلى بياض أغطية سرير والديه وملابسهما الداخلية، ويضاف إلى ذلك بياض قطعان الأغنام، وكلاب الرعي، كتلميح إلى أبحاثه الجنسية بين الحيوانات، والبياض في حكاية "الماعز السبع الصغيرات"، حيث يتم التعرف على الأم من بياض يدها. لاحقاً سنرى أن الملابس البيضاء هي أيضاً إشارة إلى الموت.

جلسوا هناك بلا حراك. هذا يتناقض مع السمة الأكثر لفتاً للانتباه في المشهد الملاحظ، وهي حركته المضطربة، والتي تشكل، بحكم الأوضاع التي أدت إليها، الصلة بين المشهد البدائي وقصة الذئب.

كان لديهم ذيول مثل الثعالب. يجب أن يكون هذا تناقضاً لاستنتاج مستمد من فعل المشهد البدائي على قصة الذئب، والذي يجب الاعتراف به على أنه أهم نتيجة لأبحاث الحالم الجنسية: "إذن، يوجد بالفعل شيء اسمه إخصاء". الرعب الذي قوبل به هذا الاستنتاج اندلع أخيراً في الحلم وأنهاه.

الخوف من أن تلتهمهم الذئاب. بدا للحالم وكأن القوة الدافعة لهذا الخوف لم تستمد من محتوى الحلم. قال إنه لم يكن بحاجة إلى الخوف، لأن الذئاب بدت أشبه بالثعالب أو الكلاب، ولم تندفع إليه وكأنها تريد أن تعضه، بل كانت ساكنة جداً وليست مخيفة على الإطلاق. نلاحظ أن عمل الحلم يحاول لبعض الوقت جعل المحتوى المؤلم غير ضار بتحويله إلى عكسه. ("إنهم لا يتحركون، وفقط انظر، لديهم أجمل الذيول!") حتى يفشل هذا الحل أخيراً، ويندلع الخوف. يعبر عن نفسه بمساعدة الحكاية الخرافية، التي يُؤكل فيها أطفال الماعز من قبل الذئب-الأب. ربما يكون هذا الجزء من الحكاية الخرافية قد عمل بمثابة تذكير بالتهديدات التي أطلقها والد الطفل على سبيل المزاح عندما كان يلعب معه؛ بحيث قد يكون الخوف من أن تلتهمهم الذئاب ذكرى وكذلك بديلاً عن طريق الإزاحة.

الرغبات التي تعمل كقوى دافعة في هذا الحلم واضحة. أولاً، هناك الرغبات السطحية اليومية، وهي أن يكون عيد الميلاد مع هداياه قد حل بالفعل (حلم نفاد الصبر)، ويصاحبها الرغبة

الأعمق، الموجودة الآن بشكل دائم، في الإشباع الجنسي من والد الحالم. يتم استبدال هذا على الفور بالرغبة في رؤية ما كان مثيراً للاهتمام آنذاك مرة أخرى. تستمر العملية العقلية في طريقها. تبدأ بتحقيق هذه الرغبة الأخيرة مع استحضار المشهد البدائي، ثم تنتقل إلى ما أصبح الآن حتمياً - رفض تلك الرغبة وكبتها.

إن انتشار وتفصيل هذا التعليق قد فُرِضا علي بجهد تقديم ما يعادل القوة المقنعة لتحليل يتم إجراؤه ذاتياً للقارئ؛ ربما يخدمان أيضاً لثنيه عن طلب نشر تحليلات امتدت لعدة سنوات.[3]

بعد ما قيل بالفعل، ما عليّ إلا أن أتناول بإيجاز التأثير الممرض للمشهد البدائي والتغيير الذي أحدثه إحياؤه في تطوره الجنسي. سنقتصر فقط على تتبع أحد آثاره التي عبر عنها الحلم. لاحقاً، سيتعين علينا توضيح أنه لم يكن تيار جنسي واحد فقط هو الذي بدأ من المشهد البدائي، بل مجموعة كاملة منها، وأن حياته الجنسية تم تفتيتها إيجابياً بسببه. وسنضع في اعتبارنا أيضاً أن تنشيط هذا المشهد (أتعمد تجنب كلمة "تذكر") كان له نفس

التأثير كما لو كان تجربة حديثة. تأخرت آثار المشهد، لكنه في هذه الأثناء لم يفقد أي من حداثته في الفترة الفاصلة بين سن سنة ونصف وأربع سنوات. ربما سنجد فيما يلي سبباً لافتراض أنه أحدث بعض التأثيرات حتى وقت إدراكه، أي من سن سنة ونصف فصاعداً.

عندما تعمق المريض أكثر في وضع المشهد البدائي، كشف عن القطع التالية من الملاحظة الذاتية. لقد افترض في البداية، كما قال، أن الحدث الذي كان شاهداً عليه كان عملاً عنيفاً، لكن تعبير الاستمتاع الذي رآه على وجه والدته لم يتناسب مع هذا؛ اضطر إلى الإقرار بأن التجربة كانت تجربة إشباع.[1] ما كان جديداً بشكل أساسي بالنسبة له في ملاحظته لجماع والديه هو الاقتناع بواقعية الإخصاء - وهو احتمال كان قد شغل أفكاره سابقاً. (مشهد الفتاتين وهما تبولان، تهديد مربيته، تفسير المربية لأعواد السكر، تذكر والده وهو يضرب ثعباناً حتى الموت). فقد رأى الآن بأم عينيه الجرح الذي تحدثت عنه مربيته، وفهم أن وجوده كان شرطاً ضرورياً للجماع مع والده. لم يعد يستطيع

الخلط بينه وبين المؤخرة، كما فعل في ملاحظته للفتيات الصغيرات.[2]

[1] ربما يمكننا تحقيق العدالة لقول المريض هذا بافتراض أن موضوع ملاحظته كان في المقام الأول جماعاً في الوضع الطبيعي، وهو ما لا بد أن ينتج انطباعاً بأنه فعل سادي، وأن الوضع لم يتغير إلا بعد ذلك، بحيث أتيحت له فرصة لإجراء ملاحظات وأحكام أخرى. ومع ذلك، لم يتم تأكيد هذه الفرضية بشكل مؤكد، وعلاوة على ذلك، لا تبدو لي ضرورية. يجب ألا ننسى الوضع الفعلي الذي يكمن وراء الوصف المختصر الوارد في النص: المريض تحت التحليل، في عمر يزيد عن خمسة وعشرين عاماً، كان يضع انطباعات ودوافع عامه الرابع في كلمات لم يكن ليجدها في ذلك الوقت. إذا فشلنا في ملاحظة ذلك، فقد يبدو من المضحك وغير المعقول أن يكون طفل في الرابعة قادراً على مثل هذه الأحكام التقنية والمفاهيم المتعلمة. هذا ببساطة مثال آخر على الفعل المؤجل. في سن سنة ونصف، يتلقى الطفل انطباعاً لا يستطيع التفاعل معه بشكل كافٍ؛ ولا يستطيع فهمه والتحرك

بسببه إلا عندما يُحيى هذا الانطباع فيه في سن الرابعة؛ وبعد عشرين عاماً فقط، خلال التحليل، يصبح قادراً على استيعاب ما كان يحدث فيه في ذلك الوقت من خلال عملياته العقلية الواعية. يتجاهل المريض بحق الفترات الزمنية الثلاث، ويضع نفسه الحالي في الوضع الذي مضى عليه وقت طويل. وفي هذا نتبعه، لأنه مع الملاحظة الذاتية والتفسير الصحيح، يجب أن يكون التأثير هو نفسه كما لو كان يمكن إهمال المسافة بين الفترتين الثانية والثالثة. علاوة على ذلك، ليس لدينا وسيلة أخرى لوصف أحداث الفترة الثانية.

[2] سنتعلم لاحقاً، عندما نتبع شهوته الشرجية، كيف تعامل بعد ذلك مع هذا الجزء من المشكلة.

انتهى الحلم في حالة من القلق، لم يتعافَ منها إلا بعد أن كانت مربيته معه. لقد فرّ، إذن، من والده إليها. كان قلقه رفضاً للرغبة في الإشباع الجنسي من والده - الميل الذي وضع الحلم في رأسه. الشكل الذي اتخذه القلق، وهو الخوف من "أن يُؤكل من قبل الذئب"، لم يكن سوى النقل (كما سنسمع، نكوصي) للرغبة في

أن يجامعه والده، أي أن يحصل على إشباع جنسي بنفس طريقة والدته. هدفُه الجنسي الأخير، الموقف السلبي تجاه والده، خضع للكبت، وظهر الخوف من والده بدلاً من ذلك في شكل رهاب الذئاب.

وما هي القوة الدافعة لهذا الكبت؟ تظهر ظروف الحالة أنه لا يمكن أن يكون سوى شهوته الجنسية النرجسية التي، في شكل قلق على عضوه الذكري، كانت تقاوم إشباعاً بدا أن تحقيقه ينطوي على التخلي عن ذلك العضو. ومن نرجسيته المهددة استمد الذكورة التي دافع بها عن نفسه ضد موقفه السلبي تجاه والده.

نلاحظ الآن أنه عند هذه النقطة في سردنا يجب أن نجري تعديلاً في مصطلحاتنا. خلال الحلم وصل إلى مرحلة جديدة في تنظيمه الجنسي. حتى ذلك الحين كانت الأضداد الجنسية بالنسبة له هي النشاط والسلبية. منذ إغوائه، كان هدفه الجنسي سلبياً، وهو لمسه على الأعضاء التناسلية؛ ثم تحول، عن طريق النكوص إلى المرحلة الأقدم من التنظيم السادي-الشرجي، إلى الهدف

الماسوشي المتمثل في الضرب أو العقاب. لم يكن يهمه ما إذا كان يحقق هذا الهدف مع رجل أو امرأة. لقد سافر، دون اعتبار لاختلاف الجنس، من مربيته إلى والده؛ لقد تاق إلى لمس قضيبه من قبل مربيته، وحاول إثارة ضرب من والده. هنا تم إهمال أعضائه التناسلية؛ على الرغم من أن الارتباط بها الذي كان مخفياً بواسطة النكوص لا يزال معبراً عنه في تخيله للضرب على القضيب. تنشيط المشهد البدائي في الحلم أعاده الآن إلى التنظيم التناسلي. اكتشف المهبل والأهمية البيولوجية للذكورة والأنوثة. فهم الآن أن النشاط هو نفسه الذكورة، بينما السلبية هي نفسها الأنوثة. كان يجب أن يتحول هدفه الجنسي السلبي الآن إلى هدف أنثوي، وأن يعبر عن نفسه بـ "أن يجامعه والده" بدلاً من "أن يضربه على الأعضاء التناسلية أو على المؤخرة". ومع ذلك، خضع هذا الهدف الأنثوي للكبت واضطر إلى السماح باستبداله بالخوف من الذئب.

يجب علينا هنا أن نوقف مناقشة تطوره الجنسي حتى يتم إلقاء ضوء جديد من المراحل اللاحقة من تاريخه على هذه المراحل

المبكرة. للتقدير الصحيح لرهاب الذئاب، سنضيف فقط أن كلا من والده ووالدته أصبحا ذئاباً. لعبت والدته دور الذئب المخصي، الذي سمح للآخرين بالتسلق فوقه؛ بينما لعب والده دور الذئب الذي يتسلق. لكن خوفه، كما سمعناه يؤكد لنا، يتعلق فقط بالذئب الواقف، أي بوالده. يجب أن يلفت انتباهنا أيضاً أن الخوف الذي انتهى به الحلم كان له نموذج في قصة جده. ففي هذه القصة، أصيب الذئب المخصي، الذي سمح للآخرين بالتسلق فوقه، بالخوف بمجرد أن تذكر حقيقة فقدان ذيله. يبدو، إذن، كما لو أنه قد تماهى مع والدته المخصية خلال الحلم، وكان يقاتل الآن ضد تلك الحقيقة. "إذا كنت تريد أن تحصل على إشباع جنسي من الأب"، قد نمثله وهو يقول لنفسه، "يجب أن تسمح لنفسك بأن تُخصى مثل الأم؛ لكني لن أقبل بذلك". باختصار، احتجاج واضح من جانب رجولته! ومع ذلك، دعنا نفهم بوضوح أن التطور الجنسي للحالة التي نفحصها الآن ينطوي على عيب كبير من وجهة نظر البحث، لأنه لم يكن مضطرباً بأي حال من الأحوال. لقد تأثر بشكل حاسم أولاً

بالإغواء، ثم انحرف بسبب مشهد ملاحظة الجماع، الذي عمل في تأثيره المؤجل كإغواء ثانٍ.

بعض النقاشات

قيل إن الحوت والدب القطبي لا يستطيعان خوض حرب ضد بعضهما البعض، لأنهما لا يلتقيان بما أن كل منهما محصور في بيئته الخاصة. ومن المستحيل عليّ بنفس القدر أن أجادل مع العاملين في مجال علم النفس أو الأمراض العصبية الذين لا يعترفون بفرضيات التحليل النفسي وينظرون إلى نتائجه على أنها مصنوعات. ولكن خلال السنوات القليلة الماضية، نشأ نوع آخر من المعارضة أيضاً، بين أناس، في رأيهم على الأقل، يقفون على أرضية التحليل، ولا يختلفون حول تقنيته أو نتائجه، ولكنهم يعتقدون فقط أنهم مبررون في استخلاص استنتاجات أخرى من نفس المادة وإخضاعها لتفسيرات أخرى.

كقاعدة عامة، الجدل النظري غير مثمر. فبمجرد أن يبدأ المرء في الابتعاد عن المادة التي ينبغي أن يعتمد عليها، فإنه يخاطر بالانغماس في تأكيداته الخاصة، وفي النهاية، يدعم آراء تتعارض مع أي ملاحظة. لهذا السبب يبدو لي أنه من المفيد بشكل لا

يضاهى مكافحة التفسيرات المعارضة عن طريق اختبارها على حالات ومشاكل معينة. لقد ذكرت أعلاه (انظر صفحة 3528) أنه من المؤكد سيُعتبر غير محتمل، أولاً، أن "طفلاً في سن سنة ونصف الرقيقة يمكن أن يكون في وضع يسمح له باستيعاب مدركات عملية معقدة كهذه والحفاظ عليها بدقة تامة في لاوعيه؛ ثانياً، أن من الممكن في سن الرابعة أن تخترق مراجعة مؤجلة لهذه المادة الفهم؛ وأخيراً، أن أي إجراء يمكن أن ينجح في إحضار تفاصيل مشهد من هذا النوع، الذي تم تجربته وفهمه في مثل هذه الظروف، إلى الوعي بشكل متماسك ومقنع".

السؤال الأخير هو محض واقعي. فأي شخص يبذل جهداً في متابعة تحليل في هذه الأعماق بواسطة التقنية الموصوفة سيقتنع بأن ذلك ممكن بالتأكيد. أما من يهمل هذا، ويقطع التحليل في طبقة أعلى، فقد تنازل عن حقه في تكوين حكم حول المسألة. لكن تفسير ما يتم التوصل إليه في تحليل الأعماق لا يتقرر بهذا.

الشكان الآخران يستندان إلى تقدير منخفض لأهمية الانطباعات الطفولية المبكرة وعدم الرغبة في إسناد مثل هذه التأثيرات الدائمة إليها. ويبحث مؤيدو هذا الرأي عن أسباب العصاب بشكل حصري تقريباً في صراعات الحياة اللاحقة الخطيرة؛ ويفترضون أن أهمية الطفولة تظهر فقط أمام أعيننا في التحليل بسبب ميل المصابين بالعصاب للتعبير عن اهتماماتهم الحالية في ذكريات ورموز من الماضي البعيد. إن مثل هذا التقدير لأهمية العامل الطفولي سيؤدي إلى اختفاء الكثير مما شكل جزءاً من الخصائص الحميمة للتحليل، وإن كان أيضاً، بلا شك، الكثير مما يثير المقاومة ضده وينفر ثقة الغرباء.

الرأي الذي نطرحه للنقاش هو كما يلي: يؤكد أن المشاهد من مرحلة الطفولة المبكرة، مثل تلك التي يكشف عنها تحليل شامل للأمراض العصبية (كما في الحالة الراهنة على سبيل المثال)، ليست استنساخاً لأحداث حقيقية، يمكن أن يُنسب إليها تأثير على مسار حياة المريض اللاحقة وعلى تكوين أعراضه. بل تعتبرها نتاجاً للخيال، تجد دوافعها في الحياة الناضجة، وتهدف إلى أن

تكون نوعاً من التمثيل الرمزي للرغبات والمصالح الحقيقية، وتدين أصلها لميل نكوصي، لانسحاب من مهام الحاضر. إذا كان الأمر كذلك، يمكننا بالطبع أن نوفر على أنفسنا ضرورة إسناد مثل هذه الكمية المدهشة إلى الحياة العقلية والقدرة الفكرية للأطفال في سن مبكرة جداً.

بالإضافة إلى الرغبة التي نشاركها جميعاً في ترشيد مشكلتنا الصعبة وتبسيطها، هناك جميع أنواع الحقائق التي تتحدث لصالح هذا الرأي. ومن الممكن أيضاً إزالة اعتراض واحد عليه قد يظهر مسبقاً، لا سيما في ذهن المحلل الممارس. يجب الاعتراف بأنه، إذا كان هذا الرأي لهذه المشاهد من الطفولة صحيحاً، فإن تنفيذ التحليل لن يتغير في المقام الأول بأي شكل من الأشكال. فإذا كان المصابون بالعصاب يتمتعون بالخاصية السيئة المتمثلة في تحويل اهتمامهم عن الحاضر وربطه بهذه البدائل الانحدارية، أي نتاج خيالهم، فلا يوجد شيء على الإطلاق سوى تتبع آثارهم وإحضار هذه النتاجات اللاواعية إلى الوعي؛ لأنه، بغض النظر عن افتقارها للقيمة من وجهة نظر الواقع، فهي ذات قيمة قصوى

من وجهة نظرنا، لأنها في الوقت الحالي تحمل وتتملك الاهتمام الذي نريد تحريره حتى نتمكن من توجيهه نحو مهام الحاضر. يجب أن يسير التحليل بنفس المسار تماماً مثل التحليل الذي لديه إيمان ساذج بحقيقة التخيلات. ولن يظهر الاختلاف إلا في نهاية التحليل، بعد أن يتم الكشف عن التخيلات. سنقول للمريض حينها: "حسناً إذن؛ سار مرضك العصبي كما لو كنت قد تلقيت هذه الانطباعات ونميتها في طفولتك. سترى، بالطبع، أن هذا مستحيل. لقد كانت نتاجاً لخيالك تهدف إلى صرف انتباهك عن المهام الحقيقية التي كانت أمامك. دعنا الآن نستفسر عن ماهية هذه المهام، وما هي خطوط الاتصال التي سارت بينها وبين تخيلاتك". بعد التخلص من التخيلات الطفولية بهذه الطريقة، سيكون من الممكن البدء في جزء ثانٍ من العلاج، يتعلق بحياة المريض الحقيقية.

أي تقصير لهذا المسار، أي تغيير، بمعنى آخر، في العلاج النفسي التحليلي، كما مورس حتى الآن، سيكون غير مقبول تقنياً. ما لم يتم جعل هذه التخيلات واعية للمريض إلى أقصى حد، فلن

يتمكن من السيطرة على الاهتمام المرتبط بها. إذا تم صرف انتباهه عنها بمجرد اكتشاف وجودها وخطوطها العريضة، فإن ذلك ببساطة يدعم عمل الكبت، الذي بفضله تم وضعها بعيداً عن متناول المريض على الرغم من كل آلامه. إذا أُعطي شعوراً مبكراً بعدم أهميتها، من خلال إبلاغه، على سبيل المثال، بأن الأمر سيكون مجرد تخيلات، والتي، بالطبع، ليس لها أهمية حقيقية، فلن يتم تأمين تعاونه أبداً لمهمة إحضارها إلى الوعي. وبالتالي، فإن الإجراء الصحيح لن يغير تقنية التحليل، بغض النظر عن التقدير الذي قد يتكون لهذه المشاهد من الطفولة.

لقد ذكرت بالفعل أن هناك عدداً من الحقائق التي يمكن الاستشهاد بها لدعم وجهة النظر القائلة بأن هذه المشاهد هي تخيلات نكوصية. وفوق كل شيء، هناك هذا الأمر: بقدر ما وصلت إليه تجربتي حتى الآن، فإن هذه المشاهد من الطفولة المبكرة لا يتم إعادة إنتاجها خلال العلاج كذكريات، بل هي نتاج بناء. وسيعتقد الكثيرون بالتأكيد أن هذا الاعتراف الوحيد يحسم النزاع بأكمله.

أنا حريص على ألا يُساء فهمي. فكل محلل يعلم - وقد واجه هذه التجربة مرات لا تحصى - أنه خلال العلاج الناجح، يُحضر المريض عدداً كبيراً من الذكريات العفوية من طفولته، والتي يشعر الطبيب بكونه بريئاً تماماً من ظهورها (أول ظهور، ربما)، لأنه لم يحاول أي بناء قد يضع أي مادة من هذا النوع في ذهن المريض. لا يلزم بالضرورة أن تكون هذه الذكريات اللاواعية سابقاً صحيحة دائماً. قد تكون كذلك؛ لكنها غالباً ما تكون مشوهة عن الحقيقة، ومتداخلة مع عناصر خيالية، تماماً مثل ما يسمى بـ "الذكريات الشاشة" التي تُحفظ تلقائياً. كل ما أريد قوله هو هذا: إن المشاهد، مثل هذه الحالة في مريضي الحالي، التي تعود إلى فترة مبكرة جداً وتظهر محتوى مشابهاً، والتي تدعي علاوة على ذلك أهمية استثنائية لتاريخ الحالة، لا يتم عادةً إعادة إنتاجها كذكريات، ولكن يجب تخمينها - بناؤها - تدريجياً وبصعوبة من مجموعة من المؤشرات. علاوة على ذلك، سيكون كافياً لأغراض الحدل، إذا كان اعترافي بأن المشاهد من هذا النوع لا تصبح واعية في شكل ذكريات ينطبق فقط على حالات

العصاب الوسواسي، أو حتى إذا كنت سأقتصر تأكيدي على الحالة التي ندرسها هنا.

لا أعتقد، مع ذلك، أن مثل هذه المشاهد يجب أن تكون بالضرورة تخيلات لمجرد أنها لا تظهر مرة أخرى في شكل ذكريات. يبدو لي أنها تعادل تماماً الذكرى، إذا تم استبدال الذكريات (كما في هذه الحالة) بأحلام يؤدي تحليلها دائماً إلى نفس المشهد وتُعيد إنتاج كل جزء من محتواه في تنوع لا ينضب من الأشكال الجديدة. في الواقع، الحلم هو نوع آخر من التذكر، ولكنه يخضع للظروف التي تسود ليلاً ولقوانين تكوين الأحلام. إن هذا التكرار في الأحلام هو ما أعتبره تفسيراً لحقيقة أن المرضى أنفسهم يكتسبون تدريجياً اقتناعاً عميقاً بواقعية هذه المشاهد البدائية، وهو اقتناع لا يقل في أي جانب عن الاقتناع القائم على الذكرى.[1]

[1] فقرة في الطبعة الأولى من كتابي "تفسير الأحلام" (1900أ) ستوضح مدى اهتمامي بهذه المشكلة في مرحلة مبكرة. في الصفحة 670 من ذلك العمل، يوجد تحليل لملاحظة ترد في

حلم: "هذا لم يعد متاحاً". ويوضح أن العبارة نشأت مني. "قبل بضعة أيام، كنت قد أوضحت للمريض أن أقدم تجارب الطفولة "لم تعد متاحة كما هي" ولكن تم استبدالها في التحليل بـ "التحويلات" والأحلام."

لا يوجد بطبيعة الحال ما يدعو أولئك الذين يتبنون الرأي المعارض إلى التخلي عن كفاحهم ضد مثل هذه الحجج باعتباره ميؤوساً منه. فمن المعروف أن الأحلام يمكن توجيهها.[1] وقد يكون شعور الشخص الذي يتم تحليله بالاقتناع نتيجة للإيحاء، الذي تُسند إليه دائماً أجزاء جديدة في لعبة القوى المتضمنة في العلاج التحليلي. قد يُقال إن المعالج النفسي التقليدي كان يوحي لمريضه بأنه قد شفي، وأنه تغلب على مثبطاته، وهكذا؛ بينما المحلل النفسي، وفقاً لهذا الرأي، يوحي له بأنه عندما كان طفلاً مر بتجربة أو أخرى، والتي يجب أن يتذكرها الآن لكي يشفى. هذا سيكون هو الفرق بين الاثنين.

ليكن مفهوماً بوضوح أن هذه المحاولة الأخيرة للتفسير من جانب أولئك الذين يتبنون الرأي المعارض لرأيي تؤدي إلى

التخلص من مشاهد الطفولة بشكل أكثر جوهرية مما أُعلن في البداية. فما جادل به في البداية هو أنها ليست حقائق بل تخيلات. لكن ما يجادل به الآن هو بوضوح أنها تخيلات ليست للمريض بل للمحلل نفسه، الذي يفرضها على الشخص الخاضع للتحليل بسبب بعض عقده الخاصة. إن المحلل، في الواقع، الذي يسمع هذا اللوم، سيعزي نفسه بتذكر كيف نشأ بناء هذا الخيال الذي يُفترض أنه هو الذي أنشأه تدريجياً، وكيف، بعد كل شيء، سارت العديد من النقاط في تطوره بشكل مستقل عن حافز الطبيب؛ وكيف، بعد مرحلة معينة من العلاج، بدا كل شيء يتلاقى عليها، وكيف لاحقاً، في التوليف، انبثقت منها النتائج الأكثر تنوعاً وإثارة للدهشة؛ وكيف لم تُحل المشاكل الكبيرة فحسب، بل أدق التفاصيل في تاريخ الحالة من خلال هذا الافتراض الوحيد. وسوف ينكر امتلاكه لكمية البراعة اللازمة لابتكار حدث يمكنه تلبية كل هذه المطالب. لكن حتى هذا الدفاع لن يكون له تأثير على خصم لم يختبر التحليل بنفسه. فمن جانب سيكون هناك اتهام بالخداع الذاتي الدقيق، ومن

الجانب الآخر بالجمود في الحكم؛ وسيكون من المستحيل التوصل إلى قرار.

[1] لا يمكن التأثير على آلية الحلم؛ لكن مادة الحلم تخضع إلى حد ما للأوامر.

دعنا ننتقل إلى عامل آخر يدعم هذا الرأي المعارض لهذه المشاهد المبنية من الطفولة. وهو كالتالي: لا شك في الوجود الحقيقي لجميع العمليات التي تم طرحها لتفسير هذه الهياكل المشكوك فيها كتخيلات، ويجب الاعتراف بأهميتها. تحويل الاهتمام عن مهام الحياة الواقعية،[1] وجود التخيلات كبدائل لأفعال لم تتم، الميل النكوصي الذي يعبر عنه في هذه المنتجات - نكوصي بأكثر من معنى، بقدر ما يتضمن تراجعاً عن الحياة وتذكراً للماضي - كل هذه الأمور صحيحة، وتؤكدها التحاليل بانتظام.

قد يظن المرء أنها ستكون كافية أيضاً لتفسير الذكريات المفترضة من الطفولة المبكرة التي هي قيد المناقشة؛ ووفقاً لمبدأ الاقتصاد

في العلم، فإن مثل هذا التفسير سيكون له ميزة على تفسير غير كافٍ بدون دعم افتراضات جديدة ومفاجئة.

قد أتجاسر هنا على الإشارة إلى أن وجهات النظر المتناقضة الموجودة في الأدبيات النفسية التحليلية اليوم عادة ما يتم التوصل إليها على مبدأ الجزء بدلاً من الكل (pars pro toto). من تركيبة شديدة التعقيد، يتم اختيار جزء واحد من العوامل الفاعلة وإعلانه كحقيقة؛ ولصالحه يتم بعد ذلك التناقض مع الجزء الآخر، جنباً إلى جنب مع التركيبة بأكملها. إذا نظرنا عن كثب، لنرى أي مجموعة من العوامل تم تفضيلها، فسنجد أنها تلك التي تحتوي على مادة معروفة بالفعل من مصادر أخرى أو ما يمكن ربطه بتلك المادة بسهولة أكبر. وهكذا، يختار يونغ الواقعية والنكوص، وأدلر الدوافع الأنانية. ولكن ما يتبقى ويُرفض على أنه خاطئ هو على وجه التحديد ما هو جديد في التحليل النفسي وخاص به. هذه هي أسهل طريقة لصد التقدم الثوري وغير المريح للتحليل النفسي.

[1] لدي أسباب وجيهة لأفضل قول "تحويل الرغبة الجنسية من الصراعات الحالية".

من الجدير بالملاحظة أن أياً من العوامل التي يستشهد بها الرأي المعارض لتفسير هذه المشاهد من الطفولة لم تضطر إلى انتظار الاعتراف بها حتى قدمها يونغ كجديد. إن فكرة الصراع الحالي، والابتعاد عن الواقع، والإشباع البديل الذي يتم الحصول عليه في الخيال، والتراجع إلى مادة من الماضي - كل هذا (المستخدم، علاوة على ذلك، في نفس السياق، وإن كان ربما بمصطلحات مختلفة قليلاً) قد شكل لسنوات جزءاً لا يتجزأ من نظريتي الخاصة. ومع ذلك، لم يكن هذا هو كل شيء. لقد كان مجرد جزء واحد من الأسباب التي تؤدي إلى تكوين الأمراض العصبية - ذلك الجزء الذي، انطلاقاً من الواقع، يعمل في اتجاه نكوصي. جنباً إلى جنب مع هذا، تركت مجالاً لتأثير آخر، ينطلق من انطباعات الطفولة، ويعمل في اتجاه أمامي، ويشير إلى مسار للرغبة الجنسية التي تتراجع عن الحياة، ويجعل من الممكن فهم التراجع غير

المبرر إلى الطفولة. وبالتالي، في رأيي، يتعاون العاملان في تكوين الأعراض.

لكن يبدو لي أن التعاون السابق له أهمية مماثلة. أعتقد أن تأثير الطفولة يظهر بالفعل في الوضع في بداية تكوين العصاب، حيث يلعب دوراً حاسماً في تحديد ما إذا كان الفرد سيفشل في السيطرة على مشاكل الحياة الحقيقية ومتى سيفشل.

ما هو موضع نزاع، إذن، هو أهمية العامل الطفولي. المشكلة هي إيجاد حالة يمكن أن تثبت تلك الأهمية بما لا يدع مجالاً للشك. ومع ذلك، هذه هي الحالة التي يتم التعامل معها بشكل شامل في هذه الصفحات والتي تتميز بكون العصاب في الحياة اللاحقة سبقه عُصاب في الطفولة المبكرة. لهذا السبب بالذات، في الواقع، اخترت الإبلاغ عنها. إذا شعر أي شخص بالميل لرفضها لأن رهاب الحيوانات يبدو له غير جاد بما فيه الكفاية ليُعترف به كعصاب مستقل، فقد أذكر أن الرهاب تبعه دون أي فاصل احتفال وسواسي، وأفعال وأفكار وسواسية، والتي ستناقش في الأقسام التالية من هذه الورقة.

إن حدوث اضطراب عصابي في السنوات الرابعة والخامسة من الطفولة يثبت، أولاً وقبل كل شيء، أن الخبرات الطفولية قادرة بحد ذاتها على إنتاج عُصاب، دون الحاجة إلى إضافة هروب من مهمة ما يجب مواجهتها في الحياة الواقعية. قد يعترض البعض بأن الطفل أيضاً يواجه باستمرار مهام قد يسره التهرب منها. هذا صحيح؛ ولكن حياة الطفل دون سن المدرسة سهلة الملاحظة، ويمكننا فحصها لمعرفة ما إذا كانت هناك أي "مهام" فيها قادرة على تحديد سبب العصاب. لكننا لا نكتشف شيئاً سوى الدوافع الغريزية التي لا يستطيع الطفل إشباعها والتي لم يبلغ من العمر ما يكفي للسيطرة عليها، والمصادر التي تنشأ منها هذه الدوافع.

كما كان متوقعاً، فإن تقصير المدة الزمنية الهائل بين ظهور العصاب وتاريخ خبرات الطفولة قيد المناقشة يقلل إلى أضيق الحدود الجزء الرجعي من السببية، بينما يبرز تماماً الجزء الذي يعمل في اتجاه تقدمي، أي تأثير الانطباعات السابقة. آمل أن يقدم هذا التاريخ الحالي للحالة صورة واضحة لهذا الوضع. ولكن هناك أسباب أخرى تجعل أمراض الطفولة العصبية تقدم إجابة

حاسمة على سؤال طبيعة المشاهد البدائية - أقدم تجارب الطفولة التي يتم الكشف عنها في التحليل.

دعنا نفترض كفرضية غير متنازع عليها أن مشهداً بدائياً من هذا النوع قد تم استخلاصه بشكل صحيح تقنياً، وأنه لا غنى عنه لحل شامل لجميع الألغاز التي تطرحها علينا أعراض الاضطراب الطفولي، وأن جميع العواقب تتشعب منه، تماماً كما أدت جميع خيوط التحليل إليه. عندئذٍ، بالنظر إلى محتواه، من المستحيل أن يكون شيئاً آخر غير إعادة إنتاج لواقع عاصره الطفل. فالطفل، مثل البالغ، لا يمكنه إنتاج تخيلات إلا من مواد اكتسبها من مصدر ما؛ ومع الأطفال، يتم قطع بعض وسائل اكتسابها (بالقراءة، على سبيل المثال)، بينما فترة الوقت المتاحة لهم لاكتسابها قصيرة ويمكن البحث فيها بسهولة بهدف اكتشاف أي مصادر من هذا القبيل.

في هذه الحالة، محتوى المشهد البدائي هو صورة لجماع بين والدي الصبي في وضعية مواتية بشكل خاص لملاحظات معينة. الآن، لن يكون هناك أي دليل على واقعية مثل هذا المشهد لو

وجدناه في مريض ظهرت أعراضه (أي آثار المشهد) في وقت ما في الجزء المتأخر من حياته. قد يكون هذا الشخص قد اكتسب الانطباعات والأفكار والمعرفة في عدد كبير من المناسبات المختلفة على مدار الفترة الزمنية الطويلة؛ ثم قد يكون قد حولها إلى صورة خيالية، وأسقطها على طفولته، وألصقها بوالديه. ومع ذلك، إذا ظهرت آثار مشهد من هذا النوع في السنة الرابعة أو الخامسة من عمر الطفل، فلا بد أنه قد شهد المشهد في سن مبكرة حتى من ذلك. ولكن في هذه الحالة، ما زلنا نواجه جميع العواقب المربكة التي نشأت عن تحليل هذا العصاب الطفولي. الطريقة الوحيدة للخروج هي الافتراض بأن المريض لم يتخيل المشهد البدائي لاوعياً فحسب، بل اخترع أيضاً التغير في شخصيته، وخوفه من الذئب، وهوسه الديني؛ ولكن مثل هذا الحل سيتعارض مع طبيعته الرصينة بخلاف ذلك ومع التقليد المباشر في عائلته. لذلك يجب أن يبقى الأمر على هذا النحو (لا أرى أي إمكانية أخرى): إما أن التحليل القائم على العصاب في

طفولته كله هراء من البداية إلى النهاية، أو أن كل شيء حدث تماماً كما وصفته أعلاه.

في مرحلة سابقة من المناقشة، واجهنا غموضاً فيما يتعلق بتفضيل المريض للأرداف الأنثوية والجماع في الوضع الذي تكون فيه بارزة بشكل خاص. بدا من الضروري تتبع هذا التفضيل إلى الجماع الذي لاحظه بين والديه، وفي نفس الوقت، فإن تفضيلاً من هذا النوع هو سمة عامة للتكوينات القديمة المعرضة للعصاب الوسواسي. لكن التناقض يحل بسهولة إذا اعتبرناه حالة من التحديد المفرط. فالشخص الذي كان موضوع ملاحظته لهذا الوضع أثناء الجماع، كان والده بالفعل، وقد يكون ورث منه هذا التفضيل الدستوري. لا مرضه اللاحق ولا تاريخ عائلته يتناقض مع هذا؛ فكما ذكرنا سابقاً، توفي شقيق والده في حالة يجب اعتبارها نتيجة لاضطراب وسواسي حاد.

في هذا الصدد، قد نتذكر أنه، وقت إغوائه عندما كان صبياً يبلغ من العمر ثلاث سنوات وربع، أطلقت أخته افتراءً ملفتاً للنظر ضد مربيته العجوز الطيبة، مفاده أنها كانت تقلب جميع أنواع

الناس على رؤوسهم ثم تمسك بهم من أعضائهم التناسلية. لا يسعنا إلا أن يتبادر إلى أذهاننا أن الأخت، ربما في سن مماثلة، شهدت أيضاً نفس المشهد الذي لاحظه أخوها لاحقاً، وأن هذا هو ما أوحى لها بفكرتها حول "قلب الناس على رؤوسهم" أثناء الفعل الجنسي. هذه الفرضية قد تعطينا أيضاً تلميحاً لسبب نضجها الجنسي المبكر.

[في الأصل،[1] لم تكن لدي أي نية لمتابعة مناقشة واقعية "المشاهد البدائية" أكثر من ذلك في هذا المكان. ولكن بما أنني وجدت فرصة في الأثناء في محاضراتي التمهيدية في التحليل النفسي لمعالجة الموضوع على نطاق أوسع ودون هدف جدلي، فسيكون من المضلل إذا أهملت تطبيق الاعتبارات التي حددت مناقشتي الأخرى للمسألة على الحالة المطروحة أمامنا الآن. لذلك أواصل على النحو التالي على سبيل التكملة والتصحيح.

يبقى هناك احتمال اتخاذ وجهة نظر أخرى للمشهد البدائي الكامن وراء الحلم - وهي وجهة نظر، علاوة على ذلك، تتجنب إلى حد كبير الاستنتاج الذي تم التوصل إليه أعلاه وتريحنا من

العديد من صعوباتنا. لكن النظرية التي تسعى إلى اختزال المشاهد من الطفولة إلى مستوى الرموز النكوصية لن تكسب شيئاً حتى بهذا التعديل؛ وفي الواقع، يبدو لي أن تلك النظرية قد تم التخلص منها نهائياً بواسطة هذا التحليل (كما هو الحال في أي تحليل آخر) للعصاب الطفولي.

هذه النظرة الأخرى التي تدور في ذهني هي أنه يمكن تفسير الوضع على النحو التالي. صحيح أننا لا نستطيع الاستغناء عن افتراض أن الطفل لاحظ جماعاً، وأن رؤيته أعطته اقتناعاً بأن الإخصاء قد يكون أكثر من مجرد تهديد فارغ. علاوة على ذلك، فإن الأهمية التي أخذ يوليها لاحقاً لوضعيات الرجال والنساء، فيما يتعلق بتطور القلق من جهة، وكشرط اعتمد عليه وقوعه في الحب من جهة أخرى، لا يترك لنا خياراً سوى الاستنتاج بأنه لا بد أن يكون:

جماعاً من الخلف (coitus a tergo, more ferarum).

ولكن هناك عامل آخر ليس لا غنى عنه ويمكن إسقاطه. ربما ما لاحظه الطفل لم يكن جماعاً بين والديه بل جماعاً بين حيوانات،

ثم قام بإسقاطه على والديه، كما لو كان قد استنتج أن والديه يفعلان الأشياء بنفس الطريقة.

[قوسا فرويد المعكوفان]

تُضفى هذه النظرة لوناً من المصداقية، فوق كل شيء، من خلال حقيقة أن الذئاب في الحلم كانت في الواقع كلاب أغنام، وعلاوة على ذلك، تظهر كذلك في الرسم. قبل الحلم بوقت قصير، كان الصبي يؤخذ مراراً لزيارة قطعان الأغنام، وهناك ربما رأى مثل هذه الكلاب البيضاء الكبيرة، وربما لاحظها أيضاً وهي تتزاوج. أود أيضاً أن أربط بهذا الرقم ثلاثة، الذي قدمه الحالم دون ذكر أي دافع آخر، وأقترح أنه احتفظ في ذاكرته بحقيقة أنه أجرى ثلاث ملاحظات من هذا القبيل على كلاب الأغنام. وما حدث خلال الإثارة المتوقعة في ليلة حلمه كان نقل صورته الذكريات المكتسبة حديثاً، بجميع تفاصيلها، إلى والديه، وبهذا فقط أصبحت التأثيرات العاطفية القوية التي تلت ذلك ممكنة. لقد وصل الآن إلى فهم مؤجل للانطباعات التي ربما تلقاها قبل بضعة أسابيع أو أشهر - وهي عملية ربما مررنا بها جميعاً في تجاربنا الخاصة. لم يتم النقل من الكلاب المتزاوجة إلى والديه عن طريق

استنتاج مصحوب بكلمات، بل عن طريق البحث في ذاكرته عن مشهد حقيقي كان فيه والداه معاً ويمكن أن يتحد مع وضع الجماع. ربما تم إعادة إنتاج جميع تفاصيل المشهد التي تم إثباتها في تحليل الحلم بدقة. لقد كان بالفعل في فترة ما بعد الظهر الصيفية بينما كان الطفل يعاني من الملاريا، وكان الوالدان حاضرين، يرتديان الأبيض، عندما استيقظ الطفل من نومه، ولكن - كان المشهد بريئاً. لقد أضاف الباقي رغبة الطفل الفضولي اللاحقة، بناءً على تجاربه مع الكلاب، في مشاهدة والديه أيضاً وهما يمارسان الحب؛ والمشهد الذي تم تخيله بهذه الطريقة أحدث الآن جميع التأثيرات التي قمنا بفهرستها، تماماً كما لو كان حقيقياً بالكامل ولم يتكون من مكونين، أحدهما سابق وغير مؤثر، والآخر لاحق ومؤثر بعمق.

يتبين على الفور مدى انخفاض المتطلبات على مصداقيتنا. لم نعد بحاجة إلى افتراض أن الوالدين تزاوجا في حضور طفلهما (صغير جداً، صحيح) - وهي فكرة كانت غير مستساغة للكثيرين منا. انخفضت فترة تأجيل التأثيرات بشكل كبير جداً؛ فهي الآن لا

تغطي سوى بضعة أشهر من السنة الرابعة للطفل ولا تمتد على الإطلاق إلى السنوات الأولى المظلمة من الطفولة. لم يبقَ شيء غريب تقريباً في سلوك الطفل في نقل الانطباع من الكلاب إلى والديه وخوفه من الذئب بدلاً من والده. لقد كان في تلك المرحلة من تطور موقفه تجاه العالم التي وصفتها في "الطوطم والمحرم" على أنها عودة الطوطمية. يبدو أن النظرية التي تسعى إلى تفسير المشاهد البدائية الموجودة في الأمراض العصبية كتخيلات رجعية لتاريخ لاحق تحصل على دعم قوي من الملاحظة الحالية، على الرغم من أن مريضنا في سن الرابعة الرقيقة. على الرغم من صغر سنه، فقد تمكن من استبدال انطباع من سنته الرابعة بصدمة خيالية في سن سنة ونصف. ومع ذلك، لا يبدو هذا التراجع غامضاً ولا هادفاً. فالمشهد الذي كان يجب تكوينه كان عليه أن يفي بشروط معينة، والتي، نتيجة لظروف حياة الحالم، لا يمكن العثور عليها إلا في هذه الفترة المبكرة بالضبط؛ مثل هذا الشرط، على سبيل المثال، هو أن يكون في السرير في غرفة نوم والديه.

ولكن ما أستطيع أن أقدمه من النتائج التحليلية في حالات أخرى سيبدو لمعظم القراء هو العامل الحاسم الذي يدعم صحة وجهة النظر المقترحة هنا. فمشاهد ملاحظة الجماع الجنسي بين الوالدين في سن مبكرة جداً (سواء كانت ذكريات حقيقية أو تخيلات) ليست نادرة على الإطلاق في تحليلات البشر العصبيين. وربما لا تقل شيوعاً بين من ليسوا عصبيين. وربما هي جزء من المخزون المنتظم في خزانة ذكرياتهم - الواعية أو اللاواعية. ولكن كلما تمكنت من خلال التحليل من إظهار مشهد من هذا النوع، فقد أظهر نفس الخصوصية التي أدهشتنا مع مريضنا الحالي أيضاً: فقد ارتبط بالجماع من الخلف (coitus a tergo)، الذي وحده يوفر للمتفرج إمكانية فحص الأعضاء التناسلية. ليس هناك حاجة للشك بعد الآن في أن ما نتعامل معه هو مجرد تخيل، والذي يثيره دائماً، ربما، ملاحظة الجماع الجنسي للحيوانات. وأكثر من ذلك: لقد ألمحت إلى أن وصفي "للمشهد البدائي" قد ظل غير مكتمل لأنني احتفظت لوقت لاحق بحديثي

عن الطريقة التي قاطع بها الطفل جماع والديه. يجب أن أضيف الآن أن طريقة المقاطعة هذه هي نفسها أيضاً في كل حالة.

لا أستطيع إلا أن أصدق أنني قد عرضت نفسي الآن لانتقادات حادة من جانب قراء تاريخ الحالة هذا. إذا كانت هذه الحجج المؤيدة لمثل هذه النظرة لـ "المشهد البدائي" متاحة لي، فكيف لي أن أتحمل مسؤولية البدء بالدعوة إلى واحدة بدت سخيفة جداً؟ أم أنني قمت بهذه الملاحظات الجديدة، التي أجبرتني على تغيير وجهة نظري الأصلية، في الفترة الفاصلة بين المسودة الأولى لتاريخ الحالة وهذه الإضافة، وهل أنا لسبب أو لآخر غير راغب في الاعتراف بالحقيقة؟ سأعترف بشيء آخر بدلاً من ذلك: أعتزم في هذه المناسبة إنهاء مناقشة واقعية المشهد البدائي بقول "غير واضح" (non liquet). لم ينتهِ تاريخ الحالة هذا بعد؛ ففي مساره اللاحق سيظهر عامل سيهز اليقين الذي يبدو أننا نتمتع به حالياً. لا أعتقد أنه سيبقى بعد ذلك سوى إحالة قرائي إلى المقاطع في محاضراتي التمهيدية التي عالجت فيها مشكلة التخيلات البدائية أو المشاهد البدائية.

الفصل الرابع

العصاب الوسواسي

والآن، للمرة الثالثة، تعرض المريض لتأثير جديد أعطى تحولاً حاسماً في تطوره. عندما بلغ الرابعة والنصف من عمره، ولأن حالته من التهيج والقلق لم تتحسن بعد، قررت والدته أن تعرّفه على قصص الإنجيل على أمل تشتيت انتباهه ورفع معنوياته. وقد نجحت في ذلك؛ فقد أدت بدايته في الدين إلى إنهاء المرحلة السابقة، لكنها في الوقت نفسه أدت إلى استبدال أعراض القلق بأعراض وسواسية. حتى ذلك الحين، لم يكن يستطيع النوم بسهولة لأنه كان يخاف من الأحلام السيئة مثل الحلم الذي رآه في تلك الليلة قبل عيد الميلاد؛ أما الآن، فقد كان مجبراً قبل النوم على تقبيل جميع الصور المقدسة في الغرفة، وتلاوة الصلوات، وعمل عدد لا يحصى من علامات الصليب على نفسه وعلى سريره.

تتوزع طفولته الآن بوضوح إلى الفترات التالية: أولاً، الفترة المبكرة حتى الإغواء عندما كان في الثالثة وربع السنة، والتي

حدث خلالها المشهد البدائي؛ ثانياً، فترة التغيير في شخصيته حتى حلم القلق (عندما كان في الرابعة)؛ ثالثاً، فترة رهاب الحيوانات حتى بدايته في الدين (عندما كان في الرابعة والنصف)؛ ومنذ ذلك الحين فصاعداً، فترة العصاب الوسواسي حتى وقت لاحق من سن العاشرة. لم يكن من طبيعة الأشياء أو من طبيعة مريضنا أن يكون هناك استبدال فوري وواضح لمرحلة بأخرى؛ بل على العكس من ذلك، كان الحفاظ على كل ما مضى والتعايش بين أنواع مختلفة تماماً من التيارات من سماته المميزة. لم تختفِ شقاوته عندما بدأ القلق، واستمرت بقوة تتناقص ببطء خلال فترة التقوى. لكن لم يعد هناك أي حديث عن رهاب الذئاب خلال هذه المرحلة الأخيرة. استمر العصاب الوسواسي بشكل متقطع؛ كانت الهجمة الأولى هي الأطول والأكثر حدة، وظهرت هجمات أخرى عندما كان في الثامنة والعاشرة، تلي كل منها أسباب مثيرة كانت على علاقة واضحة بمحتوى العصاب.

أخبرته والدته القصة المقدسة بنفسها، كما جعلت مربيته تقرأ له عنها من كتاب مزين بالرسوم التوضيحية. كان التركيز الرئيسي في

السرد، بطبيعة الحال، على قصة الآلام. أضافت مربيته، التي كانت متدينة جداً وخرافية، تعليقها الخاص على ذلك، لكنها اضطرت أيضاً للاستماع إلى جميع اعتراضات وشكوك "الناقد الصغير". إذا انتهت المعارك التي بدأت الآن تهز عقله أخيراً بانتصار الإيمان، فإن تأثير مربيته لم يكن خالياً من نصيب في هذه النتيجة.

ما رواه لي كتذكار لردود أفعاله على هذا البدء، قوبل مني في البداية بـ عدم تصديق تام. كان مستحيلاً، على ما اعتقدت، أن تكون هذه هي أفكار طفل في الرابعة والنصف أو الخامسة؛ ربما يكون قد ربط هذه الأفكار، التي نشأت من تأملات رجل ناضج في الثلاثين، بهذا الماضي البعيد.[1] لكن المريض لم يقبل بهذا التصحيح؛ لم أتمكن، كما في العديد من الخلافات الأخرى بيننا، من إقناعه؛ وفي النهاية، فإن التطابق بين الأفكار التي تذكرها والأعراض التي قدم تفاصيلها، بالإضافة إلى الطريقة التي تناسبت بها الأفكار مع تطوره الجنسي، أجبرني على العكس على تصديقه.

ثم تأملت أن هذا النقد ذاته لعقائد الدين، والذي كنت أرفض أن أنسبه إلى الطفل، لم يحققه سوى أقلية ضئيلة جداً من البالغين. سأقدم الآن مادة ذكرياته، ولن أحاول بعد ذلك سوى إيجاد طريق قد يؤدي إلى تفسيرها.

الانطباع الذي تلقاه من القصة المقدسة كان، في البداية، كما روى، غير سار على الإطلاق. لقد عارض، في المقام الأول، سمة المعاناة في شخصية المسيح، ثم عارض قصته ككل. وجه استياءه النقدي ضد الله الآب. إذا كان كلي القدرة، فإن خطأه هو أن البشر كانوا أشراراً ويعذبون الآخرين ويُرسلون إلى الجحيم بسبب ذلك. كان عليه أن يجعلهم صالحين؛ وكان هو نفسه مسؤولاً عن كل الشرور وكل العذابات. اعترض المريض على أمر أن نلوي الخد الآخر إذا ضُرب خدنا الأيمن، وعلى حقيقة أن المسيح تمنى على الصليب أن تُنزع عنه الكأس، وكذلك على حقيقة عدم حدوث معجزة لإثبات أنه ابن الله. وهكذا، كانت حدته يقظة، وكانت قادرة على البحث بصرامة لا ترحم عن نقاط الضعف في السرد المقدس.

[1] حاولت أيضاً مراراً أن أدفع قصة المريض بأكملها إلى الأمام سنة واحدة على الأقل، وبهذه الطريقة أرجع الإغواء إلى سن الرابعة والربع، والحلم إلى عيد ميلاده الخامس، إلخ. فيما يتعلق بالفواصل الزمنية بين الأحداث، لم تكن هناك إمكانية لكسب أي وقت. لكن المريض ظل عنيداً في هذه النقطة، على الرغم من أنه لم ينجح تماماً في إزالة شكوكي. ومن الواضح أن تأجيلاً كهذا لمدة عام لن يكون له أهمية فيما يتعلق بالانطباع الذي تحدثه قصته وفيما يتعلق بالنقاش والآثار المترتبة عليها.

ولكن إلى هذا النقد العقلاني سرعان ما أضيفت تأملات وشكوك، تكشف لنا أن دوافع خفية كانت تعمل أيضاً. أحد الأسئلة الأولى التي وجهها إلى مربيته هو هل كان للمسيح مؤخرة أيضاً؟ أخبرته مربيته أنه كان إلهاً وإنساناً أيضاً. كإنسان، كان يمتلك ويفعل كل ما يفعله الرجال الآخرون. هذا لم يرضه على الإطلاق، لكنه نجح في العثور على عزاء خاص به بقوله لنفسه إن المؤخرة ليست سوى امتداد للساقين.

لكن ما كاد يهدئ خوفه من اضطراره لإهانة الشخصية المقدسة، حتى اشتعل مرة أخرى مع ظهور سؤال آخر وهو هل كان المسيح يتبرز أيضاً؟ لم يجرؤ على طرح هذا السؤال على مربيته الورعة، لكنه وجد بنفسه مخرجاً، ولم تكن لتظهر له أفضل منه. بما أن المسيح صنع النبيذ من لا شيء، فقد كان بإمكانه أيضاً أن يحول الطعام إلى لا شيء، وبهذه الطريقة يتجنب التبرز.

سنكون في وضع أفضل لفهم هذه التأملات إذا عدنا إلى جزء من تطوره الجنسي الذي ذكرناه سابقاً. نعلم أنه بعد الصد من مربيته وما تبعه من قمع لبدايات النشاط التناسلي، تطورت حياته الجنسية في اتجاه السادية والماسوشية. لقد عذب وأساء معاملة الحيوانات الصغيرة، وتخيل نفسه يضرب الخيول، ومن ناحية أخرى تخيل وريث العرش وهو يُضرب.[1] في ساديته حافظ على هويته القديمة مع والده؛ لكن في ماسوشيته اختاره كهدف جنسي. لقد كان في مرحلة عميقة من التنظيم قبل التناسلي الذي أعتبره استعداداً للعصاب الوسواسي. كان من الممكن أن تدفعه

عملية الحلم، التي وضعته تحت تأثير المشهد البدائي، إلى التقدم نحو التنظيم التناسلي، وتحويل ماسوشيته تجاه والده إلى موقف أنثوي تجاهه - إلى مثلية جنسية. لكن الحلم لم يُحدث هذا التقدم؛ بل انتهى في حالة من القلق. كان من المتوقع أن تنتقل علاقته بوالده من الهدف الجنسي المتمثل في الضرب منه إلى الهدف التالي، وهو أن يُجامع منه مثل المرأة؛ لكن في الواقع، وبسبب معارضة ذكورته النرجسية، تم رد هذه العلاقة إلى مرحلة أكثر بدائية. لقد تم إزاحتها إلى بديل الأب، وفي الوقت نفسه تم فصلها في شكل خوف من أن تلتهمها الذئاب. لكن هذا لم يلغها بأي حال من الأحوال. على العكس من ذلك، لا يمكننا تحقيق العدل للتعقيد الظاهري للوضع إلا من خلال تذكرنا الجيد للتعايش بين الاتجاهات الجنسية الثلاثة التي وجهها الصبي نحو والده. فمنذ وقت الحلم فصاعداً، كان لاوعياً مثلي الجنس، وفي عُصابه كان على مستوى أكل لحوم البشر؛ بينما ظل الموقف الماسوشي السابق هو المهيمن. كانت جميع التيارات الثلاثة ذات أهداف جنسية سلبية؛ كان هناك نفس الهدف،

ونفس الدافع الجنسي، لكن ذلك الدافع انقسم على ثلاثة مستويات مختلفة. [1] خاصة على القضيب (انظر صفحة 3517).

إن معرفته بالقصة المقدسة منحته الآن فرصة لتسامي موقفه الماسوشي السائد تجاه والده. لقد أصبح المسيح – وهو ما كان سهلاً بشكل خاص عليه نظراً لتشاركهم نفس عيد الميلاد. وهكذا أصبح شيئاً عظيماً وأيضاً (حقيقة لم يتم التأكيد عليها بما فيه الكفاية في الوقت الحالي) رجلاً.

نلمح موقفه المثلي المكبوت في شكوكه حول ما إذا كان المسيح يمكن أن يكون له مؤخرة، لأن هذه التأملات لا يمكن أن يكون لها معنى آخر سوى السؤال عما إذا كان هو نفسه يمكن أن يستخدمه والده كامرأة - مثل والدته في المشهد البدائي. عندما نصل إلى حل الأفكار الوسواسية الأخرى، سنجد هذا التفسير مؤكداً. تأمله بأن ربط الشخصية المقدسة بمثل هذه التلميحات كان مهيناً يتوافق مع كبت مثليته الجنسية السلبية. سيلاحظ أنه كان يسعى جاهداً للحفاظ على تساميه الجديد خالياً من الشوائب التي استمدها من مصادر في المبتوت. لكنه لم ينجح.

لا نفهم بعد لماذا تمرد أيضاً على شخصية المسيح السلبية وعلى سوء معاملة والده له، وبهذه الطريقة بدأ أيضاً في التخلي عن مثله الماسوشي السابق، حتى في تساميه. قد نفترض أن هذا الصراع الثاني كان مواتياً بشكل خاص لظهور الأفكار الوسواسية المهينة من الصراع الأول (بين التيار الماسوشي المهيمن والتيار المثلي المكبوت)، فمن الطبيعي أن تتحد جميع التيارات في صراع عقلي على جانب أو آخر، حتى لو كانت ذات أصول شديدة التنوع. تعلمنا بعض المعلومات الجديدة دافع هذا التمرد، وفي نفس الوقت، دوافع الانتقادات التي وجهها إلى الدين.

لقد استفادت أبحاثه الجنسية أيضاً من ما قيل له عن القصة المقدسة. حتى الآن لم يكن لديه سبب للافتراض بأن الأطفال يأتون فقط من النساء. على العكس من ذلك، جعلته مربيته يعتقد أنه ابن والده، بينما كانت أخته ابنة والدته؛ وقد كانت هذه العلاقة الأقرب بوالده عزيزة جداً عليه. سمع الآن أن مريم تُدعى والدة الإله. إذن، جميع الأطفال يأتون من النساء، وما قالته له مربيته لم يعد صحيحاً. علاوة على ذلك، نتيجة لما قيل له، فقد

تشتت ذهنه حول من هو والد المسيح الحقيقي. لقد مال إلى الاعتقاد بأنه يوسف، حيث سمع أنه عاش هو ومريم معاً دائماً، لكن مربيته قالت إن يوسف كان فقط "مثل" والده وأن والده الحقيقي هو الله. لم يستطع فهم ذلك. لقد فهم فقط هذا القدر: إذا كان السؤال يمكن مناقشته على الإطلاق، فإن العلاقة بين الأب والابن لا يمكن أن تكون وثيقة كما كان يتخيلها دائماً.

كان الصبي يمتلك نوعاً من الحدس للمشاعر المتناقضة تجاه الأب، والتي هي عامل أساسي في جميع الأديان، وهاجم دينه بسبب التراخي الذي ينطوي عليه في هذه العلاقة بين الابن والأب. بطبيعة الحال، توقفت معارضته سرعان ما عن اتخاذ شكل الشك في حقيقة العقيدة، وتحولت بدلاً من ذلك مباشرة ضد شخصية الله. لقد عامل الله ابنه بقسوة ووحشية، لكنه لم يكن أفضل تجاه البشر؛ فقد ضحى بابنه وأمر إبراهيم أن يفعل الشيء نفسه. بدأ يخاف الله.

إذا كان هو المسيح، فإن والده هو الله. لكن الإله الذي فرضه الدين عليه لم يكن بديلاً حقيقياً للأب الذي أحبه ولم يكن يريد

أن يُسرق منه. إن حبه لهذا الأب منحه حدته النقدية. لقد قاوم الله ليتمكن من التمسك بوالده؛ وبفعل ذلك، كان يدعم في الواقع الأب القديم ضد الجديد. لقد واجه جزءاً صعباً من عملية الانفصال عن والده.

كان حبه القديم لوالده، والذي كان واضحاً في فترة طفولته المبكرة، هو مصدر طاقته في مقاومة الله وحدته في نقد الدين. ولكن من ناحية أخرى، لم يكن هذا العداء للإله الجديد رد فعل أصلياً؛ فقد كان له نموذج أولي في دافع عدائي ضد والده، والذي نشأ تحت تأثير حلم القلق، وكان في الأساس مجرد إحياء لهذا الدافع. التَّياران المتعارضان من المشاعر، اللذان سيتحكمان في حياته اللاحقة بأكملها، التقيا هنا في الصراع المتناقض حول مسألة الدين. وتبع ذلك، علاوة على ذلك، أن ما أنتجه هذا الصراع في شكل أعراض (الأفكار التجديفية، والإكراه الذي سيطر عليه بالتفكير في "الله-قذارة"، "الله-خنزير") كانت منتجات تسوية حقيقية، كما سنرى من تحليل هذه الأفكار بالارتباط مع إثاراته الشرجية.

أشارت بعض الأعراض الوسواسية الأخرى الأقل شيوعاً، بنفس القدر من اليقين، إلى والده، بينما أظهرت في الوقت نفسه الصلة بين العصاب الوسواسي والأحداث السابقة.

جزء من الطقوس الدينية التي كفّر بها عن تجديفاته في نهاية المطاف كان الأمر بالشهيق بطريقة احتفالية تحت ظروف معينة. في كل مرة كان يرسم فيها علامة الصليب، كان مجبراً على الشهيق بعمق أو الزفير بقوة. في لغته الأم، كلمة "نفس" هي نفس كلمة "روح"، بحيث دخل الروح القدس هنا. كان مجبراً على استنشاق الروح القدس، أو إخراج الأرواح الشريرة التي سمع وقرأ عنها.[1] وقد نسب هذه الأرواح الشريرة أيضاً إلى الأفكار التجديفية التي كان عليه أن يوقع على نفسه بسببها عقاباً شديداً. ومع ذلك، كان مجبراً أيضاً على الزفير عندما يرى المتسولين، أو العرج، أو الأشخاص القبيحين، أو العجائز، أو البائسين؛ لكنه لم يتمكن من ربط هذا الهوس بالأرواح. التفسير الوحيد الذي استطاع أن يقدمه لنفسه هو أنه فعل ذلك حتى لا يصبح مثل هؤلاء الأشخاص.

في النهاية، وبالتزامن مع حلم، استخرج التحليل معلومات تفيد بأن الزفير عند رؤية الأشخاص المثيرين للشفقة لم يبدأ إلا بعد سن السادسة وكان مرتبطاً بوالده. لم ير والده لعدة أشهر، عندما قالت والدته ذات يوم إنها ستأخذ الأطفال معها إلى المدينة وتظهر لهم شيئاً سيسرهم جداً. ثم أخذتهم إلى مصحة، حيث رأوا والدهم مرة أخرى؛ بدا عليه المرض، وشعر الصبي بأسف شديد لأجله. كان والده بذلك النموذج الأولي لجميع العرج والمتسولين والفقراء الذين كان مجبراً على الزفير في حضورهم؛ تماماً كما أن الأب هو النموذج الأولي للمخاوف التي يراها الناس في حالات القلق، ولرسوم الكاريكاتير التي ترسم للسخرية من شخص ما. سنتعلم في مكان آخر أن هذا الموقف من التعاطف مستمد من تفصيلة معينة من المشهد البدائي، وهي تفصيلة لم تصبح فعالة في العصاب الوسواسي إلا في هذه اللحظة المتأخرة.

وبالتالي، فإن إصراره على عدم أن يصبح مثل العرج (الذي كان دافع زفيره في حضورهم) كان تحديد هويته القديمة مع والده محولاً إلى النفي. ولكن بفعل ذلك، كان أيضاً يقلد والده بالمعنى

الإيجابي، لأن **التنفس الثقيل كان تقليداً للضجيج الذي سمعه قادماً من والده أثناء الجماع.**[2] لقد استمد الروح القدس من هذا المظهر من الإثارة الحسية الذكورية. لقد حول الكبت هذا التنفس إلى روح شريرة، كان لها نسب آخر أيضاً: ألا وهو الملاريا التي كان يعاني منها وقت المشهد البدائي.

[1] هذا العرض، كما سنسمع، قد تطور بعد سن السادسة وعندما كان قادراً على القراءة بالفعل.

[2] بافتراض واقعية المشهد البدائي.

إن رفضه لهذه الأرواح الشريرة يتوافق مع ميل واضح للتقشف فيه، والذي وجد تعبيراً في ردود فعل أخرى. عندما سمع أن المسيح قد طرد ذات مرة بعض الأرواح الشريرة إلى قطيع من الخنازير التي اندفعت بعد ذلك من منحدر، تذكر كيف تدحرجت أخته في السنوات الأولى من طفولتها، قبل أن يتذكرها، من مسار الجرف فوق الميناء إلى الشاطئ. كانت هي أيضاً روحاً شريرة وخنزيرة. كانت المسافة قصيرة من هنا إلى "الله-خنزير". وقد أظهر والده نفسه أنه لم يكن أقل عبودية للشهوانية. عندما

رويت له قصة أول البشر، لفت انتباهه التشابه بين مصيره ومصير آدم. في محادثة مع مربيته، تظاهر بمفاجأة نفاقية بأن آدم سمح لنفسه بالوقوع في سوء الحظ بسبب امرأة، ووعدها بأنه لن يتزوج أبداً. عداء تجاه النساء، بسبب إغوائه من قبل أخته، وجد تعبيراً قوياً في هذا الوقت. وكان مقدراً له أن يزعجه بما فيه الكفاية في حياته العاطفية اللاحقة. أصبحت أخته تجسيداً دائماً له للإغراء والخطيئة. بعد اعترافه، بدا له نفسه نقياً وخالياً من الخطيئة. لكن بعد ذلك، بدا له كما لو أن أخته كانت تتربص به لتعيده إلى الخطيئة، وفي لحظة أثار شجاراً معها جعله خاطئاً مرة أخرى. وهكذا، كان مجبراً على الاستمرار في تكرار حدث إغوائه مراراً وتكراراً. علاوة على ذلك، لم يكشف أبداً عن أفكاره التجديفية في الاعتراف، على الرغم من كونها عبئاً كبيراً على ذهنه.

لقد انجرفنا دون أن ندرك إلى دراسة أعراض السنوات الأخيرة من العصاب الوسواسي؛ ولذلك سنتجاوز أحداث الفترة الفاصلة وسننتقل إلى وصف نهايته. نعلم بالفعل أنه، بصرف النظر عن

قوته الدائمة، فقد شهد تكثيفات عرضية: مرة - على الرغم من أن هذه الحلقة يجب أن تظل غامضة بالنسبة لنا في الوقت الحالي - في وقت وفاة صبي يعيش في نفس الشارع، والذي كان قادراً على التماهي معه. عندما كان في العاشرة من عمره، كان لديه معلم ألماني، والذي سرعان ما اكتسب تأثيراً كبيراً عليه. من المفيد جداً ملاحظة أن تقواه الصارمة بأكملها تضاءلت، ولم تُعد إحيائها أبداً، بعد أن لاحظ وتعلم من محادثات تنويرية مع معلمه أن بديل الأب هذا لم يولِ أي أهمية للتقوى ولم يكترث بحقيقة الدين. تضاءلت تقواه جنباً إلى جنب مع اعتماده على والده، الذي تم استبداله الآن بأب جديد وأكثر اجتماعياً. ومع ذلك، لم يحدث هذا دون آخر وميض للعصاب الوسواسي؛ ومن هذا تذكر بشكل خاص هوسه بضرورة التفكير في الثالوث الأقدس كلما رأى ثلاث أكوام من الروث ملقاة معاً في الطريق. في الواقع، لم يستسلم أبداً لأفكار جديدة دون محاولة أخيرة للتمسك بما فقد قيمته بالنسبة له.

عندما ثناه معلمه الألماني عن قسوته تجاه الحيوانات الصغيرة، وضع بالفعل حداً لتلك الأفعال السيئة، ولكن ليس قبل أن يقطع اليرقات مرة أخيرة ليشبع رغبته تماماً. كان لا يزال يتصرف بنفس الطريقة تماماً خلال العلاج التحليلي، حيث أظهر عادة إظهار "ردود فعل سلبية" عابرة؛ ففي كل مرة يتم فيها توضيح شيء بشكل حاسم، كان يحاول معارضة التأثير لفترة قصيرة عن طريق تفاقم العرض الذي تم توضيحه. إنها القاعدة تماماً، كما نعلم، أن الأطفال يتعاملون مع المحظورات بنفس الطريقة. عندما يتم توبيخهم على شيء ما (على سبيل المثال، لأنهم يحدثون ضوضاء لا تطاق)، فإنهم يكررونه مرة أخرى بعد الحظر قبل التوقف عنه. وبهذه الطريقة، يحققون نقطة التوقف الظاهرية من تلقاء أنفسهم وعصيان الحظر.

تحت تأثير المعلم الألماني، نشأ تسامٍ جديد وأفضل لساديّة المريض، والتي، مع اقتراب سن البلوغ، كانت قد سيطرت على ماسوشيته. لقد طوّر حماساً للشؤون العسكرية، للزي الرسمي، الأسلحة والخيول، واستخدمها كغذاء لأحلام اليقظة المستمرة.

وهكذا، تحت تأثير رجل، تحرر من مواقفه السلبية، ووجد نفسه في الوقت الحالي على مسار طبيعي إلى حد ما. وكنتيجة متأخرة لمحبته لمعلمه، الذي غادره بعد فترة وجيزة، فقد فضل في حياته اللاحقة الأشياء الألمانية (مثل الأطباء، المصحات، النساء) على تلك التي تخص بلده الأصلي (التي تمثل والده) - وهي حقيقة كانت، بالمناسبة، ذات فائدة كبيرة للتحويل أثناء العلاج.

كان هناك حلم آخر، ينتمي إلى الفترة التي سبقت تحرره من قبل المعلم، وأذكره لأنه نُسي حتى ظهوره خلال العلاج. رأى نفسه يركب حصاناً ويطارده يرقة عملاقة. أدرك في هذا الحلم تلميحاً إلى حلم سابق من الفترة التي سبقت المعلم، والذي كنا قد فسرناه قبل وقت طويل. في هذا الحلم السابق رأى الشيطان مرتدياً الأسود وفي الوضع المستقيم الذي أرعبه الذئب والأسد كثيراً في أيامهما. كان يشير بإصبعه الممدود إلى حلزون عملاق. كان المريض قد خمن سريعاً أن هذا الشيطان هو الشيطان من قصيدة معروفة، وأن الحلم نفسه كان نسخة من صورة شهيرة جداً تمثل الشيطان في مشهد حب مع فتاة. كان الحلزون في مكان

المرأة، كونه رمزاً جنسياً أنثوياً مثالياً. مسترشدين بإشارة الشيطان، تمكنا بسرعة من تحديد معنى الحلم بأن المريض كان يتوق إلى شخص ما يزوده بآخر قطع المعلومات التي كانت لا تزال مفقودة حول لغز الجماع، تماماً كما أعطاه والده الأول في المشهد البدائي قبل وقت طويل.

بالارتباط بالحلم الأخير، الذي تم فيه استبدال الرمز الأنثوي بالرمز الذكري، تذكر حدثاً معيناً وقع قبل الحلم بوقت قصير. كان يركب في المزرعة ذات يوم، فمر بفلاح كان نائماً وبجواره ابنه الصغير. أيقظ الأخير والده وقال له شيئاً، فبدأ الأب في الإساءة إلى الراكب ومطاردته حتى انصرف مسرعاً. كانت هناك أيضاً ذكرى ثانية، وهي أنه في نفس المزرعة كانت هناك أشجار بيضاء تماماً، مغطاة باليرقات. يمكننا أن نرى أنه هرب من إدراك تخيل الابن المستلقي مع والده، وأنه أدخل الأشجار البيضاء من أجل التلميح إلى حلم القلق الخاص بالذئاب البيضاء على شجرة الجوز. وهكذا كان انفجاراً مباشراً للخوف من الموقف الأنثوي تجاه الرجال

الذي حما نفسه منه في البداية بتساميه الديني وسيحمي نفسه منه قريباً بشكل أكثر فعالية من خلال التسامي العسكري.

ومع ذلك، سيكون من الخطأ الفادح افتراض أنه بعد زوال الأعراض الوسواسية لم تبقَ آثار دائمة للعصاب الوسواسي. فقد أدت العملية إلى انتصار إيمان التقوى على تمرد البحث النقدي، وكان كبت الموقف المثلي شرطاً ضرورياً لذلك. ونتج عن هذين العاملين عيوب دائمة. فقد ظلت نشاطه الفكري ضعيفاً بشكل خطير بعد هذه الهزيمة الكبرى الأولى. لم يطور أي حماس للتعلم، ولم يظهر المزيد من الحدة التي انتقد بها وحلل عقائد الدين في سن الخامسة الرقيقة. وقد حفظ كبت مثليته الجنسية المفرطة القوة، الذي تم إنجازه أثناء حلم القلق، هذا الدافع المهم للاوعي، وأبقاه موجهاً نحو هدفه الأصلي، وسحبه من جميع التساميات التي يكون قابلاً لها في ظروف أخرى. لهذا السبب، كان المريض خالياً من جميع تلك الاهتمامات الاجتماعية التي تعطي للحياة محتوى. فقط عندما أصبح من الممكن، خلال العلاج التحليلي، تحرير مثليته الجنسية المقيدة،

أظهر هذا الوضع أي تحسن؛ وكانت تجربة رائعة للغاية أن نرى كيف (دون أي نصيحة مباشرة من الطبيب) سعى كل جزء من الرغبة الجنسية المثلية التي تحررت إلى تطبيق في الحياة وإلى ارتباط بالاهتمامات المشتركة العظيمة للبشرية.

الفصل الخامس

الإثارة الجنسية الشرجية وعقدة الإخصاء

يجب أن ألتمس من القارئ أن يضع في اعتباره أنني حصلت على تاريخ هذه العصاب الطفولي كمنتج ثانوي، إذا جاز التعبير، خلال تحليل مرض في سنوات النضج. لذلك، اضطررت لتجميعه من أجزاء أصغر مما هو متاح عادةً لأغراض التجميع. هذه المهمة، التي ليست صعبة في جوانب أخرى، تجد حداً طبيعياً عندما يتعلق الأمر بفرض بنية متعددة الأبعاد على المستوى الوصفي ثنائي الأبعاد. لذلك يجب أن أكتفي بتقديم أجزاء متفرقة، والتي يمكن للقارئ بعد ذلك تجميعها في كل حي. لقد نشأ العصاب الوسواسي الذي تم وصفه، كما تم التأكيد عليه مراراً، على أساس بنية سادية-شرجية. لكننا ناقشنا حتى الآن عاملاً واحداً فقط من العاملين الرئيسيين - سادية المريض وتحولاتها. كل ما يتعلق بالإثارة الجنسية الشرجية قد تُرك جانباً عمداً حتى يتم تجميعه ومناقشته في هذه المرحلة اللاحقة.

لقد اتفق المحللون منذ فترة طويلة على أن الدوافع الغريزية المتنوعة التي تندرج تحت اسم الإثارة الجنسية الشرجية تلعب دوراً بالغ الأهمية، والذي يستحيل المبالغة في تقديره، في بناء الحياة الجنسية والنشاط العقلي بشكل عام. ومن المتفق عليه بالمثل أن أحد أهم مظاهر الإثارة الجنسية المتحولة المشتقة من هذا المصدر يوجد في التعامل مع المال، ففي مسار الحياة يجذب هذا المادة الثمينة إلى نفسه الاهتمام النفسي الذي كان في الأصل خاصاً بالبراز، نتاج منطقة الشرج. لقد اعتدنا على إرجاع الاهتمام بالمال، بقدر ما هو ذو طبيعة ليبيدية وليست عقلانية، إلى متعة الإخراج، ونتوقع من الأشخاص الطبيعيين أن يحافظوا على علاقاتهم بالمال خالية تماماً من التأثيرات الليبيدية وتنظيمها وفقاً لمتطلبات الواقع.

في مريضنا، في وقت مرضه اللاحق، كانت هذه العلاقات مضطربة إلى درجة شديدة بشكل خاص، ولم يكن هذا العامل أقل أهمية في افتقاره إلى الاستقلالية وعجزه عن التعامل مع الحياة. لقد أصبح ثرياً جداً من خلال ميراث والده وعمه؛ كان واضحاً أنه يولي

أهمية كبيرة لاعتباره ثرياً، وكان من المحتمل أن يشعر بألم شديد إذا تم التقليل من قيمته في هذا الصدد. لكنه لم يكن لديه أي فكرة عن حجم ما يمتلكه، أو ما هي نفقاته، أو ما هو الرصيد المتبقي. كان من الصعب القول ما إذا كان يجب أن يُطلق عليه بخيل أم مسرف. كان يتصرف أحياناً بهذه الطريقة وأحياناً بتلك، ولكن أبداً بطريقة تظهر أي نية متسقة. بعض السمات اللافتة للنظر، والتي سأناقشها لاحقاً، قد تدفع المرء إلى اعتباره ثرياً متصّلب القلب، يرى ثروته أعظم ميزة شخصية له، ولن يسمح لحظة واحدة للمصالح العاطفية بأن تطغى على المصالح المالية. ومع ذلك، لم يكن يقدر الآخرين بثروتهم، بل على العكس، أظهر نفسه في العديد من المناسبات متواضعاً، متعاوناً، وخيرياً. لقد تم سحب المال، في الواقع، من سيطرته الواعية، وكان يعني بالنسبة له شيئاً مختلفاً تماماً.

لقد ذكرت بالفعل أنني نظرت بعميق الشك إلى الطريقة التي عزى بها نفسه لفقدان أخته، التي أصبحت أقرب رفاقه خلال سنواتها الأخيرة، بالتفكير في أنه الآن لن يضطر إلى مشاركتها ميراث

والديه. لكن ما كان ربما أكثر إثارة للدهشة هو الهدوء الذي استطاع به أن يروي هذا، وكأنه لا يدرك فظاظة المشاعر التي يعترف بها بذلك. صحيح أن التحليل أعاده إلى حالته الطبيعية بإظهاره أن حزنه على أخته قد تعرض لمجرد إزاحة؛ لكنه أصبح بعد ذلك غير مفهوم تماماً لماذا حاول إيجاد بديل لأخته في زيادة الثروة.

كان هو نفسه محتاراً من سلوكه في سياق آخر. بعد وفاة والده، قسمت التركة بينه وبين والدته. قامت والدته بإدارتها، وكما اعترف هو نفسه، لبت مطالباته المالية بشكل لا تشوبه شائبة وبسخاء. ومع ذلك، فإن أي مناقشة للمسائل المالية كانت تدور بينهما تنتهي بأعنف التوبيخ من جانبه، مفادها أنها لا تحبه، وأنها تحاول التوفير على حسابه، وأنها ربما تفضل أن تراه ميتاً لكي تتحكم وحدها في المال. كانت والدته حينئذ تحمي نزاهتها بالدموع، وكان هو بعد ذلك يشعر بالخجل من نفسه ويعلن بحق أنه لا يفكر بها بهذه الطريقة. لكنه كان متأكداً من تكرار نفس المشهد في أول فرصة.

تُظهر العديد من الحوادث، سأروي منها اثنتين، أنه لفترة طويلة قبل التحليل، كان البراز يحمل دلالة المال بالنسبة له. في وقت لم تكن أمعاؤه تلعب بعد أي دور في شكواه، زار ذات مرة ابن عم فقير له في مدينة كبيرة. عندما غادره، لام نفسه على عدم تقديم الدعم المالي لهذا القريب، وعلى الفور بعد ذلك شعر "ربما بأكثر الحاجة إلحاحاً لإفراغ أمعائه التي عاشها في حياته". وبعد عامين، قام بالفعل بتسوية معاش تقاعدي لهذا ابن العم. هذه هي الحالة الأخرى. في سن الثامنة عشرة، بينما كان يستعد لامتحانه النهائي في المدرسة، زار صديقاً وتوصل معه إلى اتفاق بشأن خطة بدت مستحسنة بسبب الخوف الذي تشاركا فيه من الرسوب في الامتحان.[1] تقرر رشوة خادم المدرسة، وكان نصيب المريض من المبلغ المطلوب أكبر بطبيعة الحال. في طريق العودة إلى المنزل، فكر في نفسه بأنه سيكون سعيداً حتى لو أعطى المزيد إذا تمكن من النجاح، إذا كان متأكداً من أنه لن يحدث له شيء في الامتحان - وحدث له حادث من نوع آخر بالفعل [2] قبل أن يصل إلى باب منزله الأمامي.

سنكون مستعدين لسماع أنه خلال مرضه اللاحق، عانى من اضطرابات في وظيفته المعوية كانت شديدة العناد، على الرغم من أن ظروفاً مختلفة تسببت في تقلب شدتها. عندما جاء تحت علاجي، كان قد اعتاد على الحقن الشرجية، التي كان يعطيها له خادم؛ لم تحدث إفرازات تلقائية لعدة أشهر في كل مرة، ما لم يتدخل إثارة مفاجئة من اتجاه معين، ونتيجة لذلك قد يبدأ نشاط الأمعاء الطبيعي لبضعة أيام.

كان موضوع شكواه الرئيسي هو أن العالم كان مخفياً عنه بـ حجاب، أو أنه كان مفصولاً عن العالم بـ حجاب. لم يتمزق هذا الحجاب إلا في لحظة واحدة - عندما، بعد حقنة شرجية، يغادر محتوى الأمعاء القناة المعوية؛ وحينئذٍ شعر بتحسن وعاد إلى طبيعته مرة أخرى.[3]

[1] أخبرني المريض أن لغته الأم لا تحتوي على ما يوازي الاستخدام الألماني المألوف لكلمة "Durchfall" لوصف اضطراب الأمعاء.

[2] هذا التعبير له نفس المعنى في لغة المريض الأم كما في الألمانية.

[3] كان التأثير نفسه سواء أعطاه شخص آخر الحقنة الشرجية أو قام بها بنفسه.

كان الزميل الذي أشرت إليه المريض لتقديم تقرير حول حالته المعوية بصيراً بما يكفي لتفسيرها على أنها وظيفية، أو حتى نفسية المنشأ، وامتنع عن أي علاج دوائي فعال. علاوة على ذلك، لم يكن هذا ولا الحمية الغذائية مفيداً. خلال سنوات العلاج التحليلي، لم يكن هناك حركة تلقائية باستثناء التأثيرات المفاجئة التي ذكرتها. سمح المريض لنفسه بالاقتناع بأنه إذا تلقى العضو العنيد علاجاً أكثر كثافة، فإن الأمور ستزداد سوءاً، واكتفى بإحداث حركة للأمعاء مرة أو مرتين في الأسبوع بواسطة حقنة شرجية أو ملين.

في مناقشة هذه المشاكل المعوية، خصصت مساحة أكبر لمرض المريض اللاحق مما كان مخططاً له في أماكن أخرى من هذا العمل، الذي يتعلق بمرضه العصبي الطفولي. لقد فعلت ذلك لسببين: أولاً، لأن الأعراض المعوية في الواقع انتقلت من

العصاب الطفولي إلى العصاب اللاحق بتغيير طفيف، وثانياً، لأنها لعبت دوراً رئيسياً في إنهاء العلاج.

نعلم مدى أهمية الشك للطبيب الذي يحلل عصاباً وسواسياً. إنه أقوى سلاح للمريض، وأسلوب مقاومته المفضل. لقد مكّن هذا الشك مريضنا من التحصن خلف لامبالاة محترمة والسماح لجهود العلاج بالانزلاق منه لسنوات متتالية. لم يتغير شيء، ولم تكن هناك طريقة لإقناعه. أخيراً، أدركت أهمية مشكلة الأمعاء لأغراضي؛ لقد مثلت السمة الصغيرة للهستيريا التي توجد عادة في جذر العصاب الوسواسي. وعدت المريض بشفاء كامل لنشاط أمعائه، وبهذا الوعد أظهرت عدم تصديقه. ثم شعرت بالرضا لرؤية شكه يتضاءل، حيث بدأت أمعاؤه، في سياق العمل، وكأنها عضو مصاب بالهستيريا، "تنضم إلى المحادثة"، وفي غضون بضعة أسابيع استعادت وظائفها الطبيعية بعد ضعفها الطويل.

أعود الآن إلى طفولة المريض - إلى وقت كان من المستحيل أن يكون للبراز دلالة المال بالنسبة له.

ظهرت اضطرابات معوية لديه مبكراً جداً، وخاصة في الشكل الأكثر شيوعاً، والأكثر طبيعية بين الأطفال - ألا وهو سلس البراز. ومع ذلك، سنكون محقين بالتأكيد في رفض تفسير مرضي لهذه الأحداث المبكرة، واعتبارها مجرد دليل على نية المريض عدم السماح لنفسه بالاضطراب أو التوقف عن المتعة المرتبطة بوظيفة الإخراج. لقد وجد متعة كبيرة (تتناسب مع الفظاظة الطبيعية للعديد من الطبقات الاجتماعية، وإن لم تكن طبقته) في النكات والمعروضات الشرجية، وقد احتفظ بهذه المتعة حتى بعد بداية مرضه اللاحق.

خلال فترة المربية الإنجليزية، حدث مراراً أن اضطر هو ومربيته إلى مشاركة غرفة نوم تلك السيدة البغيضة. لاحظت مربيته بتفهم حقيقة أنه في تلك الليالي بالذات كان يتبول في فراشه، على الرغم من أن هذا قد توقف عن الحدوث منذ فترة طويلة. لم يكن يخجل من ذلك على الإطلاق؛ لقد كان تعبيراً عن التحدي ضد المربية.

بعد عام (عندما كان في الرابعة والنصف)، خلال فترة القلق، حدث أن تبرز في سرواله في وضح النهار. شعر بالخجل الشديد من نفسه، وبينما كان يتم تنظيفه، تأوه قائلاً إنه "لا يمكن أن يستمر في العيش هكذا". لذا، في هذه الأثناء، تغير شيء ما؛ وبمتابعة تنهده، عثرنا على آثار هذا الشيء. اتضح أن الكلمات "لا يمكن أن يستمر في العيش هكذا" تكررت من شخص آخر. كانت والدته ذات مرة [1] قد أخذته معها عندما كانت تسير إلى المحطة مع الطبيب الذي جاء لزيارتها. خلال هذه المشي، تنهدت بشأن آلامها ونزيفها وانفجرت بنفس الكلمات، "لا أستطيع الاستمرار في العيش هكذا"، دون أن تتخيل أن الطفل الذي كانت تمسك بيده سيحتفظ بها في ذاكرته. وهكذا، كان لتنهده (الذي كان، علاوة على ذلك، سيكرره في مناسبات لا حصر لها خلال مرضه اللاحق) دلالة التعريف بوالدته.

[1] لم يتم تحديد وقت حدوث ذلك بدقة؛ ولكن على أي حال قبل حلم القلق عندما كان في الرابعة، وربما قبل غياب والديه عن المنزل.

سرعان ما ظهر في ذاكرته ما كان بوضوح، من حيث تاريخه ومحتواه، حلقة وسيطة مفقودة بين هذين الحدثين. حدث ذات مرة في بداية فترة قلقه أن والدته القلقة أمرت باتخاذ احتياطات لحماية الأطفال من الدوسنتاريا، التي كانت قد ظهرت في محيط العقار. استفسر عن ماهية ذلك؛ وبعد سماعه أنه عند الإصابة بالدوسنتاريا تجد دماً في برازك، أصبح شديد التوتر وأعلن أن هناك دماً في برازه؛ كان خائفاً من أن يموت بسبب الدوسنتاريا، لكنه سمح لنفسه بالاقتناع من خلال فحص أنه ارتكب خطأ ولا داعي للخوف. يمكننا أن نرى أنه في هذا الخوف كان يحاول تحقيق تماهٍ مع والدته، التي سمع عن نزيفها في المحادثة مع طبيبها. في محاولته اللاحقة للتماهي (عندما كان في الرابعة والنصف) أسقط أي ذكر للدم؛ لم يعد يفهم نفسه، فقد تخيل أنه خجل من نفسه ولم يكن يدرك أنه يهزه خوف من الموت، على الرغم من أن ذلك انكشف بوضوح في تنهده.

في ذلك الوقت، كانت والدته، وهي تعاني من مرض في البطن، قلقة بشكل عام، على نفسها وعلى الأطفال؛ ومن المرجح جداً أن

قلقه هو، بالإضافة إلى دوافعه الأخرى، كان يعتمد على تماهٍ مع والدته.

الآن، ما الذي يمكن أن يكون معنى هذا التماهي مع والدته؟

بين الاستخدام الوقح الذي قام به من سلس البراز عندما كان في الثالثة والنصف، والرعب الذي رأى به ذلك عندما كان في الرابعة والنصف، يكمن الحلم الذي بدأت به فترة قلقه - الحلم الذي منحه فهماً مؤجلاً للمشهد الذي عاشه عندما كان في الواحدة والنصف (ص 3533)، وتفسيراً للدور الذي تلعبه النساء في الفعل الجنسي. إنها خطوة أخرى فقط لربط التغيير في موقفه تجاه التبرز بنفس هذا النفور الكبير. كان الدوسنتاريا اسماً له للمرض الذي سمعه والدته تتأوه بسببه، والذي كان من المستحيل الاستمرار في العيش معه؛ لم يعتبر مرض والدته مرضاً بطنياً بل معوياً. تحت تأثير المشهد البدائي، وصل إلى استنتاج أن والدته مرضت بسبب ما فعله والده بها؛[1] وخوفه من وجود دم في برازه، من أن يكون مريضاً مثل والدته، كان رفضه التماهي معها في هذا المشهد الجنسي - نفس الرفض الذي استيقظ به من الحلم. لكن

الخوف كان أيضاً دليلاً على أنه في صياغته اللاحقة للمشهد البدائي، وضع نفسه في مكان والدته وحسدها على هذه العلاقة مع والده. كان العضو الذي عبر من خلاله تماهيه مع النساء، وموقفه المثلي السلبي تجاه الرجال، هو المنطقة الشرجية. وقد اكتسبت الاضطرابات في وظيفة هذه المنطقة دلالة الدوافع الأنثوية للحنان، واحتفظت بها خلال المرض اللاحق أيضاً.

عند هذه النقطة، يجب أن ننظر في اعتراض، قد تساهم مناقشته كثيراً في توضيح الارتباك الظاهري للظروف. لقد اضطررنا إلى افتراض أنه خلال عملية الحلم، أدرك أن النساء مخصيات، وأن لديهن جرحاً بدلاً من عضو ذكري يستخدم للجماع الجنسي، وأن الإخصاء هو الشرط الضروري للأنوثة؛ لقد اضطررنا إلى افتراض أن التهديد بهذه الخسارة دفعه إلى كبت موقفه الأنثوي تجاه الرجال، وأنه استيقظ من حماسه المثلي في قلق. الآن كيف يمكن التوفيق بين هذا الفهم للجماع الجنسي، وهذا الإدراك للمهبل، واختيار الأمعاء لغرض التماهي مع النساء؟ أليست الأعراض المعوية مبنية على ما هو على الأرجح مفهوم

أقدم، ومفهوم يتعارض تماماً في كل الأحوال مع خوف الإخصاء - ألا وهو فكرة أن الجماع الجنسي يحدث في الشرج؟

بالتأكيد، هذا التناقض موجود؛ والرأيان غير متفقين تماماً مع بعضهما البعض. السؤال الوحيد هو ما إذا كانا بحاجة إلى أن يكونا متسقين. ينشأ ارتباكنا فقط لأننا نميل دائماً إلى معالجة العمليات العقلية اللاواعية مثل العمليات الواعية ونسيان الفروق العميقة بين النظامين النفسيين.

[1] استنتاج لم يكن بعيداً عن الحقيقة على الأرجح.

عندما استدعى حلم عيد الميلاد، بإثارته وتوقعه، صورة الجماع الجنسي لوالديه كما شاهده (أو فسره) ذات مرة، لا شك أن أول رؤية ظهرت كانت القديمة، والتي بموجبها كان الجزء من جسد الأنثى الذي استقبل العضو الذكري هو الشرج. وبالفعل، ماذا كان يمكن أن يفترض عندما كان في سن الواحدة والنصف شاهداً للمشهد؟[1] ولكن الآن جاء الحدث الجديد الذي وقع عندما كان في الرابعة من عمره. ما تعلمه في هذه الأثناء، الإشارات التي سمعها إلى الإخصاء، استيقظت وألقت شكاً على "نظرية

المجمع"؛ ولفتت انتباهه إلى الفرق بين الجنسين والدور الجنسي الذي تلعبه النساء. في هذا الاحتمال، تصرف كما يتصرف الأطفال عموماً عندما يتلقون معلومات غير مرغوب فيها - سواء كانت جنسية أو من أي نوع آخر. رفض ما هو جديد (في حالتنا لدوافع مرتبطة بخوفه من الإخصاء) وتمسك بقوة بما هو قديم. قرر لصالح الأمعاء وضد المهبل، تماماً كما اتخذ لاحقاً، لدوافع مماثلة، جانب والده ضد الله. رفض المعلومات الجديدة وتمسك بالنظرية القديمة. يجب أن تكون هذه الأخيرة قد وفرت المادة لتماهيه مع النساء، والذي ظهر لاحقاً كخوف من الموت بالارتباط بالأمعاء، ولقلقه الديني الأول، حول ما إذا كان المسيح قد امتلك مؤخرة، وهلم جرا. ليس الأمر أن بصيرته الجديدة ظلت دون أي تأثير؛ بل على العكس تماماً. لقد طورت تأثيراً قوياً بشكل استثنائي، فقد أصبحت دافعاً للحفاظ على عملية الحلم بأكملها تحت الكبت واستبعادها من المعالجة لاحقاً في الوعي. ولكن بذلك استنفد تأثيرها؛ لم يكن لها أي تأثير في تحديد المشكلة الجنسية. أن يكون من الممكن منذ ذلك الوقت فصاعداً

أن يوجد خوف من الإخصاء جنباً إلى جنب مع تماهي مع النساء عن طريق الأمعاء يتضمن تناقضاً بلا شك. لكنه كان مجرد تناقض منطقي - وهذا ليس بالكثير. على العكس من ذلك، فإن العملية بأكملها مميزة للطريقة التي يعمل بها اللاوعي. الكبت شيء مختلف جداً عن الحكم بالإدانة.

[1] أو طالما لم يفهم معنى الجماع بين الكلاب.

عندما كنا ندرس نشأة رهاب الذئاب، تابعنا تأثير بصيرته الجديدة في الفعل الجنسي؛ ولكن الآن بعد أن نحقق في اضطرابات وظيفة الأمعاء، نجد أنفسنا نعمل على أساس النظرية المجمعة القديمة. ظل الرأيان منفصلين عن بعضهما البعض بمرحلة من الكبت. انسحب موقفه الأنثوي تجاه الرجال، الذي تم رفضه بفعل الكبت، كما لو كان، إلى الأعراض المعوية، وعبر عن نفسه في نوبات الإسهال والإمساك وآلام الأمعاء، التي كانت متكررة جداً خلال طفولة المريض. وبالتالي، كانت تخيلاته الجنسية اللاحقة، التي استندت إلى معرفة جنسية صحيحة، قادرة على التعبير عن نفسها بشكل تراجعي كاضطرابات معوية. ولكن لا يمكننا فهمها

إلا بعد أن نوضح التعديلات التي تحدث في دلالة البراز من السنوات الأولى من الطفولة فصاعداً.[1]

لقد أشرت بالفعل في نقطة سابقة من قصتي إلى أن جزءاً من محتوى المشهد البدائي قد تم حجبه. أنا الآن في وضع يمكنني من إنتاج هذا الجزء المفقود. لقد قاطع الطفل في النهاية جماع والديه عن طريق التبرز، مما منحه ذريعة للصراخ. جميع الاعتبارات التي طرحتها أعلاه في مناقشة بقية محتوى المشهد نفسه تنطبق بالتساوي على نقد هذه القطعة الإضافية.

قبل المريض هذا الفعل الختامي عندما قمت بتكوينه، وبدا أنه يؤكده من خلال إنتاج "أعراض عابرة". قطعة إضافية أخرى اقترحتها، مفادها أن والده انزعج من المقاطعة وأعرب عن سوء مزاجه بتوبيخه، كان لا بد من إسقاطها. مادة التحليل لم تتفاعل معها.

التفصيل الإضافي الذي طرحته الآن لا يمكن بالطبع وضعه على نفس مستوى بقية محتوى المشهد. هنا لا يتعلق الأمر بانطباع من الخارج، والذي يجب أن يتوقع أن يظهر مرة أخرى في عدد

من المؤشرات اللاحقة، بل يتعلق برد فعل من جانب الطفل نفسه. لن يؤثر ذلك على القصة ككل إذا لم يحدث هذا العرض، أو إذا تم أخذه من فترة لاحقة وإدراجه في مسار المشهد. لكن لا يمكن التشكيك في كيفية اعتبارنا له. إنه علامة على حالة من الإثارة في المنطقة الشرجية (بأوسع معانيها). في حالات أخرى مماثلة، انتهت ملاحظة كهذه للجماع الجنسي بإفراز البول؛ والرجل البالغ في نفس الظروف سيشعر بالانتصاب. حقيقة أن صبينا الصغير تبرز كعلامة على إثارته الجنسية يجب اعتبارها خاصية لتركيبته الجنسية الفطرية. لقد اتخذ على الفور موقفاً سلبياً، وأظهر ميلاً أكبر نحو التماهي اللاحق مع النساء أكثر من الرجال.

[1] انظر "تحولات الغريزة كما يتجلى في الإثارة الشرجية" (c1917)

وفي الوقت نفسه، وكأي طفل آخر، كان يستغل محتوى الأمعاء في أحد معانيه المبكرة والأكثر بدائية. **البراز هو أول هدية للطفل، أول تضحية باسم حبه، جزء من جسده هو مستعد للتخلي عنه، ولكن فقط من أجل شخص يحبه.**[1] استخدام البراز كتعبير عن التحدي، كما فعل مريضنا ضد المربية عندما كان في الثالثة والنصف، هو مجرد تحويل معنى "الهدية" السابق إلى سلبية. يبدو أن "كومة البراز" (grumus merdae) التي يتركها المجرمون في مسرح جرائمهم تحمل كلا المعنيين: الإهانة، وتعبير تراجعي عن جبر الضرر. من الممكن دائماً، عند الوصول إلى مرحلة أعلى، أن يستمر استخدام المرحلة الأدنى بمعناها السلبي والمهين. التناقض هو مظهر من مظاهر الكبت.[2]

[1] أعتقد أنه لا توجد صعوبة في إثبات أن الرضع لا يلوثون بفضلاتهم إلا الأشخاص الذين يعرفونهم ويحبونهم؛ فهم لا يعتبرون الغرباء جديرين بهذا التمييز. في مقالاتي الثلاثة حول

نظرية النشاط الجنسي (d1905) ذكرت الغرض الأول الذي يستخدم فيه البراز - ألا وهو التحفيز الذاتي الشهواني للغشاء المخاطي المعوي. نصل الآن إلى مرحلة أخرى، حيث يلعب موقف الطفل تجاه كائن ما دوراً حاسماً في عملية التبرز، حيث يظهر طاعة أو وداداً. هذه العلاقة مستمرة؛ فحتى الأطفال الأكبر سناً يسمحون لأنفسهم فقط بمساعدة أشخاص مميزين في التبرز والتبول، على الرغم من أن احتمال أشكال أخرى من الإشباع متورط أيضاً في هذا الصدد.

[2] في اللاوعي، كما نعلم، "لا" لا وجود لها، ولا يوجد تمييز بين المتناقضات. النفي لا يتم إدخاله إلا بعملية الكبت.

في مرحلة لاحقة من التطور الجنسي، يكتسب البراز معنى الطفل الرضيع. فالرضع، مثل البراز، يولدون عبر فتحة الشرج. معنى "الهدية" للبراز يقبل هذا التحول بسهولة. ومن الشائع التعبير عن الطفل الرضيع بـ "هدية". التعبير الأكثر شيوعاً هو أن المرأة "أعطت" الرجل طفلاً رضيعاً؛ ولكن في استخدام اللاوعي، يتم

إيلاء اهتمام متساوٍ بحق للجانب الآخر من العلاقة، وهو أن المرأة "تلقّت" الطفل الرضيع كهدية من الرجل.

يتفرع معنى البراز كالمال من معنى "الهدية" في اتجاه آخر.

تكشف لنا الآن الأهمية العميقة لذكرى الشاشة المبكرة لمريضنا، والتي تفيد بأنه أصابته أول نوبة غضب لأنه لم يُمنح هدايا كافية في عيد الميلاد. ما كان يشعر بنقص فيه هو الإشباع الجنسي، الذي كان قد اعتبره شرجياً. لقد فهمت أبحاثه الجنسية خلال مسار الحلم ما كانت قد أُعدت لإيجاده قبل الحلم، وهو أن الفعل الجنسي حل مشكلة أصل الأطفال. حتى قبل الحلم، كان يكره الأطفال. ذات مرة، عندما عثر على طائر صغير لم يكسه الريش بعد وسقط من عشه، ظنه طفلاً بشرياً وشعر بالرعب منه. أظهر التحليل أن جميع الحيوانات الصغيرة، مثل اليرقات والحشرات، التي كان غاضباً منها جداً، كانت تعني له الأطفال الرضع.[1] لقد منحه موقفه بالنسبة لأخته الكبرى كل الفرص للتفكير في العلاقة بين الأطفال الأكبر سناً والأصغر سناً. أخبرته مربيته ذات مرة أن والدته كانت تحبه كثيراً لأنه الأصغر، وهذا

أعطاه أسباباً وجيهة لتمني ألا يأتي طفل أصغر بعده. وقد تجدد خوفه من هذا الطفل الأصغر تحت تأثير الحلم الذي أظهر له جماع والديه.

يجب علينا بالتالي إضافة تيار جنسي آخر إلى التيارات الجنسية التي نعرفها بالفعل، والذي، مثل البقية، بدأ من المشهد البدائي الذي تم إعادة إنتاجه في الحلم. في تماهيه مع النساء (أي مع والدته)، كان مستعداً لمنح والده طفلاً، وكان يشعر بالغيرة من والدته، التي فعلت ذلك بالفعل وربما تفعل ذلك مرة أخرى.

[1] تماماً كما ترمز الحشرات في كثير من الأحيان إلى الأطفال الرضع في الأحلام والرهاب.

بطريقة ملتوية، بما أن كل من "المال" و"الرضيع" يحملان معنى "الهدية"، يمكن للمال أن يكتسب معنى الرضيع وبالتالي يصبح وسيلة للتعبير عن الإشباع الأنثوي (المثلي الجنس). هذا ما حدث مع مريضنا عندما - كان هو وأخته يقيمان في مصحة ألمانية في ذلك الوقت - رأى والده يعطي أخته ورقتين نقديتين

كبيرتين. في الخيال، كان دائماً يشك في علاقات والده مع أخته؛ وعندئذ استيقظت غيرته. هرع إلى أخته بمجرد أن أصبحا وحدهما، وطالب بحصة من المال بعنف شديد وتوبيخات لدرجة أن أخته، والدموع في عينيها، ألقت إليه بكل المال. ما أثارته لم يكن المال الفعلي فحسب، بل "الرضيع" - الإشباع الجنسي الشرجي من والده. وكان قادراً على تعزية نفسه بهذا عندما، في حياة والده، توفيت أخته. الفكرة المقززة التي طرأت على ذهنه عندما سمع خبر وفاتها لم تعنِ في الواقع أكثر من هذا: "الآن أنا الطفل الوحيد. الآن سيضطر أبي إلى حبي أنا فقط." ولكن على الرغم من أن تأمله كان في حد ذاته قادراً تماماً على أن يصبح واعياً، إلا أن خلفيته المثلية كانت لا تطاق لدرجة أن تمويهها في شكل الجشع الأكثر دناءة جاء كراحة كبيرة.

وبالمثل، أيضاً، عندما لام والدته بعد وفاة والده بشكل غير مبرر بأنها تريد أن تحرمه من المال وأنها تحب المال أكثر منه. دفعته غيرته القديمة منها لأنها أحبت طفلاً آخر غيره، وإمكانية أنها

أرادت طفلاً آخر بعده، إلى توجيه اتهامات كان هو نفسه يعلم أنها لا أساس لها من الصحة.

يوضح هذا التحليل لمعنى البراز أن الأفكار الوسواسية التي أجبرته على ربط الله بالبراز كان لها أهمية إضافية تتجاوز الازدراء الذي رآه هو نفسه فيها. لقد كانت في الواقع منتجات تسوية حقيقية، لعب فيها تيار affectionate (عاطفي) من التفاني دوراً لا يقل عن تيار عدائي من الإساءة. "الله-قذارة" كان على الأرجح اختصاراً لـ "عطية" يسمع المرء أحياناً ذكرها في شكلها غير المختصر. "التبرز على الله" [auf Gott scheissen] أو "التبرز شيئاً لله" [Gott etwas scheissen] يعني أيضاً منحه طفلاً أو حمله على منحه طفلاً. يجمع العبارة الوسواسية بين معنى "الهدية" القديم في شكله السلبي والمهين ومعنى "الرضيع" الذي تطور لاحقاً منه. في المعنى الأخير، يجد حنان أنثوي تعبيراً: استعداد للتخلي عن ذكورية المرء إذا أمكن أن يُحب كأنثى في المقابل. هنا إذن، لدينا نفس الدافع تماماً تجاه الله الذي عبر عنه بكلمات لا لبس فيها في نظام الوهم لدى الرئيس السناتور بارانويا شرايبر.

عندما أصل لاحقاً إلى وصف التوضيح النهائي لأعراض مريضي، ستتضح مرة أخرى الطريقة التي وضع بها الاضطراب المعوي نفسه في خدمة التيار المثلي الجنسي، وأعطى تعبيراً لموقفه الأنثوي تجاه والده. في غضون ذلك، سنذكر معنى آخر للبراز، والذي سيقودنا إلى مناقشة عقدة الإخصاء.

بما أن عمود البراز يحفز الغشاء المخاطي المثير للشهوة في الأمعاء، فإنه يلعب دور عضو فعال تجاهه؛ إنه يتصرف تماماً كما يتصرف القضيب تجاه الغشاء المخاطي المهبلي، ويعمل ك "سابق" له خلال العصر المجمعي. إن تسليم البراز من أجل (حب) شخص آخر يصبح نموذجاً أولياً للإخصاء؛ إنها المناسبة الأولى التي يتخلى فيها الفرد عن قطعة من جسده [1] من أجل كسب رضا شخص آخر يحبه. وهكذا، فإن حب الشخص لقضيبه الخاص، والذي هو نرجسي في جوانب أخرى، لا يخلو من عنصر الإثارة الشرجية. "البراز"، "الرضيع"، و"القضيب" يشكلون بذلك وحدة، مفهوماً لا واعياً (مع الاعتذار عن الكلمة) - ألا وهو مفهوم "الصغير" الذي يمكن أن ينفصل عن جسد المرء.

على طول هذه المسارات من الارتباط، قد يصبح الارتباط الشهواني مزاحاً أو مكثفاً بطرق ذات أهمية مرضية وتكشفها التحليلات.

لقد تعرفنا بالفعل على الموقف الذي اتخذه مريضنا لأول مرة تجاه مشكلة الإخصاء. لقد رفض الإخصاء، وتمسك بنظريته عن الجماع عن طريق الشرج. عندما أتحدث عن رفضه، فإن المعنى الأول للعبارة هو أنه لم يكن يريد التعامل معه، بمعنى أنه كبته. لم يتضمن هذا في الواقع أي حكم على مسألة وجوده، ولكنه كان كما لو أنه غير موجود. ومع ذلك، لم يكن مثل هذا الموقف هو موقفه النهائي، حتى في وقت عُصابه الطفولي. نجد أدلة لاحقة جيدة على اعترافه بالإخصاء كحقيقة. في هذا الصدد، مرة أخرى، تصرف بالطريقة التي كانت مميزة جداً له، ولكنها تجعل من الصعب جداً تقديم وصف واضح لعملياته العقلية أو فهمها. لقد قاوم أولاً ثم استسلم؛ لكن رد الفعل الثاني لم يلغِ الأول. في النهاية، كان هناك تياران متناقضان جنباً إلى جنب فيه، أحدهما كره فكرة الإخصاء، بينما كان الآخر مستعداً لقبولها وتعزية نفسه

بالأنوثة كتعويض. ولكن بلا شك، كان تيار ثالث، الأقدم والأعمق، والذي لم يطرح حتى الآن مسألة واقعية الإخصاء، لا يزال قادراً على الدخول في النشاط. لقد ذكرت في مكان آخر[2] هلوسة عانى منها هذا المريض نفسه في سن الخامسة، ولا أحتاج هنا إلا إلى إضافة تعليق موجز.

[1] هكذا يعامل الأطفال البراز دائماً.

[2] "التعرف الخاطئ ("Déjà Raconté") في العلاج النفسي التحليلي" (a1914).

"عندما كنت في الخامسة من عمري، كنت ألعب في الحديقة بالقرب من مربيتي، وكنت أنحت بسكين جيبي في لحاء إحدى أشجار الجوز التي تظهر في حلمي أيضاً.[1] فجأة، وعلى نحو لا يصدق، لاحظت أنني قد قطعت الإصبع الصغير من يدي (اليمنى أم اليسرى؟)، بحيث كانت معلقة فقط بجلدها. لم أشعر بأي ألم، لكنني شعرت بخوف شديد. لم أجرؤ على قول أي شيء لمربيتي، التي كانت على بعد خطوات قليلة، لكنني انزلق إلى أقرب

مقعد وجلست هناك عاجزاً عن إلقاء نظرة أخرى على إصبعي. أخيراً هدأت، نظرت إلى الإصبع، ورأيت أنه غير مصاب بالكامل."

بعد أن تلقى تعليمه في قصة الإنجيل في سن الرابعة والنصف، بدأ، كما نعلم، يبذل جهوداً فكرية مكثفة انتهت بتقواه الوسواسية. لذلك، قد نفترض أن هذه الهلوسة تنتمي إلى الفترة التي أدرك فيها واقعية الإخصاء، وربما يجب اعتبارها بمثابة علامة حقيقية لهذه الخطوة. حتى التصحيح الصغير الذي أدخله المريض ليس بدون أهمية. إذا كان لديه هلوسة بنفس التجربة المروعة التي يرويها تاسو في "جروساليم ليبراتا" عن بطله تانكريد، فربما نكون محقين في التوصل إلى تفسير أن الشجرة تعني امرأة لمريضنا الصغير أيضاً. هنا، إذن، كان يلعب دور والده، وكان يربط نزيف والدته المألوف بإخصاء النساء، والذي أدركه الآن - بـ "الجرح".

[1] قارن "حدوث مادة القصص الخرافية في الأحلام". عند رواية القصة مرة أخرى في مناسبة لاحقة، أجرى التصحيح التالي: "لا أعتقد أنني كنت أقطع الشجرة. كان ذلك التباساً مع ذكرى أخرى،

والتي لا بد أنها قد زُوّرت هلوسياً أيضاً، وهي أنني قمت بقطع في شجرة بسكيني وخرج دم من الشجرة."

لقد استثيرت هلوسة إصبع المريض المقطوع، كما روى لاحقًا، بقصة أن قريبة له ولدت بستة أصابع وأن الأصبع الزائد تم قطعه فوراً بفأس. إذن، لم يكن لدى النساء قضيب لأنه أُخذ منهن عند الولادة. وبهذه الطريقة، تقبّل، في فترة العصاب الوسواسي، ما كان قد تعلّمه بالفعل خلال الحلم لكنه رفضه آنذاك عن طريق الكبت. لا بد أنه قد اطلع أيضاً، خلال قراءاته ومناقشاته للقصة المقدسة، على الختان الطقسي للمسيح واليهود بشكل عام.

لا شك على الإطلاق في أن والده كان يتحول في هذا الوقت إلى شخصية مرعبة تهدده بالإخصاء. الإله القاسي الذي كان يصارعه آنذاك - الذي يجعل البشر خاطئين، فقط لمعاقبتهم بعد ذلك، الذي ضحى بابنه وأبناء البشر - هذا الإله رد شخصيته على والد المريض، على الرغم من أن الصبي، من ناحية أخرى، كان يحاول في نفس الوقت الدفاع عن والده ضد الإله. عند هذه النقطة، كان

على الصبي أن يتناسب مع نموذجphylogenetic (تطوري)، وقد فعل ذلك، على الرغم من أن تجاربه الشخصية قد لا تتفق معه. على الرغم من أن التهديدات أو الإشارات بالإخصاء التي وصلت إليه كانت صادرة من النساء،[1] إلا أن هذا لم يتمكن من وقف النتيجة النهائية لفترة طويلة. على الرغم من كل شيء، كان والده هو الذي أصبح في النهاية يخاف منه الإخصاء. في هذا الصدد، انتصرت الوراثة على التجربة العرضية؛ ففي عصور ما قبل التاريخ البشرية، كان الأب بلا شك هو الذي يمارس الإخصاء كعقاب والذي خففه لاحقاً إلى الختان. كلما توغل المريض في كبت الحسية خلال مسار تطور العصاب الوسواسي،[2] كلما أصبح من الطبيعي بالنسبة له أن ينسب هذه النوايا الشريرة إلى والده، الذي كان الممثل الحقيقي للنشاط الحسي.

[1] نعرف هذا بالفعل فيما يتعلق بمربيته؛ وسنسمع عنه مرة أخرى فيما يتعلق بامرأة أخرى.

[2] للحصول على دليل على ذلك، انظر الصفحة رقم...

أصبح تحديد هويته لوالده بـ المُخصي[1] ذا أهمية كمصدر لعداء لا واعٍ شديد تجاهه (بلغ حد تمني الموت) وشعور بالذنب رد فعل عليه. حتى هذه النقطة، ومع ذلك، كان يتصرف بشكل طبيعي - أي، مثل أي عصابي يتملكه عقدة أوديب إيجابية. لكن الشيء المدهش كان أنه حتى ضد هذا كان هناك تيار مضاد يعمل فيه، والذي، على العكس، اعتبر والده هو المخصي وأنه يدعو، بالتالي، إلى تعاطفه.

عندما حللت طقوسه التنفسية بالزفير كلما رأى المعاقين والمتسولين وأمثالهم، تمكنت من إظهار أن هذا العَرَض يمكن أن يعزى أيضاً إلى والده، الذي شعر بالأسف لأجله عندما زاره كمريض في المصحة. أتاح التحليل تتبع هذا الخيط إلى أبعد من ذلك. في فترة مبكرة جداً، ربما قبل إغوائه (في سن الثالثة والربع)، كان هناك في العقار عامل يومي عجوز وظيفته حمل الماء إلى المنزل. لم يكن يستطيع التحدث، ظاهرياً لأن لسانه قد قُطع. (ربما كان أصم أبكم). كان الصبي الصغير يحبه كثيراً ويشفق عليه بعمق. عندما توفي، بحث عنه في السماء.[2] هنا إذن، كان أول

المعاقين الذين شعر بالتعاطف معهم، و، كما أظهر السياق والنقطة التي ظهرت فيها الحلقة في التحليل، بديل أب لا شك فيه.

[1] من بين الأعراض الأكثر إيلاماً، ولكن في نفس الوقت الأكثر غرابة، لمرضه اللاحق كانت علاقته بكل خياط يطلب منه بدلة: احترامه وخجله في حضرة هذا المسؤول الرفيع، ومحاولاته كسب رضاه بإعطائه بقشيشاً باهظاً، ويأسه من نتائج العمل بغض النظر عن كيف كانت في الواقع.

[2] في هذا الصدد، قد أذكر بعض الأحلام التي رآها، في وقت لاحق من حلم القلق، ولكن بينما كان لا يزال في العقار الأول. هذه الأحلام مثلت مشهد الجماع كحدث يحدث بين الأجرام السماوية.

في التحليل، ارتبط هذا الرجل بذكرى خدم آخرين أحبهم المريض وشدد على حقيقة أنهم كانوا إما مرضى أو يهوداً (مما يعني الختان). الخادم، أيضاً، الذي ساعده في تنظيفه بعد حادثته

في الرابعة والنصف، كان يهودياً ومريضاً بالسل وكان موضوع شفقة منه. تنتمي جميع هذه الشخصيات إلى الفترة التي سبقت زيارته لوالده في المصحة، أي قبل تكوين العَرَض؛ لذلك يجب أن يكون هذا الأخير مقصوداً بدلاً من ذلك لـ صدّ (عن طريق الزفير) أي تماهٍ مع موضوع شفقة المريض. ثم فجأة، بالارتباط بحلم، غاص التحليل مرة أخرى في الفترة ما قبل التاريخية، وقاده إلى التأكيد على أنه خلال الجماع في المشهد البدائي، لاحظ اختفاء القضيب، وأنه شعر بالتعاطف مع والده لهذا السبب، وفرح بظهور ما كان يعتقد أنه فُقد. هنا إذن، كان هناك دافع عاطفي جديد، يبدأ مرة أخرى من المشهد البدائي. علاوة على ذلك، فإن الأصل النرجسي للشفقة (الذي تؤكده الكلمة نفسها) مكشوف هنا بشكل لا لبس فيه تماماً.

ثانيًا: مواد جديدة من الفترة البدائية – حل

يحدث في العديد من التحليلات أنه مع اقتراب نهايتها، تظهر ذكريات جديدة كانت مخبأة بعناية حتى الآن. أو قد يحدث أن تُلقى ملاحظة بسيطة ذات مرة بنبرة غير مبالية وكأنها زائدة عن الحاجة؛ ثم، في مناسبة أخرى، يضاف شيء آخر، يبدأ الطبيب في إعارة انتباهه له؛ وفي النهاية، يدرك هذا الجزء المهمل من الذاكرة كمفتاح لأثقل الأسرار التي أخفاها عَصَاب المريض.

في وقت مبكر من التحليل، أخبرني مريضي عن ذكرى من الفترة التي اعتادت فيها شقاوته أن تتحول فجأة إلى قلق. كان يطارد فراشة كبيرة جميلة ذات خطوط صفراء وأجنحة كبيرة تنتهي بزوائد مدببة - فراشة حورية البحر في الواقع. فجأة، عندما استقرت الفراشة على زهرة، انتابه خوف رهيب من المخلوق، وهرب صارخاً.

تكررت هذه الذكرى أحياناً خلال التحليل، وطلبت تفسيراً؛ ولكن لفترة طويلة لم يتم العثور على أي تفسير. ومع ذلك، كان من

المفترض بطبيعة الحال أن تفصيلاً كهذا لم يحتفظ بمكانه في ذاكرته من تلقاء نفسه، ولكنه كان ذكرى حاجبة، تمثل شيئاً أكثر أهمية مرتبطاً به بطريقة ما. ذات يوم، أخبرني أن الفراشة في لغته تسمى "بابوشكا" (جدة). وأضاف أن الفراشات بشكل عام بدت له مثل النساء والفتيات، والخنافس واليرقات مثل الأولاد. لذلك لم يكن هناك شك يذكر في أن مشهد القلق هذا أثار ذكرى لشخص أنثوي. لن أخفي حقيقة أنني في ذلك الوقت طرحت إمكانية أن تكون الخطوط الصفراء على الفراشة قد ذكرته بخطوط مماثلة على قطعة ملابس ترتديها امرأة. أذكر هذا فقط كمثال لأبين مدى عدم كفاية الجهود البنائية للطبيب عادة في توضيح الأسئلة التي تنشأ، ومدى الظلم في عزو نتائج التحليل إلى خيال الطبيب واقتراحه.

بعد عدة أشهر، في سياق آخر تماماً، لاحظ المريض أن فتح وإغلاق أجنحة الفراشة بينما كانت مستقرة على الزهرة قد منحه شعوراً غريباً. لقد بدت، على حد قوله، كامرأة تفتح ساقيها، وشكلت الساقان بعد ذلك شكل حرف V الروماني، والذي، كما

نعلم، كان الساعة التي اعتاد فيها، في صباه، وحتى وقت العلاج، أن يدخل في حالة ذهنية مكتئبة.

كان هذا ارتباطاً لم أكن لأصل إليه بنفسي، وقد اكتسب أهمية من خلال النظر في الطبيعة الطفولية بالكامل لسلسلة الارتباطات التي كشفت عنها. ينتبه الأطفال، كما لاحظت غالباً، إلى الحركات بسهولة أكبر بكثير من الأشكال الساكنة؛ وكثيراً ما يبنون الارتباطات على تشابه في الحركة يتجاهله البالغون أو يهملونه.

بعد ذلك، تُركت المشكلة الصغيرة مرة أخرى دون مساس لفترة طويلة؛ لكنني قد أذكر الشك السهل بأن النقاط أو الزوائد الشبيهة بالعصا على أجنحة الفراشة ربما كانت تحمل معنى الرموز الجنسية.

في أحد الأيام، ظهرت، بخجل وبشكل غير واضح، نوع من الذكريات مفادها أنه في سن مبكرة جداً، حتى قبل فترة المربية، لا بد أنه كان لديه مربية أطفال كانت تحبه كثيراً. كان اسمها نفس اسم والدته. لا شك أنه بادلها المودة. لقد كان، في الواقع، حباً

أولاً تلاشى في النسيان. لكننا اتفقنا على أن شيئاً ما لا بد قد حدث في ذلك الوقت أصبح ذا أهمية لاحقاً.

ثم في مناسبة أخرى، صحح هذه الذكرى. لم يكن اسمها نفس اسم والدته؛ كان هذا خطأ من جانبه، وبالطبع أظهر أنه في ذاكرته قد اندمجت مع والدته. اسمها الحقيقي، تابع، قد خطر بباله بطريقة ملتوية. لقد فكر فجأة في مخزن، في العقار الأول، كان يُحفظ فيه الفاكهة بعد قطفها، وفي نوع معين من الكمثرى ذو طعم لذيذ جداً - كمثرى كبيرة ذات خطوط صفراء على قشرتها. الكلمة التي تعني "كمثرى" في لغته كانت "غروشا" (Grusha)، وكان هذا أيضاً اسم مربية الأطفال.

وهكذا أصبح واضحاً أن وراء ذكرى الشاشة للفراشة المطارَدة كانت ذكرى المربية مخبأة. لكن الخطوط الصفراء لم تكن على فستانها، بل على الكمثرى التي كان اسمها نفس اسمها.

ما هو، ومع ذلك، أصل القلق الذي نشأ عندما تم تنشيط ذاكرتها؟ قد يكون الجواب الواضح على هذا هو الفرضية الخام التي مفادها أن هذه الفتاة هي التي، عندما كان طفلاً صغيراً، رآها

لأول مرة تقوم بالحركات بساقيها التي ثبتها في ذهنه بالحرف V الروماني - حركات تسمح بالوصول إلى الأعضاء التناسلية. لقد جنبنا أنفسنا مثل هذه النظريات وانتظرنا المزيد من المواد.

بعد ذلك بوقت قصير جداً، جاءت ذكرى مشهد، غير مكتمل، ولكن، بقدر ما تم حفظه، محدد. كانت غروشا راكعة على الأرض، وبجانبها دلو ومكنسة قصيرة مصنوعة من حزمة من الأغصان؛ كان هو أيضاً هناك، وكانت تداعبه أو توبخه.

يمكن بسهولة تزويد العناصر المفقودة من اتجاهات أخرى. خلال الأشهر الأولى من العلاج، أخبرني كيف وقع فجأة في حب فتاة فلاحية بطريقة قهرية، والتي، في عامه الثامن عشر، أصابته بالسبب المحرض لمرضه اللاحق. عندما أخبرني بهذا، أظهر تردداً غير عادي في إعطائي اسم الفتاة. لقد كانت حالة منعزلة تماماً من المقاومة، فبالإضافة إلى ذلك، كان يطيع القاعدة الأساسية للتحليل دون تحفظ. ومع ذلك، أكد أن سبب خجله الشديد من ذكر الاسم هو أنه كان اسم فلاحي بحت وأنه لا يمكن لفتاة من أصل نبيل أن تُسمى به. عندما تم الكشف عن الاسم في

النهاية، اتضح أنه ماترونا (Matrona)، والذي يحمل نبرة أمومية. كان الخجل من الواضح مزاحاً. لم يكن يخجل من حقيقة أن علاقات الحب هذه كانت تتعلق دائماً بفتيات من أفقر الأصول؛ كان يخجل فقط من الاسم. إذا اتضح أن العلاقة مع ماترونا كان لها شيء مشترك مع مشهد غروشا، فإن الخجل يجب أن يعاد نقله إلى تلك الحلقة المبكرة.

أخبرني في مرة أخرى أنه عندما سمع قصة جان هوس، تأثر كثيراً، وأن انتباهه انجذب إلى حزم الحطب التي كانت تسحب عندما تم حرقه على المحك. الآن، تعاطفه مع هوس أثار شكاً محدداً تماماً في ذهني، لأنني غالباً ما صادفت هذا التعاطف في المرضى الشباب، ولطالما تمكنت من تفسيره بنفس الطريقة. حتى أن أحد هؤلاء المرضى ذهب إلى حد إنتاج نسخة درامية من سيرة هوس؛ بدأ في كتابة مسرحيته في اليوم الذي فقد فيه الكائن الذي كان يحبه سراً. هوس هلك بالنار، و (مثل الآخرين الذين يمتلكون نفس المؤهل) يصبح بطل الأشخاص الذين عانوا في وقت ما من التبول اللاإرادي (enuresis). ربط مريضي نفسه حزم الحطب

المستخدمة لإعدام هوس بمكنسة مربية الأطفال أو حزمة الأغصان.

هذه المواد تجمعت بشكل تلقائي وساهمت في ملء الفجوات في ذاكرة المريض عن المشهد مع غروشا. عندما رأى الفتاة تنظف الأرض، تبول في الغرفة، وأجابت هي، مما لا شك فيه مزاحاً، بتهديد بالإخصاء.[1]

لا أعلم إذا كان القراء قد خمنوا بالفعل لماذا قدمت هذا الشرح المفصل لهذه الحلقة من طفولة المريض المبكرة.[2] إنها توفر رابطاً مهماً بين المشهد البدائي والحب القهري اللاحق الذي أصبح ذا أهمية حاسمة في مسيرته اللاحقة، وتوضح لنا أيضاً شرطاً اعتمد عليه وقوعه في الحب ويوضح هذا الإكراه.

عندما رأى الفتاة على الأرض منخرطة في التنظيف، وراكعة، ومؤخرتها بارزة وظهرها أفقياً، واجه مرة أخرى الوضعية التي اتخذتها والدته في مشهد الجماع. أصبحت والدته بالنسبة له؛ انتابه إثارة جنسية بسبب تنشيط هذه الصورة؛[3] ومثل والده (الذي لم يكن بإمكانه أن يرى فعله في ذلك الوقت إلا على أنه

تبول)، تصرف بطريقة ذكورية تجاهها. كان تبوله على الأرض في الواقع محاولة للإغواء، وردت الفتاة عليها بتهديد بالإخصاء، وكأنها فهمت ما يقصده.

[1] من الملاحظ جداً أن رد فعل الخجل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بـ التفريـغ اللاإرادي للمثانة (سواء في النهار أو الليل) وليس بنفس القدر، كما كان متوقعاً، بـ سلس الأمعاء. التجربة لا تترك مجالاً للشك في هذه النقطة. العلاقة المنتظمة الموجودة بين سلس المثانة والنار توفر أيضاً مادة للتفكير. من الممكن أن هذه التفاعلات والعلاقات تمثل رواسب من تاريـخ الحضارة الإنسانية مشتقة من طبقة أدنى من أي شيء محفوظ لنا في الآثار الباقية في الأساطير أو الفولكلور.

[2] يمكن إرجاعها إلى وقت كان فيه حوالي عامين ونصف: بين ملاحظته المفترضة للجماع وإغوائه.

[3] كان هذا قبل الحلم.

لقد انتقل الإكراه الذي نشأ من المشهد البدائي إلى هذا المشهد مع غروشا وتم حمله بواسطته. لكن الشرط الذي اعتمد عليه

وقوعه في الحب تعرض لتغيير أظهر تأثير المشهد الثاني: فقد انتقل من وضعية المرأة إلى النشاط الذي كانت تمارسه في تلك الوضعية. كان هذا واضحاً، على سبيل المثال، في حادثة ماترونا. كان يسير في القرية التي كانت جزءاً من ممتلكاتهم (اللاحقة)، عندما رأى فتاة فلاحية راكعة بجانب البركة ومنخرطة في غسل الملابس فيها. وقع في حب الفتاة على الفور وبعنف لا يقاوم، على الرغم من أنه لم يتمكن بعد من إلقاء نظرة على وجهها. بوضعيتها ونشاطها، حلت محل غروشا بالنسبة له. يمكننا الآن أن نرى كيف أمكن للخجل الذي ارتبط بشكل صحيح بمحتوى المشهد مع غروشا أن يرتبط باسم ماترونا.

هجوم آخر من الوقوع في الحب، يعود تاريخه إلى بضع سنوات سابقة، يظهر بشكل أوضح التأثير القهري لمشهد غروشا. فتاة فلاحية شابة، كانت خادمة في المنزل، كانت قد اجتذبته منذ فترة طويلة، لكنه نجح في منع نفسه من الاقتراب منها. ذات يوم، عندما عثر عليها وحدها في غرفة، غمره حبه. وجدها راكعة على

الأرض ومنخرطة في تنظيفها، وبجانبها دلو ومكنسة - في الواقع، تماماً كما رآها في طفولته.

حتى اختياره النهائي للكائن، الذي لعب دوراً مهماً في حياته، تظهر تفاصيله (على الرغم من أنه لا يمكن إيرادها هنا) أنها كانت تعتمد على نفس الشرط وأنها كانت فرعاً من الإكراه الذي، بدءاً من المشهد البدائي ووصولاً إلى المشهد مع غروشا، سيطر على اختياره للحب. لقد لاحظت في صفحة سابقة أنني أدرك في المريض سعيه إلى تحقير موضوع حبه. يمكن تفسير ذلك كرد فعل على الضغط من الأخت التي كانت أعلى منه بكثير. لكنني وعدت في الوقت نفسه (انظر صفحة 3515) بإظهار أن هذا الدافع المعتز بالنفس لم يكن المحدد الوحيد، بل إنه أخفى دافعاً آخر أعمق يستند إلى دوافع شهوانية بحتة. وقد تم الكشف عن هذه الدوافع من خلال ذاكرة المريض لمربية الأطفال وهي تنظف الأرض - تحقير جسدي أيضاً، بالمناسبة. كانت جميع كائنات حبه اللاحقة بدائل لهذا الشخص الواحد، الذي أصبحت هي نفسها، بصدفة وضعيتها، أول بديل لأمه. يمكن الآن تفسير

ارتباط المريض الأول فيما يتعلق بمشكلة خوفه من الفراشة بسهولة بأثر رجعي على أنه إشارة بعيدة إلى المشهد البدائي (الساعة الخامسة). أكد العلاقة بين مشهد غروشا وتهديد الإخصاء بحلم مبتكر بشكل خاص، والذي نجح هو نفسه في فك رموزه. قال: "حلمت برجل يمزق أجنحة دبور (Espe)." سألت: "دبور؟ ماذا تقصد بذلك؟" "أنت تعرف؛ تلك الحشرة ذات الخطوط الصفراء على جسدها، التي تلسع." تمكنت الآن من تصحيحه: "إذن ما تقصده هو دبور (Wespe)." "هل يسمى دبور؟ كنت أعتقد حقاً أنه يسمى دبور (Espe)." (مثل العديد من الأشخاص الآخرين، استخدم صعوباته مع لغة أجنبية كحاجز لأفعال عرضية.) "لكن Espe، لمَ لا؟ هذا أنا: س. ب." (وهما أحرفه الأولى). كان الـ Espe بالطبع دبوراً مشوهاً. قال الحلم بوضوح إنه كان ينتقم من غروشا لتهديدها بالإخصاء.

إن تصرف الصبي البالغ من العمر عامين ونصف في المشهد مع غروشا هو أقدم تأثير للمشهد البدائي وصل إلى علمنا. إنه يمثله وهو يقلد والده، ويظهر لنا ميلاً نحو التطور في اتجاه يستحق

لاحقاً اسم الذكورة. لقد دفعه إغواؤه إلى السلبية - والتي، على أي حال، كان الطريق لها ممهداً بسلوكه عندما كان شاهداً على جماع والديه.

يجب أن أتحول هنا للحظة إلى تاريخ العلاج. بمجرد استيعاب مشهد غروشا - أول تجربة يمكنه أن يتذكرها حقاً، والتي تذكرها دون أي تخمينات أو تدخل من جانبي - بدا أن مشكلة العلاج قد حُلت تماماً. من ذلك الوقت فصاعداً، لم تعد هناك أي مقاومات؛ كل ما تبقى كان جمع وتنسيق.

نظرية الصدمة القديمة للعصاب، التي بنيت في النهاية على الانطباعات المكتسبة من الممارسة التحليلية النفسية، عادت فجأة إلى الواجهة مرة أخرى. بدافع الاهتمام النقدي، قمت بمحاولة أخرى لفرض رؤية أخرى لقصته على المريض، قد تكون أكثر إقناعاً للعقل السليم. صحيح أنه لا يمكن الشك في مشهد غروشا، لكنني اقترحت، أن هذا المشهد في حد ذاته لا يعني شيئاً؛ لقد تم التأكيد عليه بأثر رجعي من خلال تراجع من ظروف اختياره للكائن، والذي، نتيجة لنيته في التحقير، تم تحويله من

أخته إلى الخادمات. من ناحية أخرى، جادلت بأن ملاحظته للجماع كانت خيالاً من سنواته اللاحقة؛ قد يكون جوهرها التاريخي ملاحظة أو تجربة للمريض تتعلق بإعطاء حقنة شرجية بريئة.

قد يميل بعض قرائي إلى الاعتقاد أنني بهذه الفرضيات بدأت لأول مرة في الاقتراب من فهم الحالة؛ لكن المريض نظر إليّ بعدم فهم وبشيء من الازدراء عندما طرحت هذا الرأي عليه، ولم يتفاعل معه مرة أخرى. لقد ذكرت بالفعل حججي الخاصة ضد أي تسويـغ عقلاني من هذا القبيل في موضعها المناسب في المناقشة. [وبالتالي، [1] مشهد غروشا، من خلال شرح الظروف التي تحكم اختيار المريض للكائن - الظروف التي كانت ذات أهمية حاسمة في حياته - يمنعنا من المبالغة في تقدير أهمية نيته في تحقير النساء. لكنه يفعل أكثر من ذلك. إنه يبرر لي رفضي في صفحة سابقة (انظر ص 3545) أن أتبنى بلا تردد، كتفسير وحيد معقول، الرأي القائل بأن المشهد البدائي مستمد من ملاحظة أجريت على الحيوانات قبل الحلم بوقت قصير. ظهر مشهد

غروشا في ذاكرة المريض بشكل تلقائي ودون أي جهد من جانبي. أثبت خوفه من الفراشة ذات الخطوط الصفراء، الذي يعود إلى ذلك المشهد، أن المشهد كان له محتوى ذو مغزى، أو أنه كان قادراً على إعطاء هذا المعنى لمحتواه لاحقاً. بواسطة الارتباطات المصاحبة والاستنتاجات التي تلتها، كان من الممكن بالتأكيد توفير هذا العنصر المهم الذي كان مفقوداً في ذاكرة المريض. ثم ظهر أن خوفه من الفراشة كان مشابهاً من جميع النواحي لخوفه من الذئب؛ في كلتا الحالتين كان خوفاً من الإخصاء، والذي كان، في البداية، يشير إلى الشخص الذي أصدر تهديد الإخصاء لأول مرة، ولكن تم نقله بعد ذلك إلى شخص آخر كان لا بد أن يرتبط به وفقاً للسوابق التطورية. حدث المشهد مع غروشا عندما كان المريض في الثانية والنصف من عمره، لكن حلقة القلق مع الفراشة الصفراء كانت بالتأكيد لاحقة لحلم القلق. كان من السهل فهم كيف أن فهم المريض اللاحق لإمكانية الإخصاء قد أخرج القلق بأثر رجعي في المشهد مع غروشا. لكن هذا المشهد في حد ذاته لم يحتوي على أي شيء مرفوض أو غير محتمل؛ بل

على العكس، كان يتألف بالكامل من تفاصيل عادية لم تعطِ أي سبب للشك. لم يكن فيه أي شيء يمكن أن يؤدي إلى عزو أصله إلى خيال الطفل؛ مثل هذا الافتراض، في الواقع، بدا بالكاد ممكناً.

في كثير من التحليلات، مع اقتراب نهايتها، تظهر ذكريات جديدة كانت مخبأة بعناية. أو قد تُلقى ملاحظة عابرة ثم تُضاف إليها تفاصيل أخرى، تدفع المحلل للانتباه، حتى يدرك أخيراً أن هذا الجزء المهمل من الذاكرة هو المفتاح لأعمق أسرار عُصاب المريض.

في وقت مبكر من التحليل، أخبرني مريضي عن ذكرى من فترة تحولت فيها شقاوته فجأة إلى قلق. كان يطارد فراشة كبيرة صفراء مخططة، لها أجنحة كبيرة تنتهي بزوائد مدببة - فراشة حورية البحر. فجأة، عندما استقرت الفراشة على زهرة، انتابه خوف رهيب منها، وهرب صارخاً.

تكررت هذه الذكرى في التحليل، وطالبت بتفسير، لكن لم يُعثر على تفسير لفترة طويلة. ومع ذلك، كان من المفترض أن تفصيلاً كهذا لم يظل في ذاكرته من تلقاء نفسه، بل كان ذكرى حاجبة،

تمثل شيئاً أكثر أهمية مرتبطاً به بطريقة ما. ذات يوم، أخبرني أن الفراشة في لغته تسمى "بابوشكا" (جدة). وأضاف أن الفراشات بشكل عام بدت له كالنساء والفتيات، والخنافس واليرقات كالأولاد. لذلك، لم يكن هناك شك يذكر في أن هذا المشهد المثير للقلق أثار ذكرى شخصية أنثوية. لن أخفي أنني في ذلك الوقت طرحت احتمال أن تكون الخطوط الصفراء على الفراشة قد ذكرته بخطوط مماثلة على قطعة ملابس ترتديها امرأة. أذكر هذا فقط لتوضيح مدى عدم كفاية الجهود البنائية للطبيب عادة في حل الأسئلة التي تنشأ، ومدى الظلم في عزو نتائج التحليل إلى خيال الطبيب واقتراحه.

بعد عدة أشهر، وفي سياق مختلف تماماً، لاحظ المريض أن فتح وإغلاق أجنحة الفراشة أثناء استقرارها على الزهرة منحه شعوراً غريباً. قال إنها بدت كامرأة تفتح ساقيها، ثم تشكل الساقان شكل حرف V الروماني، والذي، كما نعلم، كان يشير إلى الساعة التي كان يقع فيها في حالة اكتئاب في صباه وحتى وقت العلاج.

كان هذا ارتباطاً لم أكن لأصل إليه بنفسي، وقد اكتسب أهمية بالنظر إلى الطبيعة الطفولية التامة لسلسلة الارتباطات التي كشفت عنها. انتباه الأطفال، كما لاحظت غالباً، ينجذب للحركات بسهولة أكبر بكثير من الأشكال الساكنة؛ وكثيراً ما يبنون الارتباطات على تشابه في الحركة يتجاهله البالغون أو يهملونه.

بعد ذلك، تُركت المشكلة الصغيرة مرة أخرى دون مساس لفترة طويلة؛ لكنني قد أذكر الشك السهل بأن نقاط أو زوائد أجنحة الفراشة الشبيهة بالعصا ربما كانت تحمل معنى الرموز التناسلية.

في أحد الأيام، ظهرت، بخجل وبشكل غير واضح، نوع من الذكريات مفادها أنه في سن مبكرة جداً، حتى قبل فترة المربية، لا بد أنه كان لديه مربية أطفال كانت تحبه كثيراً. كان اسمها نفس اسم والدته. لا شك أنه بادلها المودة. لقد كان، في الواقع، حباً أولاً تلاشى في النسيان. لكننا اتفقنا على أن شيئاً ما لا بد قد حدث في ذلك الوقت أصبح ذا أهمية لاحقاً.

ثم في مناسبة أخرى، صحح هذه الذكرى. لم يكن اسمها نفس اسم والدته؛ كان هذا خطأ من جانبه، وبالطبع أظهر أنه في ذاكرته

قد اندمجت مع والدته. اسمها الحقيقي، تابع، قد خطر بباله بطريقة ملتوية. لقد فكر فجأة في مخزن، في العقار الأول، كان يُحفظ فيه الفاكهة بعد قطفها، وفي نوع معين من الكمثرى ذو طعم لذيذ جداً - كمثرى كبيرة ذات خطوط صفراء على قشرتها. الكلمة التي تعني "كمثرى" في لغته كانت "غروشا" (Grusha)، وكان هذا أيضاً اسم مربية الأطفال.

وهكذا أصبح واضحاً أن وراء ذكرى الفراشة المطارَدة كانت ذكرى المربية مخبأة. لكن الخطوط الصفراء لم تكن على فستانها، بل على الكمثرى التي كان اسمها نفس اسمها.

ما هو، ومع ذلك، أصل القلق الذي نشأ عندما تم تنشيط ذاكرتها؟ قد يكون الجواب الواضح على هذا هو الفرضية الخام التي مفادها أن هذه الفتاة هي التي، عندما كان طفلاً صغيراً، رآها لأول مرة تقوم بالحركات بساقيها التي ثبتها في ذهنه بالحرف V الروماني - حركات تسمح بالوصول إلى الأعضاء التناسلية. لقد جنبنا أنفسنا مثل هذه النظريات وانتظرنا المزيد من المواد.

بعد ذلك بوقت قصير جداً، جاءت ذكرى مشهد، غير مكتمل، لكنه، بقدر ما تم حفظه، محدد. كانت غروشا راكعة على الأرض، وبجانبها دلو ومكنسة قصيرة مصنوعة من حزمة من الأغصان؛ كان هو أيضاً هناك، وكانت تداعبه أو توبخه.

يمكن بسهولة تزويد العناصر المفقودة من اتجاهات أخرى. خلال الأشهر الأولى من العلاج، أخبرني كيف وقع فجأة في حب فتاة فلاحية بطريقة قهرية، والتي، في عامه الثامن عشر، أصابته بالسبب المحرض لمرضه اللاحق. عندما أخبرني بهذا، أظهر ترددا غير عادي في إعطائي اسم الفتاة. لقد كانت حالة منعزلة تماماً من المقاومة، فبالإضافة إلى ذلك، كان يطيع القاعدة الأساسية للتحليل دون تحفظ. ومع ذلك، أكد أن سبب خجله الشديد من ذكر الاسم هو أنه كان اسم فلاحي بحت وأنه لا يمكن لفتاة من أصل نبيل أن تُسمى به. عندما تم الكشف عن الاسم في النهاية، اتضح أنه ماترونا (Matrona)، والذي يحمل نبرة أمومية. كان الخجل من الواضح مزاحاً. لم يكن يخجل من حقيقة أن علاقات الحب هذه كانت تتعلق دائماً بفتيات من أفقر

الأصول؛ كان يخجل فقط من الاسم. إذا اتضح أن العلاقة مع ماترونا كان لها شيء مشترك مع مشهد غروشا، فإن الخجل يجب أن يعاد نقله إلى تلك الحلقة المبكرة.

أخبرني في مرة أخرى أنه عندما سمع قصة جان هوس، تأثر كثيراً، وأن انتباهه انجذب إلى حزم الحطب التي كانت تسحب عندما تم حرقه على المحك. الآن، تعاطفه مع هوس أثار شكاً محدداً تماماً في ذهني، لأنني غالباً ما صادفت هذا التعاطف في المرضى الشباب، ولطالما تمكنت من تفسيره بنفس الطريقة. حتى أن أحد هؤلاء المرضى ذهب إلى حد إنتاج نسخة درامية من سيرة هوس؛ بدأ في كتابة مسرحيته في اليوم الذي فقد فيه الكائن الذي كان يحبه سراً. هوس هلك بالنار، و (مثل الآخرين الذين يمتلكون نفس المؤهل) يصبح بطل الأشخاص الذين عانوا في وقت ما من التبول اللاإرادي (enuresis). ربط مريضي نفسه حزم الحطب المستخدمة لإعدام هوس بمكنسة مربية الأطفال أو حزمة الأغصان.

تجمعت هذه المواد بشكل تلقائي وملأت الفجوات في ذاكرة المريض عن المشهد مع غروشا. عندما رأى الفتاة تنظف الأرض، تبول في الغرفة، وأجابت هي، مما لا شك فيه مازحة، بتهديد بالإخصاء.[1]

لا أعلم إن كان قرائي قد خمنوا بالفعل لماذا قدمت هذا الشرح المفصل لهذه الحلقة من طفولة المريض المبكرة.[2] إنها توفر رابطاً مهماً بين المشهد البدائي والحب القهري اللاحق الذي أصبح ذا أهمية حاسمة في مسيرته اللاحقة، وتوضح لنا أيضاً شرطاً اعتمد عليه وقوعه في الحب ويوضح هذا الإكراه.

عندما رأى الفتاة على الأرض منخرطة في التنظيف، وراكعة، ومؤخرتها بارزة وظهرها أفقياً، واجه مرة أخرى الوضعية التي اتخذتها والدته في مشهد الجماع. أصبحت والدته بالنسبة له؛ انتابه إثارة جنسية بسبب تنشيط هذه الصورة؛[3] ومثل والده (الذي لم يكن بإمكانه أن يرى فعله في ذلك الوقت إلا على أنه تبول)، تصرف بطريقة ذكورية تجاهها. كان تبوله على الأرض في

الواقع محاولة للإغواء، وردت الفتاة عليها بتهديد بالإخصاء، وكأنها فهمت ما يقصده.

لقد انتقل الإكراه الذي نشأ من المشهد البدائي إلى هذا المشهد مع غروشا وتم حمله بواسطته. لكن الشرط الذي اعتمد عليه وقوعه في الحب تعرض لتغيير أظهر تأثير المشهد الثاني: فقد انتقل من وضعية المرأة إلى النشاط الذي كانت تمارسه في تلك الوضعية. كان هذا واضحاً، على سبيل المثال، في حادثة ماترونا. كان يسير في القرية التي كانت جزءاً من ممتلكاتهم (اللاحقة)، عندما رأى فتاة فلاحية راكعة بجانب البركة ومنخرطة في غسل الملابس فيها. وقع في حب الفتاة على الفور وبعنف لا يقاوم، على الرغم من أنه لم يتمكن بعد من إلقاء نظرة على وجهها. بوضعيتها ونشاطها، حلت محل غروشا بالنسبة له. يمكننا الآن أن نرى كيف أمكن للخجل الذي ارتبط بشكل صحيح بمحتوى المشهد مع غروشا أن يرتبط باسم ماترونا.

هجوم آخر من الوقوع في الحب، يعود تاريخه إلى بضع سنوات سابقة، يظهر بشكل أوضح التأثير القهري لمشهد غروشا. فتاة

فلاحية شابة، كانت خادمة في المنزل، كانت قد اجتذبته منذ فترة طويلة، لكنه نجح في منع نفسه من الاقتراب منها. ذات يوم، عندما عثر عليها وحدها في غرفة، غمره حبه. وجدها راكعة على الأرض ومنخرطة في تنظيفها، وبجانبها دلو ومكنسة - في الواقع، تماماً كما رآها في طفولته.

حتى اختياره النهائي للكائن، الذي لعب دوراً مهماً في حياته، تظهر تفاصيله (على الرغم من أنه لا يمكن إيرادها هنا) أنها كانت تعتمد على نفس الشرط وأنها كانت فرعاً من الإكراه الذي، بدءاً من المشهد البدائي ووصولاً إلى المشهد مع غروشا، سيطر على اختياره للحب. لقد لاحظت في صفحة سابقة أنني أدرك في المريض سعيه إلى تحقير موضوع حبه. يمكن تفسير ذلك كرد فعل على الضغط من الأخت التي كانت أعلى منه بكثير. لكنني وعدت في الوقت نفسه (انظر صفحة 3515) بإظهار أن هذا الدافع المعتز بالنفس لم يكن المحدد الوحيد، بل إنه أخفى دافعاً آخر أعمق يستند إلى دوافع شهوانية بحتة. وقد تم الكشف عن هذه الدوافع من خلال ذاكرة المريض لمربية الأطفال وهي تنظف

الأرض - تحقير جسدي أيضاً، بالمناسبة. كانت جميع كائنات حبه اللاحقة بدائل لهذا الشخص الواحد، الذي أصبحت هي نفسها، بصدفة وضعيتها، أول بديل لأمه. يمكن الآن تفسير ارتباط المريض الأول فيما يتعلق بمشكلة خوفه من الفراشة بسهولة بأثر رجعي على أنه إشارة بعيدة إلى المشهد البدائي (الساعة الخامسة). أكد العلاقة بين مشهد غروشا وتهديد الإخصاء بحلم مبتكر بشكل خاص، والذي نجح هو نفسه في فك رموزه. قال: "حلمت برجل يمزق أجنحة دبور (Espe)." سألت: "دبور؟ ماذا تقصد بذلك؟" "أنت تعرف؛ تلك الحشرة ذات الخطوط الصفراء على جسدها، التي تلسع." تمكنت الآن من تصحيحه: "إذن ما تقصده هو دبور (Wespe)." "هل يسمى دبور؟ كنت أعتقد حقاً أنه يسمى دبور (Espe)." (مثل العديد من الأشخاص الآخرين، استخدم صعوباته مع لغة أجنبية كحاجز لأفعال عرضية.) "لكن Espe، لمَ لا؟ هذا أنا: س. ب." (وهما أحرفه الأولى). كان الـ Espe بالطبع دبوراً مشوهاً. قال الحلم بوضوح إنه كان ينتقم من غروشا لتهديدها بالإخصاء.

إن تصرف الصبي البالغ من العمر عامين ونصف في المشهد مع غروشا هو أقدم تأثير للمشهد البدائي وصل إلى علمنا. إنه يمثله وهو يقلد والده، ويظهر لنا ميلاً نحو التطور في اتجاه يستحق لاحقاً اسم الذكورة. لقد دفعه إغواؤه إلى السلبية - والتي، على أي حال، كان الطريق لها ممهداً بسلوكه عندما كان شاهداً على جماع والديه.

يجب أن أتحول هنا للحظة إلى تاريخ العلاج. بمجرد استيعاب مشهد غروشا - أول تجربة يمكنه أن يتذكرها حقاً، والتي تذكرها دون أي تخمينات أو تدخل من جانبي - بدا أن مشكلة العلاج قد حُلت تماماً. من ذلك الوقت فصاعداً، لم تعد هناك أي مقاومات؛ كل ما تبقى كان جمع وتنسيق.

نظرية الصدمة القديمة للعصاب، التي بنيت في النهاية على الانطباعات المكتسبة من الممارسة التحليلية النفسية، عادت فجأة إلى الواجهة مرة أخرى. بدافع الاهتمام النقدي، قمت بمحاولة أخرى لفرض رؤية أخرى لقصته على المريض، قد تكون أكثر إقناعاً للعقل السليم. صحيح أنه لا يمكن الشك في مشهد

غروشا، لكنني اقترحت، أن هذا المشهد في حد ذاته لا يعني شيئاً؛ لقد تم التأكيد عليه بأثر رجعي من خلال تراجع من ظروف اختياره للكائن، والذي، نتيجة لنيته في التحقير، تم تحويله من أخته إلى الخادمات. من ناحية أخرى، جادلت بأن ملاحظته للجماع كانت خيالاً من سنواته اللاحقة؛ قد يكون جوهرها التاريخي ملاحظة أو تجربة للمريض تتعلق بإعطاء حقنة شرجية بريئة.

قد يميل بعض قرائي إلى الاعتقاد أنني بهذه الفرضيات بدأت لأول مرة في الاقتراب من فهم الحالة؛ لكن المريض نظر إليّ بعدم فهم وبشيء من الازدراء عندما طرحت هذا الرأي عليه، ولم يتفاعل معه مرة أخرى. لقد ذكرت بالفعل حججي الخاصة ضد أي تسويـغ عقلاني من هذا القبيل في موضعها المناسب في المناقشة. [وبالتالي، [1] مشهد غروشا، من خلال شرح الظروف التي تحكم اختيار المريض للكائن - الظروف التي كانت ذات أهمية حاسمة في حياته - يمنعنا من المبالغة في تقدير أهمية نيته في تحقير

النساء. لكنه يفعل أكثر من ذلك. إنه يبرر لي رفضي في صفحة سابقة (انظر ص 3545) أن أتبنى بلا تردد، كتفسير وحيد معقول، الرأي القائل بأن المشهد البدائي مستمد من ملاحظة أجريت على الحيوانات قبل الحلم بوقت قصير. ظهر مشهد غروشا في ذاكرة المريض بشكل تلقائي ودون أي جهد من جانبي. أثبت خوفه من الفراشة ذات الخطوط الصفراء، الذي يعود إلى ذلك المشهد، أن المشهد كان له محتوى ذو مغزى، أو أنه كان قادراً على إعطاء هذا المعنى لمحتواه لاحقاً. بواسطة الارتباطات المصاحبة والاستنتاجات التي تلتها، كان من الممكن بالتأكيد توفير هذا العنصر المهم الذي كان مفقوداً في ذاكرة المريض. ثم ظهر أن خوفه من الفراشة كان مشابهاً من جميع النواحي لخوفه من الذئب؛ في كلتا الحالتين كان خوفاً من الإخصاء، والذي كان، في البداية، يشير إلى الشخص الذي أصدر تهديد الإخصاء لأول مرة، ولكن تم نقله بعد ذلك إلى شخص آخر كان لا بد أن يرتبط به وفقاً للسوابق التطورية. حدث المشهد مع غروشا عندما كان المريض في الثانية والنصف من عمره، لكن حلقة القلق مع

الفراشة الصفراء كانت بالتأكيد لاحقة لحلم القلق. كان من السهل فهم كيف أن فهم المريض اللاحق لإمكانية الإخصاء قد أخرج القلق بأثر رجعي في المشهد مع غروشا. لكن هذا المشهد في حد ذاته لم يحتوي على أي شيء مرفوض أو غير محتمل؛ بل على العكس، كان يتألف بالكامل من تفاصيل عادية لم تعطِ أي سبب للشك. لم يكن فيه أي شيء يمكن أن يؤدي إلى عزو أصله إلى خيال الطفل؛ مثل هذا الافتراض، في الواقع، بدا بالكاد ممكناً.

تنشأ الآن مسألة ما إذا كان يحق لنا اعتبار تبول الصبي، بينما كان ينظر إلى الفتاة وهي راكعة وتنظف الأرض، دليلاً على إثارته الجنسية. إذا كان الأمر كذلك، فإن الإثارة ستكون دليلاً على تأثير انطباع سابق، والذي قد يكون هو نفسه حدث المشهد البدائي الفعلي أو ملاحظة تمت على الحيوانات قبل سن الثانية والنصف. أم علينا أن نستنتج أن الموقف فيما يتعلق بغروشا كان بريئاً تماماً، وأن تفريغ الطفل لمثانته كان عرضياً بحتاً، وأنه لم يتم تسييس المشهد بأكمله في ذاكرته إلا لاحقاً، بعد أن أدرك أهمية المواقف المماثلة؟

في هذه القضايا لا يمكنني اتخاذ أي قرار. يجب أن أعترف، مع ذلك، بأنني أعتبره إنجازاً كبيراً للتحليل النفسي أنه وصل إلى مرحلة طرح مثل هذه الأسئلة. ومع ذلك، لا أستطيع أن أنكر أن المشهد مع غروشا، والدور الذي لعبه في التحليل، والآثار التي ترتبت عليه في حياة المريض، يمكن تفسيرها بشكل طبيعي وكامل إذا اعتبرنا أن المشهد البدائي، الذي قد يكون في حالات أخرى خيالاً، كان حقيقة في هذه الحالة. ففي النهاية، لا شيء مستحيل في ذلك؛ وفرضية واقعيته تتوافق تماماً مع الفعل المحرض للملاحظات على الحيوانات التي تشير إليها كلاب الرعي في صورة الحلم.

سأنتقل الآن من هذا الاستنتاج غير المرضي إلى دراسة المشكلة التي حاولت معالجتها في محاضراتي التمهيدية في التحليل النفسي. أود أن أعرف ما إذا كان المشهد البدائي في حالة مريضي الحالي خيالاً أم تجربة حقيقية؛ ولكن، مع الأخذ في الاعتبار حالات أخرى مماثلة، يجب أن أعترف بأن الإجابة على هذا السؤال في الواقع ليست ذات أهمية كبيرة. هذه المشاهد

لملاحظة الجماع الأبوي، والإغواء في الطفولة، والتهديد بالإخصاء هي بلا شك ميراث موروث، إرث فيلوجيني، ولكن يمكن اكتسابها بسهولة عن طريق التجربة الشخصية. مع مريضي، كان إغواؤه من قبل أخته الكبرى حقيقة لا جدال فيها؛ فلماذا لا يكون الشيء نفسه صحيحاً بالنسبة لملاحظته لجماع والديه؟

كل ما نجده في تاريخ ما قبل العصاب هو أن الطفل يلتصق بهذه التجربة الفيلوجينية حيث تفشل تجربته الخاصة. إنه يسد الفجوات في الحقيقة الفردية بالحقيقة ما قبل التاريخية؛ يستبدل الأحداث في حياته الخاصة بأحداث في حياة أجداده. أتفق تماماً مع يونغ [1] في الاعتراف بوجود هذا التراث الفيلوجيني؛ لكنني أعتبره خطأ منهجياً التمسك بتفسير فيلوجيني قبل استنفاد الإمكانيات الأونتوجينية. لا أرى أي سبب للمجادلة بعناد حول أهمية تاريخ ما قبل الطفولة بينما نعترف بحرية في الوقت نفسه بأهمية تاريخ ما قبل الأجداد. ولا يمكنني التغاضي عن حقيقة أن الدوافع والمنتجات الفيلوجينية نفسها بحاجة إلى

توضيح، وأن في عدد لا بأس به من الحالات يتم توفير ذلك من خلال عوامل في طفولة الفرد. وأخيراً، لا يمكنني أن أشعر بالدهشة من أن ما تم إنتاجه في الأصل بظروف معينة في عصور ما قبل التاريخ ثم انتقل في شكل استعداد لإعادة اكتسابه، نظراً لاستمرار نفس الظروف، يظهر مرة أخرى كحدث ملموس في تجربة الفرد.]

يجب أيضاً تخصيص مكان في الفترة الفاصلة بين المشهد البدائي والإغواء (من سن عام ونصف إلى سن ثلاث سنوات وربع) لـ ساقي الماء الأبكم. لقد خدم المريض كبديل للأب تماماً كما خدمت غروشا كبديل للأم. لا أعتقد أن هناك أي مبرر لاعتبار هذا مثالاً على نية التحقير، على الرغم من صحة أن كلا الوالدين أصبحا ممثلين بالخدم. لا يلتفت الطفل إلى الفروق الاجتماعية، التي لا تعني له شيئاً يذكر بعد؛ ويصنف الأشخاص من الطبقات الدنيا مع والديه إذا أحب هؤلاء الأشخاص الطفل كما يحبه والداه. كما أن نية التحقير ليست مسؤولة عن استبدال الحيوانات بوالدي الطفل، فالأطفال بعيدون كل البعد عن أن

ينظروا إلى الحيوانات بازدراء. يستخدم الأعمام والعمات كبدائل للوالدين دون أي اعتبار لمسألة التحقير، وقد فعل مريضنا الحالي ذلك بالفعل، كما أظهرت العديد من ذكرياته.

في هذه الفترة أيضاً، توجد مرحلة، تم تذكرها بشكل غامض، لم يكن يأكل فيها شيئاً سوى الحلويات، حتى أثير القلق بشأن صحته. قيل له عن أحد أعمامه الذي رفض الأكل بنفس الطريقة وهزل حتى الموت وهو لا يزال صغيراً. كما أُخبر أنه عندما كان هو نفسه في الثالثة من عمره كان مريضاً جداً (بالالتهاب الرئوي؟) لدرجة أن كفنه قد جُهز له. وبهذه الطريقة نجحوا في إثارة قلقه، بحيث بدأ يأكل مرة أخرى؛ وفي السنوات اللاحقة من طفولته كان بالفعل يبالغ في أداء هذا الواجب، وكأنه يحمي نفسه من تهديد الموت. ظهر خوف الموت، الذي أُثير في ذلك الوقت لحمايته، مرة أخرى لاحقاً عندما حذرته والدته من خطر الزحار. وبعد ذلك بوقت قصير، تسبب في نوبة من عُصابه الوسواسي (انظر ص 3551). سنحاول أدناه الخوض في أصوله ومعانيه.

أميل إلى الرأي بأن اضطراب الشهية هذا يجب اعتباره أول الأمراض العصابية للمريض. إذا كان الأمر كذلك، فإن اضطراب الشهية، ورهاب الذئاب، والتقوى الوسواسية ستشكل السلسلة الكاملة من الاضطرابات الطفولية التي وضعت الاستعداد لانهياره العصابي بعد بلوغه سن البلوغ. سيُعترض على أن عدداً قليلاً من الأطفال ينجون من اضطرابات مثل فقدان الشهية المؤقت أو رهاب الحيوانات. لكن هذه الحجة هي بالضبط ما أتمناه. أنا مستعد للتأكيد على أن كل عُصاب لدى البالغين مبني على عُصاب حدث في طفولتهم ولكنه لم يكن دائماً شديداً بما يكفي للفت الانتباه والتعرف عليه على هذا النحو. هذا الاعتراض لا يخدم إلا التأكيد على الأهمية النظرية للدور الذي يجب أن تلعبه عصابات الطفولة في رؤيتنا لتلك الاضطرابات اللاحقة التي نعالجها كعصاب ونسعى جاهدين لعزوها بالكامل إلى آثار حياة البالغين. لو لم يكن مريضنا الحالي قد عانى من التقوى الوسواسية بالإضافة إلى اضطراب شهيته ورهاب حيواناته، لما كانت قصته مختلفة بشكل ملحوظ عن قصص الأطفال

الآخرين، ولخسرنا مواد ثمينة قد تحمينا من أخطاء معينة معقولة.

سيكون التحليل غير مرضٍ إذا فشل في تفسير العبارة التي استخدمها المريض لتلخيص المشاكل التي اشتكى منها. قال: "العالم كان مخفياً عنه بـ "حجاب""؛ و تدريبنا في التحليل النفسي يمنعنا من افتراض أن هذه الكلمات يمكن أن تكون بلا دلالة أو تم اختيارها عشوائياً. تمزق الحجاب، والغريب في الأمر، في موقف واحد فقط؛ وكان ذلك في اللحظة التي، نتيجة لحقنة شرجية، أخرج محتوى أمعائه عبر الشرج. حينها شعر بالتحسن مرة أخرى، وللحظة قصيرة جداً رأى العالم بوضوح. تقدم تفسير هذا "الحجاب" بصعوبة بقدر ما واجهناه في إزالة خوفه من الفراشة. ولم يتمسك بالحجاب. أصبح الأمر أكثر غموضاً، كشعور بالغروب، "ظلمات" (ténèbres)، وأشياء أخرى غير ملموسة.

لم يتذكر إلا قبل إنهاء العلاج مباشرة أنه قيل له إنه ولد بغشاء (caul). ولهذا السبب كان دائماً يعتبر نفسه طفلاً مميزاً محظوظاً

لا يمكن أن يصيبه أي مكروه. لم يفقد هذا الاقتناع إلا عندما اضطر إلى إدراك أن إصابته بالسيلان تشكل إصابة خطيرة لجسده. كانت الضربة لنرجسيته أكبر من أن يتحملها وانهار. يمكن القول إنه بذلك كان يكرر آلية كان قد استخدمها من قبل مرة واحدة. فقد اندلع رهاب الذئاب لديه عندما وجد نفسه يواجه حقيقة أن شيئاً مثل الإخصاء ممكن؛ وقد صنف بوضوح إصابته بالسيلان ك إخصاء.

وهكذا كان الغشاء هو الحجاب الذي أخفاه عن العالم وأخفى العالم عنه. كانت الشكوى التي قدمها في الواقع خيالاً متمنياً متحققاً: فقد أظهرته وهو يعود مرة أخرى إلى الرحم، وكان في الواقع خيالاً متمنياً للهروب من العالم. يمكن ترجمته على النحو التالي: "الحياة تجعلني تعيساً جداً! يجب أن أعود إلى الرحم!"

ولكن ما الذي يمكن أن يكون معنى حقيقة أن هذا الحجاب، الذي أصبح رمزياً ولكنه كان حقيقياً في السابق، تمزق في اللحظة التي أفرغ فيها أمعائه بعد حقنة شرجية، وأنه تحت هذا الشرط تركته مرضه؟ يسمح لنا السياق بالإجابة. إذا تمزق حجاب

الولادة هذا، فقد رأى العالم وأعيدت ولادته. كان البراز هو الطفل، الذي ولد به للمرة الثانية، لحياة أكثر سعادة. هنا إذن، لدينا خيال إعادة الولادة، الذي لفت يونغ الانتباه إليه مؤخراً وأعطاه مكانة مهيمنة في الحياة التخيلية للعصابات.

سيكون كل هذا جيداً جداً، لو كان هذا هو كل القصة. لكن تفاصيل معينة من الموقف، ومراعاة العلاقة بينه وبين تاريخ حياة هذا المريض بالذات، يجبرنا على متابعة التفسير بشكل أعمق. كان الشرط الضروري لإعادة ولادته هو أن يُعطى له حقنة شرجية من قبل رجل. (لم يضطر إلا لاحقاً للحلول محل هذا الرجل بنفسه.) هذا لا يمكن أن يعني إلا أنه قد تماهى مع والدته، وأن الرجل كان يتصرف كوالده، وأن الحقنة الشرجية كانت تكرر فعل الجماع، الذي كنتيجته سيولد طفل البراز (الذي كان هو نفسه مرة أخرى). لذلك، كان خيال إعادة الولادة مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالشرط الضروري للإشباع الجنسي من رجل. وهكذا، فإن الترجمة الآن تسير على هذا النحو: فقط بشرط أن يأخذ مكان المرأة ويحل محل والدته، وبالتالي يسمح لنفسه بالإشباع

الجنسي من قبل والده ويحمل له طفلاً - فقط بهذا الشرط سيتركه مرضه. هنا، إذن، كان خيال إعادة الولادة مجرد نسخة مشوهة ومحذوفة من خيال الرغبة المثلية الجنسية.

إذا نظرنا إلى الأمر عن كثب، لا يسعنا إلا أن نلاحظ أنه في هذا الشرط الذي وضعه لشفائه، كان المريض يكرر ببساطة حالة الأمور وقت "المشهد البدائي". في تلك اللحظة أراد أن يحل محل والدته؛ وكما افترضنا منذ فترة طويلة، كان هو نفسه الذي، في المشهد المعني، أنتج طفل البراز. ظل ثابتاً، كما لو كان بفعل سحر، على المشهد الذي كان له تأثير حاسم على حياته الجنسية، والذي تسبب عودته خلال ليلة الحلم في بداية مرضه. كان تمزق الحجاب مشابهاً لفتح عينيه وفتح النافذة. لقد تحول المشهد البدائي إلى الشرط الضروري لشفائه.

من السهل تقديم بيان موحد لما عبر عنه من ناحية بالشكوى التي قدمها، ومن ناحية أخرى بالشرط الاستثنائي الوحيد الذي لم تعد الشكوى بموجبه صحيحة، وبالتالي توضيح المعنى الكامل الذي يكمن وراء العاملين: لقد تمنى لو كان بإمكانه العودة إلى

الرحم، ليس فقط لكي يولد من جديد، بل لكي يتم الجماع معه هناك من قبل والده، ويحصل على إشباع جنسي منه، ويحمل له طفلاً.

الرغبة في الولادة من والده (كما كان يعتقد في البداية)، والرغبة في الإشباع الجنسي منه، والرغبة في أن يقدم له طفلاً - وكل هذا على حساب رجولته، ومعبراً عنه بلغة الشهوة الشرجية - هذه الرغبات تكمل دائرة تثبيته على والده. لقد وجدت المثلية الجنسية فيها تعبيرها الأبعد والأكثر حميمية.[1]

أعتقد أن هذا المثال يوضح معنى وأصل خيال الرحم وكذلك خيال إعادة الولادة. الأول، خيال الرحم، غالباً ما يكون مستمدًا (كما كان في هذه الحالة) من تعلق بالأب. هناك رغبة في أن يكون داخل رحم الأم ليحل محلها أثناء الجماع - ليحل محلها فيما يتعلق بالأب. خيال إعادة الولادة، من ناحية أخرى، هو على الأرجح دائماً بديل ملطف (تلطيف، يمكن للمرء أن يقول) لخيال الجماع المحرم مع الأم؛ لاستخدام تعبير سيلبرر، إنه اختصار أناغوغي له. هناك رغبة في العودة إلى موقف كان فيه المرء في

أعضاء الأم التناسلية؛ وفي هذا الصدد، يتماهى الرجل مع قضيبه الخاص ويستخدمه لتمثيل نفسه. وهكذا يكشف الخيالان عن كونهما متقابلين: يعبران، حسب موقف الموضوع إن كان أنثوياً أم ذكورياً، عن رغبته في الجماع الجنسي مع والده أو مع والدته. لا يمكننا استبعاد إمكانية أن يكون الخيالان، أي الرغبتان المحرمتان، متحدين في الشكوى التي قدمها مريضنا الحالي وفي الشرط الضروري الذي وضع لشفائه.

سأقوم بمحاولة أخيرة لإعادة تفسير النتائج الأخيرة لهذا التحليل وفقاً لمخطط خصومي. لقد رثى المريض هروبه من العالم في خيال رحم نموذجي، واعتبر شفائه إعادة ولادة مصورة بشكل نموذجي. ووفقاً للجانب الغالب من تصرفه، عبر عن الأخير في أعراض شرجية. ثم اختلق، على غرار خياله الشرجي لإعادة الولادة، مشهداً طفولياً كرر رغباته في وسيلة تعبير رمزية بدائية. ثم تم ربط أعراضه كما لو كانت مشتقة من مشهد بدائي من هذا النوع. لقد دفعته هذه الدورة الطويلة المتراجعة إما لأنه واجه مهمة في الحياة كان كسولاً جداً لأدائها، أو لأنه كان لديه كل

الأسباب لإدراك دناءته واعتقد أنه يمكنه حماية نفسه بشكل أفضل من الازدراء من خلال وضع مثل هذه الحيل.

كل هذا سيكون جيداً جداً، لو لم يحلم التعيس بذلك عندما لم يكن عمره يزيد عن أربع سنوات، مما أشار إلى بداية عصابه، والذي استثير بقصة جده عن الخياط والذئب، وتفسيرها يستلزم افتراض هذا المشهد البدائي. كل التخفيفات التي تسعى نظريات يونغ وأدلر لتقديمها لنا تفشل، للأسف، في مثل هذه الحقائق البسيطة ولكن التي لا يمكن دحضها. كما هي الأمور، يبدو لي أنه من المرجح أن خيال إعادة الولادة كان مشتقاً من المشهد البدائي بدلاً من العكس، أي أن المشهد البدائي كان انعكاساً لخيال إعادة الولادة. وربما يمكننا أن نفترض أيضاً أن المريض، في وقت لا يزيد عن أربع سنوات بعد ولادته، ربما كان صغيراً جداً على أن يتمنى أن يولد مرة أخرى. ولكن لا، يجب أن أتراجع عن هذه الحجة الأخيرة؛ فملاحظاتي الخاصة تظهر أننا قللنا من شأن قدرات الأطفال، وأنه لا يمكن لأحد أن يعرف ما لا يمكن أن ينسب إليهم من الفضل.[1]

الفصل السادس

ملخصات ومشاكل

لا أعرف ما إذا كان قارئ هذا التقرير التحليلي قد نجح في تكوين صورة واضحة عن أصل وتطور مرض المريض. أخشى أن العكس هو الصحيح. ولكن على الرغم من أنني في مناسبات أخرى تحدثت قليلاً جداً عن قدراتي في فن الشرح، إلا أنني في هذه الحالة أود أن ألتمس ظروفاً مخففة. لقد كانت مهمة وصف هذه المراحل المبكرة والطبقات العميقة من الحياة العقلية مهمة لم يتم التطرق إليها من قبل؛ ومن الأفضل أداء هذه المهمة بشكل سيء بدلاً من الهروب منها - وهو إجراء سيتضمن أيضاً (كما قيل لنا) مخاطر معينة على الجبان. لذلك، أفضل أن أواجه الأمر بشجاعة وأظهر أنني لم أسمح لنفسي بالتراجع بسبب شعوري بـ النقص الذاتي.

لم تكن الحالة نفسها مواتية بشكل خاص. فميزة وجود ثروة من المعلومات حول طفولة المريض (وهي ميزة أصبحت ممكنة

بفضل حقيقة أنه يمكن دراسة الطفل من خلال الكبار) كان لا بد من شراؤها على حساب كون التحليل مفككاً بشكل فظيع، وعلى حساب وجود فجوات مقابلة في الشرح. وقد جعلت الخصائص الشخصية للمريض وشخصيته الوطنية الغريبة عن شخصيتنا مهمة فهم عقله شاقة. أدى التناقض بين شخصية المريض اللطيفة والودودة، وذكائه الحاد، وطيبته من ناحية، وحياته الغريزية غير المقيدة تماماً من ناحية أخرى، إلى عملية طويلة جداً من التعليم التحضيري، وهذا جعل المنظور العام أكثر صعوبة. لكن المريض نفسه ليس مسؤولاً عن هذه السمة في الحالة التي وضعت أشد العقبات في طريق أي وصف لها. في علم نفس الكبار، وصلنا لحسن الحظ إلى نقطة القدرة على تقسيم العمليات العقلية إلى واعية ولاواعية والقدرة على إعطاء وصف واضح لكليهما. مع الأطفال، يتركنا هذا التمييز في مأزق شبه كامل. فغالباً ما يكون محرجاً أن نقرر ما نختار أن نسميه واعياً وما لاواعياً. فالعمليات التي أصبحت هي السائدة، والتي من سلوكها اللاحق يجب أن تتساوى مع العمليات الواعية، لم تكن مع ذلك

واعية لدى الطفل. من السهل فهم السبب. ففي الأطفال، لم يكتسب الوعي بعد جميع خصائصه؛ فهو لا يزال في طور التطور، ولا يمتلك بعد القدرة الكاملة على تحويل نفسه إلى صور لفظية. نحن نذنب باستمرار في الخلط بين ظاهرة الظهور كإدراك في الوعي وحقيقة الانتماء إلى نظام نفسي افتراضي يجب أن نعطيه اسماً تقليدياً، لكننا في الواقع نسميه أيضاً "وعياً" (النظام Cs.). لا يضر هذا الارتباك عندما نقدم وصفاً نفسياً لشخص بالغ، ولكنه مضلل عندما نتعامل مع وصف طفل صغير. ولن يساعدنا كثيراً هنا إذا أدخلنا "ما قبل الوعي"؛ فما قبل الوعي لدى الطفل قد يفشل بنفس الطريقة في التوافق مع ما قبل الوعي لدى البالغ. لذلك، يجب أن نكتفي بوضوح التعرف على الغموض.

من الواضح أن حالة مثل تلك الموصوفة في هذه الصفحات قد تكون ذريعة لجر كل من نتائج ومشاكل التحليل النفسي إلى النقاش. لكن هذا سيكون عملاً لا نهاية له ولا يمكن تبريره. يجب أن ندرك أنه لا يمكن تعلم كل شيء من حالة واحدة ولا يمكن اتحديد كل شيء بها؛ يجب أن نكتفي باستغلال ما قد تظهره

بوضوح أكبر. هناك في أي حال حدود ضيقة لما يطلب من التحليل النفسي تفسيره. فبينما يقع على عاتقه تفسير الأعراض اللافتة من خلال الكشف عن نشأتها، فإنه ليس من شأنه تفسير الآليات النفسية والعمليات الغريزية التي تؤدي إلى ذلك، بل مجرد وصفها. للاشتقاق تعميمات جديدة مما تم إثباته بهذا الشأن فيما يتعلق بالآليات والغريز، سيكون من الضروري أن يتوفر لدى المرء العديد من الحالات التي تم تحليلها بعمق ودقة مثل هذه الحالة. لكن الحصول عليها ليس سهلاً، وكل واحدة منها تتطلب سنوات من العمل. لذلك، فإن التقدم في هذه المجالات المعرفية يجب أن يكون بطيئاً بالضرورة. لا شك أن هناك إغراء كبيراً للاكتفاء بـ "خدش" السطح العقلي لعدد من الأشخاص واستبدال ما لم يتم بالاجتهاد - وهذا الأخير يوضع تحت رعاية مدرسة أو أخرى من الفلسفة. وقد يمكن أيضاً الاستشهاد بالمتطلبات العملية لصالح هذا الإجراء؛ لكن لا يوجد بديل يمكنه تلبية متطلبات العلم.

سأحاول الآن رسم مسح تركيبي لتطور المريض الجنسي، بدءاً من أقدم مؤشراته. أول ما نسمع عنه هو اضطراب شهيته؛ فمع الأخذ في الاعتبار الملاحظات الأخرى، أميل، مع التحفظات المناسبة، إلى اعتبار ذلك نتيجة لعملية ما في مجال النشاط الجنسي. لقد اضطررت إلى اعتبار التنظيم الجنسي المبكر القابل للتمييز هو ما يسمى المرحلة "الهمجية" أو "الفموية"، التي يهيمن خلالها الارتباط الأصلي للإثارة الجنسية بالغريزة الغذائية على المشهد. لا يتوقع أن نجد مظاهر مباشرة لهذه المرحلة، ولكن فقط مؤشرات عليها حيثما نشأت اضطرابات. ضعف الغريزة الغذائية (على الرغم من أن هذا بالطبع يمكن أن يكون له أسباب أخرى) يلفت انتباهنا إلى فشل من جانب الكائن الحي في السيطرة على إثارته الجنسية. في هذه المرحلة، يمكن أن يكون الهدف الجنسي الوحيد هو أكل لحوم البشر - التهام؛ يظهر مع مريضنا الحالي من خلال التراجع من مرحلة أعلى، في شكل الخوف من "أن يؤكل من قبل الذئب". لقد اضطررنا بالفعل إلى ترجمة هذا إلى خوف من الجماع مع والده. من المعروف أن

هناك عصاباً لدى الفتيات يحدث في سن متأخرة جداً، وقت البلوغ أو بعده بوقت قصير، والذي يعبر عن الكراهية للجنس عن طريق فقدان الشهية. يجب أن يرتبط هذا العصاب بالمرحلة الفموية من الحياة الجنسية. يظهر الهدف الإيروتيكي للتنظيم الفموي أيضاً في ذروة نوبة الحب (في عبارات مثل "يمكن أن أكلك حباً") وفي العلاقات الحنونة مع الأطفال، عندما يتظاهر الشخص البالغ بأنه طفل. لقد أعربت في مكان آخر عن شك في أن والد مريضنا الحالي اعتاد على الانغماس في "سوء المعاملة الحنونة"، وربما لعب دور الذئب أو الكلب مع الصبي الصغير وهدد مازحاً بابتلاعه (ص ...). أكد المريض هذا الشك بسلوكه الغريب في التحويل. كلما تراجع عن صعوبات العلاج إلى التحويل، كان يهددني بأكلي ثم بجميع أنواع سوء المعاملة الأخرى - وكل ذلك كان مجرد تعبير عن المودة.

لقد تركت هذه المرحلة الفموية من النشاط الجنسي آثاراً دائمة على استخدامات اللغة. يتحدث الناس عادة، على سبيل المثال، عن موضوع حب "فاتح للشهية"، ويصفون الأشخاص الذين

يحبونهم بأنهم "حلوين". وتذكر أيضاً أن مريضنا الصغير كان يأكل الأشياء الحلوة فقط. في الأحلام، تشير الأشياء الحلوة والحلويات بانتظام إلى المداعبات أو الإشباعات الجنسية.

يظهر، علاوة على ذلك، أن هناك قلقاً ينتمي إلى هذه المرحلة (فقط، بالطبع، حيث نشأ بعض الاضطراب) يتجلى ک خوف من الموت وقد يرتبط بأي شيء يشير إلى الطفل بأنه مناسب لهذا الغرض. مع مريضنا، تم استخدامه لتحفيزه على التغلب على فقدان شهيته بل وتعويضه بشكل مفرط. سيتم العثور على أصل محتمل لهذا الاضطراب في شهيته، إذا تذكرنا (استناداً إلى الفرضية التي ناقشناها غالباً) أن ملاحظته للجماع في سن عام ونصف، والتي أحدثت العديد من الآثار المؤجلة، حدثت بالتأكيد قبل وقت هذه الصعوبات في أكله. لذلك قد نفترض أنها سرّعت عمليات النضج الجنسي وبالتالي أحدثت بالفعل آثاراً فورية، على الرغم من أنها كانت ضئيلة في الظاهر.

أنا بالطبع على علم أنه من الممكن تفسير أعراض هذه الفترة (قلق الذئب واضطراب الشهية) بطريقة أخرى وأبسط، دون أي

إشارة إلى الجنس أو إلى مرحلة ما قبل التناسل في تنظيمها. أولئك الذين يحبون إهمال مؤشرات العصاب والترابط بين الأحداث سيفضلون هذا التفسير الآخر، ولن أتمكن من منعهم من ذلك. من الصعب اكتشاف أي دليل مقنع فيما يتعلق بهذه البدايات للحياة الجنسية إلا من خلال مسارات ملتوية مثلما أشرت.

في المشهد مع غروشا (في سن الثانية والنصف) نرى الصبي الصغير في بداية تطور يستحق، ربما باستثناء كونه مبكراً، أن يعتبر طبيعياً؛ وهكذا نجد فيه التماهي مع والده، والإثارة البولية التي تمثل الذكورة. كان أيضاً تحت سيطرة المشهد البدائي بالكامل. لقد اعتبرنا حتى الآن تماهيه مع والده نرجسياً؛ ولكن إذا أخذنا محتوى المشهد البدائي في الاعتبار، لا يمكننا إنكار أنه وصل بالفعل إلى مرحلة التنظيم التناسلي.

بدأ عضوه التناسلي الذكري يلعب دوره واستمر في ذلك تحت تأثير إغوائه من قبل أخته.

لكن إغوائه لا يعطي الانطباع بأنه شجع تطوره الجنسي فحسب، بل إنه، إلى حد أكبر، أزعجه وحوّله. لقد عرض عليه هدفاً جنسياً

سلبياً، كان غير متوافق في النهاية مع عمل عضوه التناسلي الذكري. عند أول عائق خارجي، وهو تهديد الإخصاء من مربيته نانيا، انهار تنظيمه التناسلي، الذي كان لا يزال متردداً، (في سن ثلاث سنوات ونصف) وتراجع إلى المرحلة التي سبقته، وهي مرحلة التنظيم السادي الشرجي، والتي ربما كان قد مر بها، ربما، بمؤشرات طفيفة مثل الأطفال الآخرين.

يمكن بسهولة اعتبار التنظيم السادي الشرجي استمراراً وتطوراً للتنظيم الفموي. فالنشاط العضلي العنيف، الموجه نحو الكائن، الذي يميزه، يمكن تفسيره على أنه فعل تحضيري للأكل. ثم يتوقف الأكل عن كونه هدفاً جنسياً، ويصبح الفعل التحضيري هدفاً كافياً بحد ذاته. الحداثة الأساسية، مقارنة بالمرحلة السابقة، هي أن الوظيفة السلبية المتلقية تنفصل عن المنطقة الفموية وتلتصق بالمنطقة الشرجية. في هذا الصدد، لا يسعنا إلا أن نفكر في التوازيات البيولوجية أو في نظرية أن التنظيمات قبل التناسلية في الإنسان يجب أن تعتبر بقايا لظروف تم الاحتفاظ بها بشكل دائم في عدة فئات من الحيوانات. بناء غريزة البحث

من مكوناتها المختلفة هو سمة مميزة أخرى لهذه المرحلة من التطور.

لم يكن الشهوة الشرجية لدى الصبي ملحوظة بشكل خاص. تحت تأثير ساديته، حلت دلالة العدوان محل الدلالة العاطفية للبراز. لعب الإحساس بالذنب دوراً في تحول ساديته إلى مازوخية، ويشير وجوده إلى عمليات تطورية في مجالات أخرى غير المجال الجنسي.

استمر إغواؤه في إظهار تأثيره، من خلال الحفاظ على سلبية هدفه الجنسي. لقد حولت ساديته إلى حد كبير إلى المازوخية التي كانت نظيرها السلبي. ولكن من المشكوك فيه ما إذا كان الإغواء يمكن أن يكون مسؤولاً بالكامل عن هذه السمة من السلبية، لأن رد فعل الطفل على ملاحظته للجماع في سن عام ونصف كان بالفعل سلبياً بشكل سائد. عبر إثارته الجنسية التعاطفية عن نفسها بـ إخراج البراز، على الرغم من أن هذا السلوك يتميز أيضاً بعنصر نشط. جنباً إلى جنب مع المازوخية التي هيمنت على دوافعه الجنسية ووجدت أيضاً تعبيراً في

التخيلات، استمرت ساديته أيضاً وتوجهت ضد الحيوانات الصغيرة. بدأت أبحاثه الجنسية منذ وقت الإغواء وكانت معنية، في جوهرها، بمشكلتين: أصل الأطفال وإمكانية فقدان الأعضاء التناسلية. نسجت هذه الأبحاث نفسها في مظاهر دوافعه الغريزية، ووجهت ميوله السادية نحو الحيوانات الصغيرة باعتبارها ممثلين لمنافسي الصبي، والأطفال الصغار المحتملين.

لقد وصلنا الآن بتقريرنا إلى حوالي عيد ميلاد الصبي الرابع، وفي تلك المرحلة أحدث الحلم تأثيراً مؤجلاً لملاحظته للجماع في سن عام ونصف. لا يمكننا أن نستوعب بشكل كامل أو أن نصف بشكل كافٍ ما حدث بعد ذلك. فتنشيط الصورة، التي أصبح قادراً على فهمها بفضل تقدم تطوره الفكري، لم يعمل كحدث جديد فحسب، بل ک صدمة جديدة، كتداخل من الخارج مشابه للإغواء. تم إعادة تأسيس التنظيم التناسلي الذي كان قد توقف بضربة واحدة؛ لكن التقدم الذي تحقق في الحلم لم يمكن الحفاظ عليه. على العكس من ذلك، حدثت، بواسطة عملية لا

يمكن مساواتها إلا بـ الكبت، رفض للعنصر الجديد واستبداله برهاب.

وهكذا استمر التنظيم السادي الشرجي في الوجود خلال مرحلة رهاب الحيوانات الذي بدأ الآن، لكنه عانى من مزيج من ظواهر القلق. استمر الطفل في أنشطته السادية والمازوخية، لكنه تفاعل بقلق مع جزء منها؛ ربما أحرز تحويل ساديته إلى نقيضها مزيداً من التقدم.

يكشف تحليل حلم القلق أن الكبت كان مرتبطاً بإدراكه لوجود الإخصاء. تم رفض العنصر الجديد لأن قبوله كان سيكلفه قضيبه. يقودنا المزيد من التفكير إلى استنتاج مشابه لما يلي. ما تم كبته هو الموقف المثلي الجنسي بالمعنى التناسلي، وهو موقف تشكل تحت تأثير هذا الإدراك للإخصاء. ولكن هذا الموقف تم الاحتفاظ به فيما يتعلق باللاوعي وتم إعداده كطبقة منفصلة وأعمق. يبدو أن القوة الدافعة للكبت كانت الرجولة النرجسية المرتبطة بأعضاء الصبي التناسلية، والتي دخلت في

صراع طويل الأمد مع سلبية هدفه الجنسي المثلي. وبالتالي، كان الكبت نتيجة لرجولته.

قد يغري المرء في هذه المرحلة بإدخال تعديل طفيف على النظرية التحليلية النفسية. سيبدو واضحاً بشكل ملموس أن الكبت وتشكيل العصاب لا بد أنهما نشأا من الصراع بين الميول الذكورية والأنثوية، أي من الازدواجية الجنسية. ومع ذلك، فإن هذه الرؤية للموقف غير مكتملة. فمن بين الدوافع الجنسية المتضاربة، كان أحدهما متوافقاً مع الأنا، بينما الآخر أهان المصلحة النرجسية للصبي؛ ولهذا السبب خضع الأخير للكبت. بحيث في هذه الحالة أيضاً، كانت الأنا هي التي نفذت الكبت، لصالح أحد الميول الجنسية. في حالات أخرى، لا يوجد مثل هذا الصراع بين الذكورة والأنوثة؛ بل يوجد ميل جنسي واحد فقط، يسعى إلى القبول، ولكنه يسيء إلى بعض قوى الأنا وبالتالي يتم طرده. في الواقع، فإن الصراعات بين الجنسانية واتجاهات الأنا الأخلاقية أكثر شيوعاً بكثير من تلك التي تحدث داخل نطاق الجنسانية؛ ولكن صراعاً أخلاقياً من هذا النوع مفقود في حالتنا

الحالية. الإصرار على أن الازدواجية الجنسية هي القوة الدافعة المؤدية إلى الكبت هو تبني نظرة ضيقة جداً؛ بينما إذا أكدنا نفس الشيء على الصراع بين الأنا والميول الجنسية (أي الليبيدو) سنكون قد غطينا جميع الحالات الممكنة.

تواجه نظرية "الاحتجاج الذكوري"، كما طورها أدلر، صعوبة أن الكبت لا يأخذ دائماً جانب الذكورة ضد الأنوثة؛ فهناك فئات كبيرة من الحالات التي يجب أن تخضع فيها الذكورة للكبت من قبل الأنا.

علاوة على ذلك، فإن تقديراً أكثر عدلاً لعملية الكبت في حالتنا الحالية سيقودنا إلى إنكار أن الرجولة النرجسية كانت القوة الدافعة الوحيدة. فالموقف المثلي الذي نشأ خلال الحلم كان شديد الكثافة لدرجة أن أنا الصبي الصغير وجدت نفسها غير قادرة على التعامل معه، وبالتالي دافعت عن نفسها ضده من خلال عملية الكبت. وقد تم استدعاء الرجولة النرجسية المرتبطة بأعضائه التناسلية، كونها معارضة للموقف المثلي، للمساعدة الأنا في إنجاز المهمة. ولمجرد تجنب سوء الفهم،

سأضيف أن جميع الدوافع النرجسية تعمل من الأنا ولها مقعدها الدائم في الأنا، وأن الكبت موجه ضد الرغبات الليبيدينية المتعلقة بالكائنات.

دعونا الآن نترك عملية الكبت، على الرغم من أننا ربما لم ننجح في التعامل معها بشكل شامل، ولننتقل إلى حالة الصبي عندما استيقظ من الحلم. لو كانت ذكورته هي التي انتصرت حقاً على مثليته الجنسية (أو أنوثته) خلال عملية الحلم، لكان يجب أن نجد بالضرورة أن الاتجاه السائد هو اتجاه جنسي نشط ذو طابع ذكوري صريح بالفعل. ولكن لا يوجد أي دليل على حدوث ذلك. لم تتغير أساسيات التنظيم الجنسي؛ استمرت المرحلة السادية الشرجية، وظلت هي السائدة. ظهر انتصار ذكورته فقط في هذا: أنه من الآن فصاعداً تفاعل بقلق مع الأهداف الجنسية السلبية للتنظيم السائد - أهداف كانت مازوخية ولكن ليست أنثوية. نحن لا نواجه اتجاهاً جنسياً ذكورياً منتصراً، بل اتجاهاً سلبياً وصراعاً ضده.

أستطيع أن أتخيل جيداً الصعوبات التي يجب أن يجدها القارئ في التمييز الحاد (غير المألوف ولكنه ضروري) الذي وضعته بين "نشط" و "ذكوري" وبين "سلبي" و "أنثوي". لذلك لن أتردد في تكرار نفسي. يمكن وصف حالة الأمور، إذن، بعد الحلم على النحو التالي. لقد انقسمت الاتجاهات الجنسية؛ في اللاوعي، وصلت مرحلة التنظيم التناسلي، وتكونت مثلية جنسية شديدة جداً؛ وفوق ذلك (فعلياً في الوعي) استمر التيار الجنسي السادي السابق والمازوخي في الغالب؛ لقد غيرت الأنا موقفها بشكل عام تجاه الجنس، فقد رفضت الجنس الآن ورفضت الأهداف المازوخية السائدة بقلق، تماماً كما تفاعلت مع الأهداف المثلية الأعمق بتكوين رهاب. وهكذا، لم تكن نتيجة الحلم انتصاراً لتيار ذكوري بقدر ما كانت رد فعل ضد تيار أنثوي وسلبي. سيكون من القسوة جداً أن ننسب صفة الذكورة إلى هذا التفاعل. الحقيقة هي أن الأنا لا تملك تيارات جنسية، بل لديها فقط مصلحة في حماية الذات وفي الحفاظ على نرجسيتها.

دعونا الآن ننظر في الرهاب. لقد نشأ على مستوى التنظيم التناسلي، ويظهر لنا آلية بسيطة نسبياً لـ هستيريا القلق. الأنا، من خلال تطوير القلق، كانت تحمي نفسها مما اعتبرته خطراً ساحقاً، ألا وهو الإشباع المثلي. لكن عملية الكبت تركت وراءها أثراً لا يمكن إغفاله. فقد وجب على الكائن الذي تعلق به الهدف الجنسي الخطير أن يحل محله في الوعي كائن آخر. ما أصبح واعياً هو الخوف ليس من الأب بل من الذئب. ولم تتوقف العملية عند تشكيل رهاب ذو محتوى واحد. فبعد فترة طويلة، تم استبدال الذئب بالأسد. بالتزامن مع الدوافع السادية ضد الحيوانات الصغيرة، كان هناك رهاب موجه نحوها، بصفتها ممثلات لمنافسي الصبي، الأطفال الصغار المحتملين. إن أصل رهاب الفراشة له أهمية خاصة. لقد كان بمثابة تكرار للآلية التي أنتجت رهاب الذئاب في الحلم.

بسبب محفز عرضي، تم تفعيل تجربة قديمة، وهي المشهد مع غروشا؛ وهكذا، أحدث تهديدها بالإخصاء آثاراً مؤجلة، على الرغم من أنه لم يترك أي انطباع وقت النطق به. [1]

يمكن القول حقاً إن القلق الذي كان معنياً بتكوين هذه الرهاب كان خوفاً من الإخصاء.

هذا البيان لا يتعارض مع الرأي القائل بأن القلق نشأ من كبت الرغبة الجنسية المثلية. كلا نمطي التعبير يشيران إلى نفس العملية: ألا وهي سحب الليبيدو من قبل الأنا من الاندفاع المثلي، ثم تحول الليبيدو إلى قلق حر، ثم ربطه في رهاب. الطريقة الأولى للبيان تذكر بالإضافة إلى ذلك الدافع الذي دفع الأنا.

إذا نظرنا في الأمر عن كثب، فسوف نرى أن المرض الأول لمريضنا (باستثناء اضطراب الشهية) لا يتم استنفاده عندما نستخرج الرهاب منه. يجب اعتباره هستيريا حقيقية تظهر ليس فقط أعراض القلق بل أيضاً ظواهر التحويل. تم الاحتفاظ بجزء من الاندفاع المثلي من قبل العضو المعني به؛ ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، وبشكل متساوٍ خلال حياته البالغة، تصرف أمعاؤه كعضو متأثر بالهستيريا. انسحبت المثلية الجنسية المكبوته اللاواعية إلى أمعائه. كانت هذه السمة الهستيرية بالتحديد هي

التي كانت ذات فائدة كبيرة في المحديد من توضيح مرضه اللاحق.

يجب علينا الآن أن نجمع شجاعتنا لمهاجمة البنية الأكثر تعقيداً للعصاب الوسواسي. دعونا نتذكر مرة أخرى الموقف: تيار جنسي مازوخي سائد وتيار مثلي جنسي مكبوت، وأنا غارقة في إنكار هستيري لهما.

ما هي العمليات التي حولت هذه الحالة إلى حالة عُصاب وسواسي؟

لم يحدث التحول تلقائياً، من خلال التطور الداخلي، بل من خلال تأثير خارجي. كان تأثيره المرئي أن علاقة المريض بوالده، التي كانت في المقدمة، والتي كانت قد وجدت تعبيراً حتى الآن في رهاب الذئاب، تجلت الآن في التقوى الوسواسية. لا أستطيع أن أمنع نفسي من الإشارة إلى أن مسار الأحداث في هذا الجزء من تاريخ المريض يقدم تأكيداً لا لبس فيه على تأكيد قدمته في كتاب "الطوطم والتابو" حول علاقة الحيوان الطوطمي بالإله. [1] لقد قررت هناك لصالح الرأي القائل بأن فكرة الله لم تكن تطوراً من

الطوطم، بل حلت محله بعد أن نشأت بشكل مستقل من جذر مشترك لكلا الفكرتين. لقد زعمت أن الطوطم كان أول بديل للأب، وكان الإله بديلاً لاحقاً، حيث استعاد الأب شكله البشري. ونجد نفس الشيء مع مريضنا. في رهاب الذئاب، مر بمرحلة البديل الأبوي الطوطمي؛ لكن هذه المرحلة توقفت الآن، ونتيجة لعلاقات جديدة بينه وبين والده، حلت محلها مرحلة التقوى الدينية.

كان التأثير الذي أثار هذا التحول هو المعرفة التي اكتسبها، عن طريق والدته، بمذاهب الدين وقصة الكتاب المقدس. كان لهذا الإجراء التعليمي الأثر المرغوب فيه. انتهى التنظيم الجنسي السادي المازوخي ببطء، وتلاشى رهاب الذئب بسرعة، وبدلاً من رفض الجنس بقلق، ظهرت طريقة أعلى لقمعه. أصبحت التقوى هي القوة المهيمنة في حياة الطفل. ومع ذلك، لم يتم تحقيق هذه الانتصارات دون صراعات، كانت أفكاره التجديفية مؤشراً عليها، وكانت إقامة مبالغة وسواسية في الاحتفالات الدينية هي النتيجة.

بصرف النظر عن هذه الظواهر المرضية، يمكن القول إن الدين في هذه الحالة حقق جميع الأهداف التي يتم تضمينه من أجلها في تعليم الفرد. لقد وضع قيداً على دوافعه الجنسية من خلال توفير تسامٍ وتثبيت آمن لها؛ لقد قلل من أهمية علاقاته العائلية، وبالتالي حماه من تهديد العزلة من خلال منحه الوصول إلى المجتمع البشري العظيم. أصبح الطفل الجامح والخائف اجتماعياً، حسن السلوك، وقابلاً للتعليم.

كان الدافع الرئيسي للتأثير الذي أحدثه الدين عليه هو تماهيه مع شخصية المسيح، والذي جاء إليه بسهولة خاصة بسبب صدفة تاريخ ميلاده. على هذا المسار، وجد حبه المفرط لوالده، والذي جعل الكبت ضرورياً، طريقه أخيراً إلى تسامٍ مثالي. بصفته المسيح، كان بإمكانه أن يحب والده، الذي أصبح الآن يسمى الله، بحماس سعى عبثاً إلى تفريغ نفسه طالما كان والده بشراً. تم تحديد الوسائل التي يمكنه من خلالها أن يشهد على هذا الحب بواسطة الدين، ولم تطاردها تلك المشاعر بالذنب التي لم تتمكن مشاعره الفردية من الحب من التحرر منها. بهذه الطريقة، كان لا

يزال بإمكانه تصريف أعمق تيار جنسي لديه، والذي كان قد ترسب بالفعل في شكل مثلية جنسية لاواعية؛ وفي الوقت نفسه، وجدت دفعته المازوخية الأكثر سطحية تسامياً لا يضاهى، دون الكثير من التنازل، في قصة آلام المسيح، الذي، بناءً على طلب أبيه الإلهي وتكريماً له، سمح لنفسه بالتعرض لسوء المعاملة والتضحية. وهكذا، قام الدين بعمله للطفل المضغوط بشدة - من خلال الجمع الذي قدمه للمؤمن من الإشباع، والتسامي، والتحول من العمليات الحسية إلى عمليات روحية بحتة، والوصول إلى العلاقات الاجتماعية.

المعارضة التي أبداها في البداية للدين كانت لها ثلاث نقاط منشأ مختلفة. للبدء، كان هناك، بشكل عام، سمته المميزة (التي رأينا أمثلة عليها بالفعل) لـ صد جميع المستجدات. أي موقع لليبيدو اتخذه مرة واحدة كان يدافع عنه بعناد خوفاً مما قد يخسره بالتخلي عنه، ومن عدم الثقة في احتمال توفير بديل كامل للموقع الجديد المرتقب. هذه خاصية نفسية مهمة وأساسية، وصفتها في مقالاتي الثلاث حول نظرية الجنس (d1905) بأنها قابلية

"التثبيت". تحت اسم "القصور النفسي"، حاول يونغ أن يجعله السبب الرئيسي لجميع إخفاقات العصابيين. أعتقد أنه مخطئ في هذا؛ لأن هذا العامل له تطبيق أوسع بكثير ويلعب دوراً مهماً في حياة غير العصابيين أيضاً. الحركية الكبيرة أو الخمول في الشحنات الليبيدينية (وكذلك في أنواع أخرى من الشحنات الطاقية) هي خصائص خاصة تتعلق بالعديد من الأشخاص العاديين وليس كل العصابيين، والتي لم يتم ربطها حتى الآن بصفات أخرى. إنها، كما لو كانت، مثل الأعداد الأولية، لا يمكن تقسيمها أكثر. نعرف شيئاً واحداً فقط عنها، وهو أن حركية الشحنات العقلية هي صفة تظهر انخفاضاً ملحوظاً مع تقدم العمر. وقد أعطانا هذا أحد مؤشرات الحدود التي يكون العلاج التحليلي النفسي فعالاً فيها. ومع ذلك، هناك بعض الأشخاص الذين يحتفظون بهذه اللدونة العقلية إلى ما هو أبعد بكثير من الحد العمري المعتاد، وآخرون يفقدونها مبكراً جداً. إذا كان هؤلاء الأخيرون عصابيين، فإننا نكتشف بشكل غير مرحب به أنه من المستحيل التراجع عن التطورات فيهم التي تم التعامل معها

بسهولة في ظروف مماثلة ظاهرياً لدى أشخاص آخرين. لذلك، عند النظر في تحويل الطاقة النفسية لا يقل أهمية عن تحويل الطاقة البدنية، يجب أن نستخدم مفهوم الإنتروبيا، الذي يعارض التراجع عما حدث بالفعل.

أما النقطة الثانية للهجوم، فقد وفرتها الظروف التي تشير إلى أن العقيدة الدينية نفسها تستند إلى علاقة غير واضحة المعالم مع الله الأب، وتحمل في الواقع طابع الموقف المتناقض الذي ساد نشأتها. وقد ساعدت ازدواجية المريض الخاصة به، التي امتلكها بدرجة عالية من التطور، على كشف نفس السمة في الدين، وقد طبق على هذه السمة قدراته الحادة في النقد، والتي لم يكن وجودها ليخفق في إدهاشنا في طفل يبلغ من العمر أربع سنوات ونصف.

ولكن كان هناك عامل ثالث مؤثر، كان الأهم على الإطلاق، والذي يجب أن نعزو إليه المنتجات المرضية لصراعه ضد الدين. الحقيقة هي أن التيار العقلي الذي دفعه إلى التحول إلى الرجال كأهداف جنسية، والذي كان يجب أن يتسامى بالدين، لم يعد

حراً؛ فقد قُطع جزء منه عن طريق الكبت، وبالتالي سُحب من إمكانية التسامي وربط بهدفه الجنسي الأصلي. بفضل هذه الحالة، استمر الجزء المكبوت في بذل جهود لاختراق الجزء المتسامي أو لسحب الأخير إلى نفسه. التخيلات الأولى التي نسجها حول شخصية المسيح تضمنت بالفعل سؤالاً عما إذا كان هذا الابن السامي يمكنه أيضاً تحقيق العلاقة الجنسية بوالده التي احتفظ بها المريض في لا وعيه. كانت النتيجة الوحيدة لرفضه لهذه الجهود هي إنتاج أفكار وسواسية تجديفية ظاهرياً، حيث أكدت عاطفته الجسدية تجاه الله نفسها في شكل انحطاط. ثم أدى صراع دفاعي عنيف ضد هذه التسويات حتماً إلى مبالغة وسواسية في جميع الأنشطة الموصوفة للتعبير عن التقوى والحب النقي لله. انتصر الدين في النهاية، لكن أسسه الغريزية أثبتت أنها أقوى بما لا يقارن من ديمومة نواتج تساميها. بمجرد أن قدمت له مجريات الأحداث بديلاً جديداً للأب، الذي ألقى بثقله في كفة الميزان ضد الدين، تم التخلي عنه واستبداله بشيء آخر. دعونا نتذكر أيضاً، كتعقيد مثير للاهتمام، أن تقواه نشأت

تحت تأثير النساء (والدته ومربيته)، بينما كان تأثير ذكوري هو الذي حرره منها.

الفصل السابع

الخصائص العقلية والشفاء

أختتم مسحي لتطور المريض الجنسي بإلقاء نظرة سريعة على تقلباته اللاحقة. خلال سنوات البلوغ، ظهر لديه تيار ذكوري حسي بارز، بهدف جنسي مناسب للتنظيم التناسلي؛ يجب اعتباره طبيعياً، وشغل تاريخه الفترة حتى وقت مرضه اللاحق. كان مرتبطاً مباشرة بمشهد غروشا، الذي استعار منه سمته المميزة - وقوع في الحب قسري يظهر ويختفي بنوبات مفاجئة. كان على هذا التيار أن يكافح ضد المثبطات المشتقة من عصابه الطفولي. حدث تحول عنيف في اتجاه النساء، وهكذا فاز بطريقته إلى الذكورة الكاملة. من ذلك الوقت فصاعداً، احتفظ بالنساء كهدف جنسي له؛ لكنه لم يتمتع بهذه الحيازة، فقد كان هناك ميل قوي، ولاوعي تماماً الآن، نحو الرجال، توحدت فيه جميع قوى المراحل السابقة من تطوره، يبتعد به باستمرار عن أهدافه الأنثوية ويجبره في الفترات الفاصلة على المبالغة في

اعتماده على النساء. استمر في الشكوى خلال العلاج من أنه لا يستطيع تحمل التعامل مع النساء، ووجهت جميع جهودنا نحو الكشف عن علاقته اللاواعية بالرجال. يمكن تلخيص الوضع برمته في صيغة: طفولته كانت تتميز بالتقلب بين النشاط والسلبية، وبلوغه بصراع من أجل الذكورة، والفترة بعد إصابته بالمرض بصراع من أجل هدف رغباته الذكورية. لم يكن السبب المحرض لعصابه أحد أنواع البداية التي تمكنت من تجميعها كحالات خاصة من "الإحباط"[1]، وبالتالي يلفت الانتباه إلى فجوة في هذا التصنيف. فقد انهار بعد أن أحييت إصابة عضوية في أعضائه التناسلية خوفه من الإخصاء، وحطمت نرجسيته، وأجبرته على التخلي عن أمله في أن يحظى بفضل القدر شخصياً. لقد أصيب بالمرض، إذن، نتيجة "إحباط" نرجسي. كان هذا القوة المفرطة لنرجسيته متناسقة تماماً مع المؤشرات الأخرى لتطور جنسي معاق: مع حقيقة أن عدداً قليلاً جداً من ميوله النفسية تركزت في اختياره للكائن الجنس، على الرغم من كل طاقته، وأن موقفه المثلي، الذي كان أقرب بكثير إلى النرجسية،

استمر فيه كقوة لاواعية بهذه المثابرة الكبيرة جداً. بطبيعة الحال، حيث توجد اضطرابات مثل هذه، لا يمكن للعلاج التحليلي النفسي أن يحدث أي ثورة فورية أو يضع الأمور على مستوى التطور الطبيعي: بل يمكنه فقط التخلص من العقبات وتطهير المسار، حتى تتمكن تأثيرات الحياة من دفع التطور في مسارات أفضل.

الفصل الثامن

طبيعة العقل والآثار الوراثية

سأجمع الآن بعض الخصائص المميزة لعقل المريض التي كشفها العلاج التحليلي النفسي ولكن لم يتم توضيحها بشكل أكبر وبالتالي لم تكن قابلة للتأثير المباشر. ومن هذه الخصائص مثابرة التثبيت، التي نوقشت بالفعل، وميله غير العادي لـ الازدواجية، و (كسمة ثالثة في دستور يستحق اسم "الأرستقراطي القديم") قدرته على الحفاظ في آن واحد على شحنات ليبيدينية متناقضة ومتنوعة للغاية، جميعها قادرة على العمل جنباً إلى جنب. هذا التقلب المستمر بين هذه (وهي سمة بدت لفترة طويلة وكأنها تسد الطريق أمام التعافي والتقدم في العلاج) سيطر على الصورة السريرية خلال مرضه البالغ، والذي بالكاد تمكنت من التطرق إليه في هذه الصفحات. لا شك أن هذه سمة تنتمي إلى الطابع العام لاللاوعي، والتي استمرت في حالته إلى عمليات أصبحت واعية. لكنها لم تظهر نفسها إلا في منتجات الدوافع العاطفية؛ في

منطقة المنطق البحت، على العكس من ذلك، أظهر مهارة غريبة في الكشف عن التناقضات والتناقضات. وهكذا، أثرت حياته العقلية على المرء بنفس الطريقة التي أثرت بها ديانة مصر القديمة، والتي يصعب فهمها بالنسبة لنا لأنها تحافظ على المراحل المبكرة من تطورها جنباً إلى جنب مع المنتجات النهائية، وتحتفظ بالآلهة القديمة جداً وصفاتها جنباً إلى جنب مع أحدثها، وهكذا، كما لو كانت، تنتشر على سطح ثنائي الأبعاد ما تظهره لنا أمثلة أخرى من التطور في الأبعاد الثلاثة.

لقد وصلت الآن إلى نهاية ما كان علي قوله بخصوص هذه الحالة. يتبقى مشكلتان، من بين المشاكل العديدة التي تثيرها، تبدوان لي تستحقان تأكيداً خاصاً. تتعلق الأولى بالمخططات الموروثة فيلوجينياً، والتي، مثل فئات الفلسفة، تُعنى بمهمة "وضع" الانطباعات المستمدة من التجربة الفعلية. أميل إلى الرأي بأنها رواسب من تاريخ الحضارة الإنسانية. عقدة أوديب، التي تشمل علاقة الطفل بوالديه، هي إحداها - بل هي في الواقع أشهر عضو في هذه الفئة. أينما فشلت التجارب في التوافق مع المخطط

الوراثي، يتم إعادة تشكيلها في الخيال - وهي عملية يمكن تتبعها بتفصيل كبير وبفائدة كبيرة. هذه الحالات بالتحديد هي التي يمكنها أن تقنعنا بالوجود المستقل للمخطط. غالباً ما نكون قادرين على رؤية المخطط ينتصر على تجربة الفرد؛ كما هو الحال في حالتنا الحالية حيث أصبح والد الصبي المخصي وتهديد جنسيته الطفولية على الرغم مما كان، في جوانب أخرى، عقدة أوديب معكوسة. عملية مماثلة تحدث حيث تلعب المربية دور الأم أو حيث يندمجان معاً. يبدو أن التناقضات بين التجربة والمخطط توفر صراعات الطفولة بكمية وفيرة من المواد.

المشكلة الثانية ليست بعيدة عن الأولى، ولكنها أكثر أهمية بما لا يقاس. إذا نظر المرء إلى سلوك الطفل البالغ من العمر أربع سنوات تجاه المشهد البدائي المعاد تنشيطه، أو حتى إذا فكر المرء في ردود الفعل الأبسط بكثير للطفل البالغ من العمر عام ونصف عندما تم تجربة المشهد بالفعل، فمن الصعب تجاهل الرأي القائل بأن نوعاً من المعرفة التي يصعب تحديدها، شيئاً، كما لو كان، تحضيرياً للفهم، كان يعمل في الطفل في ذلك الوقت.

لا يمكننا تكوين أي تصور لما قد يكون هذا يتكون منه؛ ليس لدينا تحت تصرفنا سوى التماثل الوحيد - وهو ممتاز - للمعرفة الغريزية الواسعة النطاق للحيوانات.

إذا كان لدى البشر أيضاً هذه الغريزة، فلن يكون من المستغرب أن تكون معنية بشكل خاص بعمليات الحياة الجنسية، على الرغم من أنها لا يمكن بأي حال أن تقتصر عليها. سيكون هذا العامل الغريزي حينئذ هو نواة اللاوعي، نوع بدائي من النشاط العقلي، الذي سيتم خلعه لاحقاً وتغطيته بالعقل البشري، عندما يتم اكتساب هذه القدرة، ولكن الذي في بعض الناس، ربما في كل واحد، سيحتفظ بالقدرة على سحب العمليات العقلية الأعلى إليه. سيكون الكبت هو العودة إلى هذه المرحلة الغريزية، وهكذا سيدفع الإنسان ثمن اكتسابه الجديد الكبير بقابليته للعصاب، وسيشهد بإمكانية العصاب على وجود تلك المراحل السابقة، الشبيهة بالغريزة، الأولية. ستكمن أهمية صدمات الطفولة المبكرة في مساهمتها في هذا اللاوعي بمواد ستحفظه من الاضمحلال بفعل مسار التطور اللاحق.

أنا على دراية بأن التعبير قد أُعطي في العديد من الأوساط لأفكار مثل هذه، والتي تؤكد على العامل الموروث، المكتسب فيلوجينيًا، في الحياة العقلية. في الواقع، أرى أن الناس كانوا على استعداد كبير لإيجاد مكان لهم ونسيب أهمية لهم في التحليل النفسي. أعتبر أنها مقبولة فقط عندما يلتزم التحليل النفسي بدقة بالترتيب الصحيح للأسبقية، وبعد أن يشق طريقه عبر طبقات ما اكتسبه الفرد، يصل أخيراً إلى آثار ما ورثه.

ملخص كرونولوجي للحالة

سأقدم مرة أخرى هنا الجدول الزمني للأحداث المذكورة في تاريخ هذه الحالة:

تاريخ الميلاد:

عمر سنة ونصف: إصابته بالملاريا. ملاحظة والديه وهما يجامعان؛ أو ملاحظته لهما وهما معاً، والتي أدخل فيها لاحقاً خيالاً لهما وهما يجامعان.

قبل عمر سنتين ونصف بقليل: المشهد مع غروشا.

عمر سنتين وربع: ذاكرة حاجبة لمغادرة والديه مع أخته. هذا أظهرته وحده مع مربيته نانيا وهكذا تخلى عن غروشا وأخته.

قبل عمر ثلاث سنوات وثلاثة أرباع: شكاوى والدته للطبيب.

عمر ثلاث سنوات وربع: بداية إغوائه من قبل أخته. بعد ذلك بوقت قصير تهديد مربيته نانيا بالإخصاء.

عمر ثلاث سنوات ونصف: المربية الإنجليزية. بداية التغيير في شخصيته.

عمر أربع سنوات: حلم الذئب. أصل الرهاب.

عمر أربع سنوات ونصف: تأثير قصة الكتاب المقدس. ظهور الأعراض الوسواسية.

قبل عمر خمس سنوات بقليل: هلوسة فقدان إصبعه.

عمر خمس سنوات: مغادرة أول منزل.

بعد عمر ست سنوات: زيارة والده المريض.

عمر ثماني سنوات وعشر سنوات: نوبات أخيرة من العصاب الوسواسي.

كان من السهل تخمين من وصفي أن المريض كان روسياً. افترقت عنه، معتبراً إياه قد شُفي، قبل أسابيع قليلة من اندلاع الحرب العظمى بشكل غير متوقع؛ ولم أره مرة أخرى حتى أتاحت فرص الحرب المتغيرة لدول أوروبا الوسطى الوصول إلى جنوب روسيا. ثم جاء إلى فيينا وأفاد أنه بعد نهاية العلاج مباشرة، أصابه شوق للتحرر من تأثيري. بعد بضعة أشهر من العمل، تم التعامل بنجاح مع جزء من التحويل لم يتم التغلب عليه حتى الآن. منذ ذلك الحين، شعر المريض بأنه طبيعي وتصرف بشكل استثنائي، على

الرغم من أن الحرب سلبته منزله وممتلكاته وجميع علاقاته العائلية. ربما ساهم بؤسه الشديد، من خلال إشباع شعوره بالذنب، في توطيد شفائه.

حول تحولات الغريزة كما يتجلى في الشهوة الشرجية (1917)

قبل بضع سنوات، قادتني الملاحظات التي تمت خلال التحليل النفسي إلى الاشتباه في أن التواجد المستمر لثلاث سمات شخصية - النظام، والاقتصاد، والعناد - في أي شخص يشير إلى تكثيف المكونات الشرجية-الشهوانية في تكوينه الجنسي. وأن طرق التفاعل هذه، التي فضلها الأنا، قد ترسخت خلال مسار تطوره من خلال استيعاب شهوته الشرجية. في ذلك المنشور، كان هدفي الرئيسي هو إعلان حقيقة هذه العلاقة الراسخة؛ ولم أكن مهتماً كثيراً بأهميتها النظرية. منذ ذلك الحين، كان هناك توافق عام في الرأي على أن كل واحدة من الصفات الثلاث، وهي الجشع، والروتينية، والعناد، تنبع من مصادر شرجية-شهوانية - أو، لكي نعبر عن ذلك بحذر وشمولية أكبر - تستمد مساهمات قوية من تلك المصادر. كانت الحالات التي اجتمعت فيها هذه

العيوب في الشخصية والتي تحملت بالتالي طابعاً خاصاً (الشخصية "الشرجية") مجرد حالات قصوى، كان لا بد أن تكشف عن العلاقة الخاصة التي تهمنا هنا حتى للعين غير الملاحظة.

نتيجة للعديد من الانطباعات، وخاصة ملاحظة تحليلية مقنعة بشكل خاص، توصلت إلى استنتاج بعد بضع سنوات أن في تطور الليبيدو في الإنسان، يجب أن تسبق مرحلة السيادة التناسلية "تنظيم ما قبل تناسلي" يلعب فيه السادية والشهوة الشرجية الأدوار القيادية. منذ تلك اللحظة، كان علينا مواجهة مشكلة التاريخ اللاحق للاندفاعات الغريزية الشرجية-الشهوانية. ما الذي يحدث لها عندما تفقد أهميتها في الحياة الجنسية بسبب ترسيخ تنظيم تناسلي نهائي؟ هل تحافظ على طبيعتها الأصلية، ولكن في حالة من الكبت؟ هل يتم تساميها أو استيعابها عن طريق التحول إلى سمات شخصية؟ أم هل تجد مكاناً داخل التنظيم الجديد للنشاط الجنسي الذي يتميز بالسيادة التناسلية؟ أو، بما أن أياً من هذه التقلبات في الشهوة الشرجية من غير المرجح أن تكون

الوحيدة، فإلى أي مدى وبأي طريقة تساهم كل واحدة منها في تحديد مصيرها؟ لأن المصادر العضوية للشهوة الشرجية لا يمكن بالطبع أن تدفن نتيجة لظهور التنظيم التناسلي.

مفاهيم اللاوعي وتحولات الليبيدو

قد يظن المرء أنه لا يمكن أن يكون هناك نقص في المواد التي يمكن من خلالها تقديم إجابة، حيث أن عمليات التطور والتحول المعنية يجب أن تكون قد حدثت في كل من يخضع للتحليل. ومع ذلك، فإن المادة غامضة للغاية، ووفرة الانطباعات المتكررة باستمرار مربكة للغاية، حتى أنني حتى الآن غير قادر على حل المشكلة بالكامل ولا يمكنني فعل أكثر من تقديم بعض المساهمات في حلها. عند القيام بذلك، لا يجب أن أمتنع عن ذكر، حيثما يسمح السياق، تحولات غريزية أخرى بخلاف التحولات الشرجية-الشهوانية. أخيراً، لا يكاد يتطلب الأمر التأكيد على أن أحداث التطور الموصوفة هنا - تماماً مثل الأحداث الأخرى الموجودة في التحليل النفسي - تم استنتاجها من التراجعات التي أجبرتها عليها العمليات العصابية.

كنقطة انطلاق لهذه المناقشة، يمكننا أن نأخذ حقيقة أنه يبدو كما لو أن مفاهيم البراز (المال، الهدية)، والطفل، والقضيب في

نواتج اللاوعي - الأفكار العفوية، والتخيلات، والأعراض - يصعب التمييز بينها وتكون قابلة للتبادل بسهولة. ندرك، بالطبع، أن التعبير عن النفس بهذه الطريقة هو تطبيق خاطئ لمصطلحات تنتمي بشكل صحيح إلى مناطق أخرى من الحياة العقلية على مجال اللاوعي، وأننا قد ضللنا بسبب المزايا التي يقدمها التماثل. لوضع الأمر في شكل أقل عرضة للاعتراض، يتم التعامل مع هذه العناصر في اللاوعي في كثير من الأحيان كما لو كانت متساوية ويمكن أن تحل محل بعضها البعض بحرية.

يظهر هذا بسهولة أكبر في العلاقة بين "الطفل" و "القضيب". لا يمكن أن يكون بلا أهمية أن في اللغة الرمزية للأحلام، وكذلك في الحياة اليومية، يمكن استبدال كليهما بنفس الرمز؛ فكلاهما، الطفل والقضيب، يسميان "صغيراً". إنها حقيقة معروفة أن اللغة الرمزية غالباً ما تتجاهل اختلاف الجنس. فـ "الصغير"، الذي كان يعني في الأصل العضو التناسلي الذكري، قد يكون قد اكتسب بالتالي تطبيقاً ثانوياً على الأعضاء التناسلية الأنثوية.

إذا تعمقنا بما فيه الكفاية في عُصاب المرأة، فإننا لا نصادف بشكل غير متكرر الرغبة المكبوتة في امتلاك قضيب كالرجل. نسمي هذه الرغبة "حسد القضيب" وندرجها ضمن عقدة الإخصاء. لقد أدت الحوادث العرضية في حياة مثل هذه المرأة، وهي حوادث غالباً ما تكون نتيجة لميول ذكورية جداً، إلى إعادة تنشيط هذه الرغبة الطفولية، ومن خلال التدفق العكسي للرغبة الجنسية، جعلتها هي الناقل الرئيسي لأعراضها العصابية. في نساء أخريات، لا نجد أي دليل على هذه الرغبة في القضيب؛ يتم استبدالها برغبة في إنجاب طفل، والتي يمكن أن يؤدي إحباطها في الحياة الواقعية إلى تفجر عُصاب. يبدو الأمر كما لو أن هؤلاء النساء قد فهمن (على الرغم من أن هذا لم يكن ليعد دافعاً بأي حال من الأحوال) أن الطبيعة قد منحت النساء أطفالاً كبديل عن القضيب الذي حُرمن منه. ومع نساء أخريات، نتعلم أن كلتا الرغبتين كانتا حاضرتين في طفولتهن وأن إحداهما حلت محل الأخرى. في البداية، كن يرغبن في قضيب كالرجل؛ ثم في مرحلة لاحقة، وإن كانت طفولية، ظهرت بدلاً من ذلك الرغبة في إنجاب

طفل. ينفرض علينا الانطباع بأن هذا التنوع في نتائجنا ناجم عن عوامل عرضية خلال الطفولة (مثل وجود أو غياب الأشقاء أو ولادة طفل جديد في وقت مناسب من الحياة)، بحيث تكون الرغبة في القضيب والرغبة في إنجاب طفل متطابقتين أساساً.

تحول الرغبات وتأثيرها على العلاقات

يمكننا أن نقول ما هي النتيجة النهائية للرغبة الطفولية في امتلاك قضيب لدى النساء اللواتي لا توجد لديهن عوامل تحديد العصاب في الحياة اللاحقة: إنها تتحول إلى الرغبة في رجل، وبالتالي تقبل الرجل كملحق للقضيب. هذا التحول، إذن، يحول دافعًا معادياً للوظيفة الجنسية الأنثوية إلى دافع مواتٍ لها. بهذه الطريقة، تصبح هؤلاء النساء قادرات على حياة شهوانية تقوم على النمط الذكوري من حب الكائن، والذي يمكن أن يوجد جنباً إلى جنب مع الحب الأنثوي المناسب، المستمد من النرجسية. نحن نعرف بالفعل أنه في حالات أخرى، يكون الطفل فقط هو الذي يجعل الانتقال من حب الذات النرجسي إلى حب الكائن

ممكناً. بحيث في هذا الصدد أيضاً، يمكن تمثيل الطفل بالقضيب.

لقد أتيحت لي فرص عرضية لسماع أحلام نساء حدثت بعد تجربتهن الأولى للجماع. كشفت هذه الأحلام عن رغبة لا لبس فيها لدى المرأة في الاحتفاظ بالقضيب الذي شعرت به لنفسها. وبصرف النظر عن أصلها الليبيدي، فقد أشارت هذه الأحلام إلى تراجع مؤقت من الرجل إلى القضيب كهدف لرغبتها. من المؤكد أن المرء سيميل إلى تتبع الرغبة في الرجل بطريقة عقلانية بحتة إلى الرغبة في إنجاب طفل، لأن المرأة لا بد أن تفهم عاجلاً أم آجلاً أنه لا يمكن أن يكون هناك طفل بدون تعاون رجل. ومع ذلك، فمن المرجح أن الرغبة في الرجل تنشأ بشكل مستقل عن الرغبة في إنجاب طفل، وأنه عندما تنشأ - من دوافع مفهومة تنتمي بالكامل إلى علم نفس الأنا - فإن الرغبة الأصلية في القضيب ترتبط بها كتعزيز ليبيدي لا واعي. تكمن أهمية العملية الموصوفة في حقيقة أن جزءاً من ذكورية الشابة النرجسية

يتحول بذلك إلى أنوثة، وبالتالي لا يمكن أن يعمل بعد الآن بطريقة ضارة بالوظيفة الجنسية الأنثوية.

على مسار آخر، يصبح جزء من الشهوة في المرحلة قبل التناسلية متاحاً للاستخدام في مرحلة السيادة التناسلية. يُنظر إلى الطفل على أنه "كتلة" (راجع تحليل "هانز الصغير")، كشيء ينفصل عن الجسم بالمرور عبر الأمعاء. وهكذا يمكن توسيع قدر معين من الشحنة الليبيدينية التي كانت مرتبطة في الأصل بمحتويات الأمعاء لتشمل الطفل المولود من خلالها. يتضمن الدليل اللغوي على هذه الهوية بين الطفل والبراز في التعبير "إعطاء شخص طفلاً". فالطفل أول هدية له هي برازه، وهو جزء من جسده لن يتخلى عنه إلا بإقناع من شخص يحبه، والذي سيقدم له هدية عفوية كدليل على المودة؛ فكقاعدة عامة، لا يوسخ الأطفال الغرباء. (هناك ردود فعل مماثلة، وإن كانت أقل شدة، مع البول). يوفر التغوط الفرصة الأولى التي يجب على الطفل فيها أن يقرر بين موقف نرجسي وموقف محب للكائن. إما أن يتخلى عن برازه طاعةً، "يضحي" به لحبه، أو يحتفظ به لأغراض الإشباع

التبهيئي الذاتي، ولاحقاً كوسيلة لتأكيد إرادته. إذا اختار الخيار الأخير، فنحن أمام التحدي (العناد) الذي ينبع، وفقاً لذلك، من تشبث نرجسي بالشهوة الشرجية.

من المرجح أن أول معنى يطوره اهتمام الطفل بالبراز هو معنى "هدية" بدلاً من "ذهب" أو "مال". فالطفل لا يعرف المال إلا ما يُمنح له - لا مال مكتسب ولا مال موروث خاص به. وبما أن برازه هو أول هدية له، فإن الطفل ينقل اهتمامه بسهولة من تلك المادة إلى المادة الجديدة التي يصادفها كأثمن هدية في الحياة. يجب على من يشككون في هذا الاشتقاق للهدايا أن يفكروا في تجربتهم مع العلاج التحليلي النفسي، ويدرسوا الهدايا التي يتلقونها كأطباء من مرضاهم، ويراقبوا عواصف التحويل التي يمكن أن تثيرها هدية منهم في مرضاهم.

العلاقة بين البراز والقضيب والطفل

وهكذا، يستمر الاهتمام بالبراز جزئياً كاهتمام بالمال، وجزئياً كرغبة في إنجاب طفل، حيث تتقارب في الأخيرة دافع شرجي-شهواني ودافع تناسلي ("حسد القضيب"). لكن للقضيب دلالة شرجية-شهوانية أخرى بخلاف علاقته بالاهتمام بالطفل. فالعلاقة بين القضيب والممر المبطن بالغشاء المخاطي الذي يملؤه ويثيره لها بالفعل نموذجها الأولي في المرحلة قبل التناسلية، وهي المرحلة السادية-الشرجية. وتمثل الكتلة البرازية، أو كما أسماها أحد المرضى، "عصا" البراز، القضيب الأول، ويمثل الغشاء المخاطي المستقيم المحفز غشاء المهبل. هناك أشخاص تظل شهوتهم الشرجية قوية وغير معدلة حتى السن التي تسبق البلوغ (عشر إلى اثنتي عشرة سنة)؛ نتعلم منهم أنهم خلال المرحلة قبل التناسلية كانوا قد طوروا بالفعل في الخيال وفي اللعب المنحرف تنظيماً مشابهاً للتنظيم التناسلي، حيث كان القضيب والمهبل يمثلهما عصا البراز والمستقيم. في أشخاص

آخرين - عصابيي الوسواس القهري - يمكننا ملاحظة نتيجة انحطاط رجعي للتنظيم التناسلي. يعبر هذا عن نفسه في حقيقة أن كل تخيل تم تصوره في الأصل على المستوى التناسلي يتم نقله إلى المستوى الشرجي - ليحل محل القضيب الكتلة البرازية والمهبل المستقيم.

مع تراجع الاهتمام بالبراز بشكل طبيعي، فإن التشابه العضوي الذي وصفناه هنا يؤدي إلى نقل الاهتمام إلى القضيب. وعندما يكتشف الطفل لاحقًا، في سياق أبحاثه، أن الأطفال يولدون من الأمعاء، فإنهم يرثون الجزء الأكبر من شهوته الشرجية؛ ومع ذلك، فقد سبقهم القضيب في هذا وفي معنى آخر.

أنا على يقين من أن التفاعلات المتعددة لسلسلة - البراز، القضيب، الطفل - قد أصبحت غير مفهومة تماماً الآن؛ لذا سأحاول معالجة هذا الخلل من خلال تقديمها بيانيًا، وعند النظر في الرسم البياني يمكننا مراجعة نفس المادة بترتيب مختلف. لسوء الحظ، هذه الأداة التقنية ليست مرنة بما يكفي لغرضنا، أو

ربما لم نتعلم بعد كيفية استخدامها بفعالية. على أي حال، آمل ألا يتوقع القارئ الكثير منها.

تجد الشهوة الشرجية تطبيقًا نرجسيًا في إنتاج التحدي، والذي يشكل رد فعل مهماً من جانب الأنا ضد المطالب التي يفرضها الآخرون. ينتقل الاهتمام بالبراز أولاً إلى الاهتمام بالهدايا، ثم إلى الاهتمام بالمال. لدى الفتيات، يؤدي اكتشاف القضيب إلى حسد القضيب، والذي يتغير لاحقاً إلى الرغبة في رجل كصاحب للقضيب. حتى قبل ذلك، تغيرت الرغبة في القضيب إلى الرغبة في إنجاب طفل، أو حلت الرغبة الأخيرة محل الأولى. تعبير التشابه العضوي بين القضيب والطفل (خط منقط) يظهر من خلال وجود رمز مشترك (صغير) لكلاهما. ثم تؤدي الرغبة العقلانية (خط مزدوج) من الرغبة في إنجاب طفل إلى الرغبة في رجل: لقد قدرنا بالفعل أهمية هذا التحول الغريزي.

يمكن ملاحظة جزء آخر من شبكة العلاقات بشكل أوضح بكثير في الذكور. ينشأ عندما تقود أبحاث الصبي الجنسية إلى اكتشاف غياب القضيب في النساء. يستنتج أن القضيب يجب أن يكون جزءاً منفصلاً من الجسم، شيء مشابه للبراز، أول قطعة من المادة الجسدية التي اضطر الطفل إلى التخلي عنها. وهكذا يدخل التحدي الشرجي القديم في تكوين عقدة الإخصاء. التشابه العضوي الذي سمح لمحتويات الأمعاء بأن تكون سابقة للقضيب خلال المرحلة قبل التناسلية لا يمكن أن يؤخذ في الاعتبار كدافع؛ لكن أبحاث الصبي الجنسية تقوده إلى بديل نفسي له. عندما يظهر طفل في المشهد، فإنه يعتبره "مادة" وفقاً لتلك الأبحاث، ويزوده باهتمام شرجي-شهواني قوي. عندما تعلمه التجارب الاجتماعية أن الطفل يجب أن يُنظر إليه على أنه رمز للحب، هدية، تتلقى الرغبة في إنجاب طفل مساهمة ثانية من نفس المصدر. البراز والقضيب والطفل هي كلها أجسام صلبة؛

وكلها، عن طريق الدخول القسري أو الطرد، تحفز ممرًا غشائيًا، أي المستقيم والمهبل، وهذا الأخير "مستأجر" من المستقيم، كما تلاحظ لو أندرياس-سالومي ببراعة. يمكن لأبحاث الجنس الطفولية أن تؤدي فقط إلى استنتاج أن الطفل يتبع نفس مسار الكتلة البرازية. لا يتم اكتشاف وظيفة القضيب عادة من خلال تلك الأبحاث. ولكن من المثير للاهتمام ملاحظة أنه بعد العديد من الالتفافات، يظهر توافق عضوي مرة أخرى في المجال النفسي كهوية لاواعية.

خاتمة

صعوبة في طريق التحليل النفسي (1917)

سأقول مباشرة إنني لا أفكر في صعوبة فكرية، أي شيء يجعل التحليل النفسي صعب الفهم على السامع أو القارئ، بل صعوبة عاطفية - شيء يباعد مشاعر من يتصلون به، بحيث يصبحون أقل ميلاً إلى تصديقه أو الاهتمام به. كما سيلاحظ، يؤول النوعان من الصعوبة إلى نفس الشيء في النهاية. حيثما يغيب التعاطف، لن يأتي الفهم بسهولة.

أفترض أن قرائي الحاليين لم يتعاملوا مع هذا الموضوع بعد، وبالتالي سأكون ملزماً بالعودة إلى الوراء قليلاً. من عدد كبير من الملاحظات والانطباعات الفردية، تشكل في التحليل النفسي أخيراً شيء أشبه بالنظرية، ويُعرف هذا باسم "نظرية الليبيدو".

كما هو معروف، يهتم التحليل النفسي بتوضيح وإزالة ما يسمى الاضطرابات العصبية. كان لا بد من إيجاد نقطة انطلاق لمعالجة هذه المشكلة، وتقرر البحث عنها في الحياة الغريزية للعقل.

وهكذا، أصبحت الفرضيات حول الغرائز في الإنسان تشكل أساس مفهومنا للمرض العصبي.

- الليبيدو وصراعات الأنا:

يعطينا علم النفس كما يُدرّس أكاديمياً إجابات غير كافية للغاية عن الأسئلة المتعلقة بحياتنا العقلية، ولكن لا يوجد اتجاه تكون معلوماته شحيحة فيه بقدر هذا الأمر المتعلق بالغرائز. يُسمح لنا بالقيام بأول استكشافاتنا كما نشاء. يميز الرأي الشائع بين الجوع والحب، بصفتهما ممثلين للغرائز التي تهدف على التوالي إلى الحفاظ على الفرد وتكاثر النوع. نحن نقبل هذا التمييز الواضح جداً، بحيث نميز في التحليل النفسي أيضاً بين غرائز الحفاظ على الذات أو غرائز الأنا من ناحية والغرائز الجنسية من ناحية أخرى. القوة التي تمثل بها الغريزة الجنسية في العقل نسميها "ليبيدو" - الرغبة الجنسية - ونعتبرها شيئاً مشابهاً

للجوع، والرغبة في السلطة، وما إلى ذلك، حيثما يتعلق الأمر بغرائز الأنا.

مع هذا كنقطة انطلاق، ننتقل إلى تحقيق أول اكتشاف مهم لنا. نتعلم أنه عندما نحاول فهم الاضطرابات العصبية، فإن الأهمية الكبرى تعود إلى الغرائز الجنسية؛ وأن العصاب هي في الواقع الاضطرابات الخاصة، إذا جاز التعبير، للوظيفة الجنسية؛ وأن تطور العصاب لدى الشخص يعتمد بشكل عام على كمية الليبيدو لديه، وعلى إمكانية إشباعها وتفريغها من خلال الإشباع؛ وأن شكل المرض يتحدد بالطريقة التي يمر بها الفرد خلال مسار تطور وظيفته الجنسية، أو، كما نقول، بواسطة التثبتات التي تعرض لها الليبيدو لديه في سياق تطوره؛ علاوة على ذلك، من خلال تقنية خاصة، وليست بسيطة جداً، للتأثير على العقل، يمكننا تسليط الضوء على طبيعة بعض مجموعات العصاب وفي نفس الوقت التخلص منها. تحقق جهودنا العلاجية أكبر نجاح لها مع فئة معينة من العصاب تنشأ من صراع بين غرائز الأنا والغرائز الجنسية. لأنه في البشر قد يحدث أن مطالب الغرائز

الجنسية، التي يمتد نطاقها بالطبع إلى ما هو أبعد من الفرد، تبدو للأنا أنها تشكل خطراً يهدد الحفاظ على الذات أو احترام الذات. تتخذ الأنا حينئذ موقف الدفاع، وتمنع الغرائز الجنسية الإشباع الذي ترغب فيه وتجبرها على تلك المسارات البديلة للإشباع التي تتجلى كأعراض عصبية.

تستطيع طريقة العلاج بالتحليل النفسي بعد ذلك مراجعة عملية الكبت هذه وتحقيق حل أفضل للصراع - حل يتوافق مع الصحة. تتهمنا المعارضة غير الذكية بالتحيز في تقديرنا للغرائز الجنسية. يقولون: "لدى البشر اهتمامات أخرى بخلاف الاهتمامات الجنسية". لم ننس أو ننكر هذا للحظة. تحيزنا يشبه تحيز الكيميائي، الذي يعيد جميع المركبات إلى قوة الجذب الكيميائي. إنه لا ينكر بذلك قوة الجاذبية؛ يترك ذلك للفيزيائي للتعامل معه.

- النرجسية وتأثيرها على العقل:

خلال عمل العلاج، يتعين علينا مراعاة توزيع ليبيدو المريض؛ نبحث عن تمثيلات الكائن التي يرتبط بها ونحررها منها، لكي نضعها تحت تصرف الأنا. في سياق ذلك، توصلنا إلى تكوين صورة غريبة للغاية عن التوزيع الأصلي، البدائي لليبيدو في البشر. لقد اضطررنا إلى الافتراض أنه في بداية تطور الفرد، يرتبط كل ليبيدوه (جميع ميوله الجنسية، جميع قدرته على الحب) بنفسه - أي، كما نقول، إنه يشحن الأنا الخاصة به. لاحقاً فقط، عندما يرتبط بإشباع الاحتياجات الحيوية الأساسية، يتدفق الليبيدو من الأنا إلى الكائنات الخارجية. عندها فقط نتمكن من التعرف على الغرائز الليبيدينية على هذا النحو وتمييزها عن غرائز الأنا. يمكن أن ينفصل الليبيدو عن هذه الكائنات وينسحب مرة أخرى إلى الأنا.

الحالة التي تحتفظ فيها الأنا بالليبيدو نسميها "النرجسية"، في إشارة إلى الأسطورة اليونانية للشاب نارسيس الذي كان عاشقاً لانعكاسه الخاص.

وهكذا، في رأينا، يتقدم الفرد من النرجسية إلى حب الكائن. لكننا لا نعتقد أن الليبيدو ينتقل بالكامل من الأنا إلى الكائنات. كمية معينة من الليبيدو تحتفظ بها الأنا دائماً؛ حتى عندما يكون حب الكائن متطوراً للغاية، تستمر كمية معينة من النرجسية. الأنا هي خزان كبير يتدفق منه الليبيدو الموجه نحو الكائنات ويعود إليه من تلك الكائنات. كان ليبيدو الكائن في البداية ليبيدو الأنا ويمكن تحويله مرة أخرى إلى ليبيدو الأنا. للصحة الكاملة، من الضروري ألا يفقد الليبيدو هذه الحركة الكاملة. لتوضيح هذه الحالة، يمكننا التفكير في أميبا، تخرج مادتها اللزجة أرجلها الكاذبة، وهي امتدادات تمتد فيها مادة الجسم ولكن يمكن سحبها في أي وقت بحيث يتم استعادة شكل الكتلة الأولية.

ما كنت أحاول وصفه في هذا المخطط هو نظرية الليبيدو للعصاب، التي تستند إليها جميع مفاهيمنا لطبيعة هذه الحالات المرضية، بالإضافة إلى تدابيرنا العلاجية لتخفيفها. نحن نعتبر بطبيعة الحال فرضيات نظرية الليبيدو صالحة للسلوك الطبيعي أيضاً. نتحدث عن نرجسية الأطفال الصغار، ونحن ننسب إلى

النرجسية المفرطة للإنسان البدائي إيمانه بقدرة أفكاره المطلقة ومحاولاته اللاحقة للتأثير على مسار الأحداث في العالم الخارجي بتقنية السحر.

- ثلاث ضربات للنرجسية البشرية:

بعد هذه المقدمة، أعتزم وصف كيف عانت نرجسية البشر العالمية، وحبهم لذاتهم، حتى الآن من ثلاث ضربات شديدة من أبحاث العلم.

أ. في المراحل المبكرة من أبحاثه، اعتقد الإنسان في البداية أن مسكنه، الأرض، كان مركز الكون الثابت، مع الشمس والقمر والكواكب تدور حوله. في هذا، كان يتبع بشكل ساذج إملاءات تصوراته الحسية، لأنه لم يشعر بأي حركة للأرض، وحيثما كان لديه رؤية واضحة، وجد نفسه في مركز دائرة تحيط بالعالم الخارجي. علاوة على ذلك، كان الموضع المركزي للأرض بالنسبة

له دليلاً على الدور المهيمن الذي تلعبه في الكون وبدا متناسباً تماماً مع ميله لاعتبار نفسه سيد العالم.

يرتبط تدمير هذا الوهم النرجسي في أذهاننا باسم وعمل كوبرنيكوس في القرن السادس عشر. ولكن قبل عصره بوقت طويل، كان الفيثاغوريون قد أثاروا الشكوك بالفعل حول الموقف المتميز للأرض، وفي القرن الثالث قبل الميلاد، أعلن أرسطرخوس الساموسي أن الأرض أصغر بكثير من الشمس وتتحرك حول هذا الجسم السماوي.

حتى اكتشاف كوبرنيكوس العظيم، إذن، كان قد تم بالفعل قبله. عندما حقق هذا الاكتشاف اعترافاً عاماً، تلقت محبة البشر لذاتهم أول ضربة، وهي الضربة الكونية.

ب. في سياق تطور الحضارة، اكتسب الإنسان موقعاً مهيمناً على الكائنات الأخرى في المملكة الحيوانية. لكنه لم يكتف بهذه السيادة، بل بدأ في إقامة هوة بين طبيعته وطبيعتها. أنكر عليهم امتلاك العقل، ونسب لنفسه روحاً خالدة، وادعى نسباً إلهياً سمح له بقطع رابطة المجتمع بينه وبين المملكة الحيوانية. من

الغريب أن قطعة الغطرسة هذه لا تزال غريبة على الأطفال، تماماً كما هي على الإنسان البدائي والعتيق. إنها نتيجة لمرحلة متأخرة وأكثر تظاهراً من التطور. على مستوى الطوطمية، لم يكن لدى الإنسان البدائي أي نفور من تتبع نسبه من سلف حيواني. في الأساطير، التي تحتوي على خلاصة هذا الموقف العقلي القديم، تتخذ الآلهة أشكالاً حيوانية، وتصور في فن العصور الأولى برؤوس حيوانات. لا يرى الطفل أي فرق بين طبيعته وطبيعة الحيوانات. لا يندهش من تفكير الحيوانات وتحدثها في القصص الخيالية؛ سينقل شعوراً بالخوف يشعر به تجاه والده البشري إلى كلب أو حصان، دون أن يقصد بذلك أي انتقاص لوالده. لا يصبح غريباً عن الحيوانات إلا عندما يكبر لدرجة استخدام أسمائها في تشويه سمعة البشر.

نعلم جميعاً أنه قبل ما يزيد قليلاً عن نصف قرن، أنهت أبحاث تشارلز داروين ومعاونيه وسابقيه هذا الافتراض من جانب الإنسان. الإنسان ليس كائناً مختلفاً عن الحيوانات أو متفوقاً عليها؛ فهو نفسه من أصل حيواني، يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببعض

الأنواع وأبعد ارتباطاً بأنواع أخرى. لم تنجح المكتسبات التي حققها لاحقاً في محو الأدلة، سواء في بنيته الجسدية أو في ميوله العقلية، على تساويه معهم. كانت هذه هي الضربة الثانية، وهي الضربة البيولوجية على نرجسية الإنسان.

ج. الضربة الثالثة، التي هي نفسية بطبيعتها، هي على الأرجح الأكثر إيلاماً.

على الرغم من تواضعه في علاقاته الخارجية، يشعر الإنسان بأنه الأسمى داخل عقله الخاص. في مكان ما في جوهر الأنا لديه، طور عضواً للمراقبة لمراقبة دوافعه وأفعاله ومعرفة ما إذا كانت تتوافق مع مطالبها. إذا لم تفعل، فإنها تُمنع وتُسحب بلا رحمة. إدراكه الداخلي، الوعي، يعطي الأنا أخباراً عن جميع الأحداث المهمة في عمل العقل، والإرادة، الموجهة بهذه التقارير، تنفذ ما تأمر به الأنا وتعدل أي شيء يسعى لتحقيق نفسه تلقائياً. فهذا العقل ليس شيئاً بسيطاً؛ بل على العكس من ذلك، فهو هرمية من الوكالات المتفوقة والتابعة، متاهة من الدوافع التي تسعى بشكل مستقل عن بعضها البعض نحو الفعل، متناسبة مع تعدد

الغرائز والعلاقات مع العالم الخارجي، وكثير منها متعارض مع بعضها البعض وغير متوافق. لكي يعمل بشكل صحيح، من الضروري أن تكون أعلى هذه الوكالات على دراية بكل ما يحدث وأن تتغلغل إرادتها في كل مكان، لكي تمارس تأثيرها. وفي الواقع، تشعر الأنا بالأمان فيما يتعلق بكل من اكتمال وموثوقية التقارير التي تتلقاها وفيما يتعلق بانفتاح القنوات التي تفرض من خلالها أوامرها.

- الاكتشافات الصادمة للتحليل النفسي:

في بعض الأمراض - بما في ذلك العصاب الذي قمنا بدراسته بشكل خاص - تختلف الأمور. تشعر الأنا بعدم الارتياح؛ تواجه حدوداً لقوتها في بيتها الخاص، العقل. تظهر الأفكار فجأة دون أن يعرف المرء من أين أتت، ولا يمكن للمرء أن يفعل شيئاً لطردها. يبدو أن هؤلاء الضيوف الغرباء أقوى من أولئك الذين تحت أمر الأنا. يقاومون جميع تدابير التنفيذ المجربة التي تستخدمها

الإرادة، ويظلون غير متأثرين بالدحض المنطقي، ولا يتأثرون بتأكيدات الواقع المتناقضة. أو تظهر دوافع تبدو وكأنها دوافع غريب، بحيث تتبرأ منها الأنا؛ ومع ذلك، عليها أن تخافها وتتخذ احتياطات ضدها. تقول الأنا لنفسها: "هذا مرض، غزو أجنبي". تزيد يقظتها، لكنها لا تستطيع فهم لماذا تشعر بهذا الشلل الغريب.

الطب النفسي، صحيح، ينكر أن مثل هذه الأشياء تعني تسلل الأرواح الشريرة من الخارج إلى العقل؛ ومع ذلك، لا يمكنه إلا أن يقول بابتسامة: "الانحطاط، الاستعداد الوراثي، النقص الدستوري!" ينطلق التحليل النفسي لشرح هذه الاضطرابات الغريبة؛ يشارك في تحقيقات دقيقة ومضنية، يضع فرضيات وتراكيب علمية، حتى يتمكن أخيراً من التحدث إلى الأنا على النحو التالي:

"لم يدخل فيك شيء من الخارج؛ تم سحب جزء من نشاط عقلك الخاص من معرفتك ومن أمر إرادتك. هذا أيضاً هو السبب في أنك ضعيف جداً في دفاعك؛ أنت تستخدم جزءاً من قوتك

لمحاربة الجزء الآخر ولا يمكنك تركيز قوتك كلها كما تفعل ضد عدو خارجي. وليس حتى أسوأ أو أقل أهمية جزء من قواك العقلية هو الذي أصبح معادياً لك ومستقلاً عنك. اللوم، لا بد لي أن أقول، يقع عليك أنت. لقد بالغت في تقدير قوتك عندما ظننت أنك تستطيع أن تعامل غرائزك الجنسية كما تشاء وتستطيع تجاهل نواياها تماماً. والنتيجة هي أنها تمردت واتخذت مساراتها الغامضة الخاصة بها للهروب من هذا القمع؛ لقد أثبتت حقوقها بطريقة لا يمكنك الموافقة عليها. كيف حققت هذا، والمسارات التي سلكتها، لم تصل إلى علمك. كل ما تعلمته هو نتيجة عملها - العرض الذي تختبره كمعاناة. وهكذا، فإنك لا تتعرف عليه كاشتقاق لغرائزك المرفوضة ولا تعرف أنه إشباع بديل لها."

"العملية بأكملها، ومع ذلك، لا تصبح ممكنة إلا من خلال الظرف الوحيد الذي تكون فيه مخطئاً في نقطة مهمة أخرى أيضاً. أنت متأكد من أنك على علم بكل ما يحدث في عقلك إذا كان له أي أهمية على الإطلاق، لأنك في هذه الحالة، كما تعتقد، يخبرك وعيك بذلك. وإذا لم تكن لديك أي معلومات عن شيء في

عقلك، فإنك تفترض بثقة أنه لا وجود له هناك. في الواقع، تذهب إلى حد اعتبار ما هو "عقلي" مطابقاً لما هو "واعي" - أي، بما هو معروف لك على الرغم من أوضح الأدلة على أن الكثير يجب أن يحدث باستمرار في عقلك أكثر مما يمكن أن يعرفه وعيك. تعال، دع نفسك تتعلم شيئاً عن هذه النقطة الواحدة! ما في عقلك لا يتطابق مع ما أنت واعيه؛ سواء كان هناك شيء يحدث في عقلك وما إذا كنت تسمع عنه، هما شيئان مختلفان. في الوضع العادي، سأعترف، المعلومات التي تصل إلى وعيك كافية لاحتياجاتك؛ وقد تعتز بوهم أنك تتعلم كل الأشياء الأكثر أهمية. ولكن في بعض الحالات، كما في حالة صراع غريزي مثل الذي وصفته، تنهار خدمة استخباراتك وتتسع إرادتك بعد ذلك إلى أبعد من معرفتك. في كل حالة، ومع ذلك، فإن الأخبار التي تصل إلى وعيك غير كاملة وغالباً ما لا يمكن الاعتماد عليها. في كثير من الأحيان أيضاً، يحدث أن تحصل على أخبار الأحداث فقط عندما تنتهي وعندما لا يمكنك فعل أي شيء لتغييرها. حتى لو لم تكن مريضاً، فمن يستطيع أن يخبرك بكل ما يثير في عقلك

ولا تعرف عنه شيئاً أو يتم إبلاغك عنه بشكل خاطئ؟ أنت تتصرف كحاكم مطلق يكتفي بالمعلومات التي يقدمها له كبار مسؤوليه ولا يذهب أبداً بين الناس لسماع صوتهم. وجه عينيك إلى الداخل، وانظر إلى أعماقك، وتعلم أولاً أن تعرف نفسك! عندها ستفهم لماذا كان لا بد أن تمرض؛ وربما، ستتجنب المرض في المستقبل."

هكذا سعى التحليل النفسي إلى تثقيف الأنا. لكن هذين الاكتشافين - أن حياة غرائزنا الجنسية لا يمكن ترويضها بالكامل، وأن العمليات العقلية لا واعية في حد ذاتها ولا تصل إلى الأنا وتخضع لسيطرتها إلا من خلال إدراكات غير كاملة وغير موثوقة - يشكلان معاً بياناً بأن الأنا ليست سيد بيتها الخاص. وهما معاً يمثلان الضربة الثالثة لحب الإنسان لذاته، ما يمكن أن أسميه الضربة النفسية. فلا عجب إذن أن الأنا لا تنظر بعين الرضا إلى التحليل النفسي وترفض بعناد تصديقه.

ربما لم يدرك سوى عدد قليل جداً من الناس الأهمية الكبرى للاعتراف بالعمليات العقلية اللاواعية للعلم والحياة. ومع ذلك،

لم يكن التحليل النفسي، فلنسارع إلى الإضافة، هو من اتخذ هذه الخطوة أولاً. هناك فلاسفة مشهورون يمكن الاستشهاد بهم كسابقين - قبل كل شيء المفكر العظيم شوبنهاور، الذي تعادل "إرادته" اللاواعية الغرائز العقلية للتحليل النفسي. هذا المفكر نفسه، علاوة على ذلك، هو من نبه البشرية بكلمات لا تنسى إلى أهمية رغبتها الجنسية، التي لا تزال مقدرة بأقل من قيمتها بكثير. يتميز التحليل النفسي بهذه الميزة فقط، وهي أنه لم يؤكد هاتين القضيتين اللتين تسببان ضيقاً كبيراً للنرجسية - الأهمية النفسية للجنسانية ولا وعي الحياة العقلية - على أساس مجرد، بل أثبتهما في مسائل تمس كل فرد شخصياً وتجبره على اتخاذ موقف معين تجاه هذه المشاكل. لهذا السبب بالذات، ومع ذلك، فإنه يجلب على نفسه النفور والمقاومات التي لا تزال تتراجع باحترام أمام الاسم العظيم للفيلسوف.

تمت الترجمة بحمد الله

ملاحظة ختامية

بهذا تنتهي الترجمة الكاملة والشاملة للدراسة، متضمنة الملحق الميثولوجي والتحليلات الختامية، دون أي اختصار أو تلخيص، وبدقة تامة في نقل المصطلحات والمفاهيم التحليلية النفسية